

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

هاشميات الكميت بن زيد الأسدي

لأبي ريش أحمد القيسي

دراسة دلالية في العلاقات الترابطية

إعداد الطالب

عمر عارف الحسن جرادات

إشراف

أ. د. يحي عبد الرؤوف جبر

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات
العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين

2003م

بسم الله الرحمن الرحيم

هاشميات الكميت بن زيد الأسدي
لأبي رياض أحمد القيسي
دراسة دلالية في العلاقات الترابطية

إعداد

عمر عارف الحسن جرادات

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: ١٤ / ٤ / ٢٠٠٦ ، وأجيزت.

أعضاء اللجنة :

1. أ.د. يحيى عبد الرؤوف جبر (مشرفاً)
2. ج.د. محمد إبراهيم .. (ممتحناً خارجياً)
3. أ.د. أحمد بن حامد .. (ممتحناً داخلياً)

إهداء

إلى روحي والديّ، أمي و أبي اللذين غرسا فيّ روح التقدير للعلم وسقيهاها بالتعهد والتوجيه.

إلى زوجي وأبنائي، بناتٍ وبنين الذين أبعدني عنهم الدرس والبحث فاشتقت إليهم.

إلى كل مسلم مدافع عن الحق ولو كثر اللائمون.

إلى كل هؤلاء أهدي هذه الأطروحة.

شكر و تقدير

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم العرفان إلى أستاذي الدكتور يحيى جبر على ما أسداه لي من نصح وإرشاد طوال دراستي وبحثي .

كما أرفع شكري وامتناني إلى عضوي لجنة المناقشة : الأستاذ الدكتور أحمد حامد ، والدكتور : زهير إبراهيم ، لما نفعاني به من ملاحظات وتوجيهات خلّصت بحثي مما اعتراه من نقص وقصور .

وأخص بالشكر العظيم شقيقي (أبو جعفر) الذي طالما ضحى من أجل الآخرين.

ولكل من أسهم في إخراج هذا العمل ، لهم جميعاً شكري وامتناني .

أجزل الله تعالى لهم الخير

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ب	الإهداء
ج	شكر وتقدير
هـ	فهرس الموضوعات
ز	فهرس الآيات
ي	الملخص باللغة العربية
1	المقدمة
4	نبذة من حياة الكميت بن زيد الأسدي
7	الفصل الأول : الحقول الدلالية
9	أولاً : الغيوم
11	ثانياً: الأدوات
23	ثالثاً : التضاريس
28	رابعاً: المشي والجري
31	خامساً: النسيج والملابس
34	سادساً :ظرف الزمان
38	سابعاً :ظرف المكان
41	ثامناً : الأشجار
46	تاسعاً : الألوان
57	الفصل الثاني : المشترك اللفظي
76	الإضداد
87	الفصل الثالث : الترادف

92	أولاً : الإنسان
235	ثانياً : الحيوان
247	ثالثاً : الحرب
249	رابعاً : الطبيعة
277	الفصل الرابع : التخاليف والتعاكس
279	أولاً : الإنسان
299	ثانياً : الحيوان
302	ثالثاً : الزمان
304	رابعاً : المكان
307	خامساً: الطبيعة
310	الخاتمة
311	المراجع
b	الملخص باللغة الإنجليزية

فهرس الآيات الكريمة

الصفة	السورة	رقمها	الآية
10	الرعد	12	"وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ"
11	الواقعة	69	"أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ"
11	الأحقاف	24	"فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ"
15	الحج	15	"فَلْيَمْذُذْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ"
15	البقرة	166	"إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا"
27	المائدة	3	"حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ..."
37	القصص	76	"إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ"
37	المعارج	19	"إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً..."
52	النبا	33	"وَكَوَاعِبُ أُنْرَابَا"
56	النساء	93	"وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً..."
67	هود	43	"وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ"
73	النحل	111	"يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا"
83	إبراهيم	35	"وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ"
91	طه	20	"قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى..."
91	الأعراف	107	"فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ"
91	البقرة	264	"قَمِئْتُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ"
91	طه	6	"لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا"
97	البيّنة	7	"أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ"
99	المائدة	3	"... وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ"
100	البقرة	256	"قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"

134	الأعراف	32	"قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"
140	هود	54	"سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ"
141	يونس	93	"وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ... وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ"
147	الأنبياء	34	"وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ"
147	آل عمران	185	"كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ"
149	آل عمران	144	"إِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ"
150	غافر	34	"حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا"
156	القصص	23	"... حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرَّعَاءُ"
162	الحج	9	"ثَانِي عَطْفُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ"
162	القصص	44	"وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ"
173	آل عمران	104	"وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَادَاوَلهَا بَيْنَ النَّاسِ"
183	آل عمران	159	"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ"
202	البقرة	93	"وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ"
203	الأعراف	169	"يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ"
204	الأنفال	75	"وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ"
212	آل عمران	187	"فَتَنبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ"
216	يونس	28	"يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا... فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ"
220	مريم	46	"أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ"
232	الأنعام	157	"فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ"
233	النور	39	"أَعْمَالُهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ"
252	النور	43	"فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ"
253	البقرة	265	"أَصَابَهَا وَاِبِلٌ فَاَتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ"

257	هود	44	"وقيل يا أرض ابلعي ماءك"
268	الشعراء	128	"أتبتون بكل ربيع آية تعبتون"
268	الأنعام	153	"وأن هذا سرا طي مستقيماً..."
270	التكوير	1	"إذا الشمس كورت ..."
270	الانفطار	2	"...وإذا الكواكب انتثرت"
293	الإسراء	105	"وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً"
302	القصص	18	"فأصبح في المدينة خائفاً يترقب"

هاشميات الكميت بن زيد الأسدي لأبي رياش أحمد القيسي

دراسة دلالية في العلاقات الترابطية

إعداد الطالب

عمر عارف الحسن جرادات

إشراف

أ. د. يحي عبد الرؤوف جبر

الملخص

تقوم هذه الدراسة على جانب الدلالة اللغوية وبالذات العلاقات الترابطية بين مفردات الهاشميات للكميت بن زيد الأسدي بشرح أبي رياش القيسي. وقد احتوت هذه الأطروحة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

عرضت في الفصل الأول للحقول الدلالية فكانت تسعة حقول، ضم كل حقل منها الألفاظ التي تترابط دلاليًا وتوضع عادة تحت عنوان واحد. ثم التضمين الذي يقوم على وجود كلمة تتضمن كلمات أخرى وتشتمل عليها.

و في الفصل الثاني تناولت المشترك اللفظي، وهو الذي تكون فيه الألفاظ متشابهة في صورتها مختلفة في معانيها. ثم الأضداد باعتبارها من المشترك اللفظي وهو أن يكون للفظ الواحد معنيان متعاكسان مثل كلمة، جُون، التي تحتمل معنيين متعاكسين هما الأسود والأبيض.

أما الفصل الثالث وكان أكبر الفصول، فبحثت فيه الترادف وهو أن تكون الكلمتان مختلفتين لفظاً متحدتين في المعنى كالخطأ والزلل، وقد جاء على أربعة أقسام: الإنسان، والحيوان، والحرب، والطبيعة.

بينما جاء الفصل الرابع حول التخالف والتعاكس، حيث ضمته خمسة أقسام هي الإنسان والحيوان والزمان والمكان والطبيعة .

- وقد قدمت هذه الدراسة إلى جامعة النجاح الوطنية في نابلس؛ استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد ﷺ المبعوث كافة للناس بشيراً ونذيراً.

وبعد، فيشرفني أن أقدم هذه الأطروحة المتواضعة لشعر قيل في عترة النبي ﷺ، شعر نسب إلى بني هاشم فسمي (الهاشميات). وكان حبي لآل البيت هو الدافع وراء اختياري لهذه الدراسة. وقد تبلورت فكرة البحث يوم درست على يدي الأستاذ الدكتور يحي جبر، مساق علم الدلالة الذي ضم العلاقات الترابطية بين المفردات، فتضافر ذلك الحب للهاشميين مع الإعجاب بمادة المساق فنبتت منهما فكرة البحث.

وقد اعتمدت في دراستي على تفسير أبي رياش أحمد القيسي للهاشميات، وغني عن البيان أن التفسير من شارح إلى آخر يتبعه اختلاف في المادة المشروحة، فجاءت الهاشميات في تفسير أبي رياش إحدى عشرة، بينما كانت في شرح محمد محمود الرافعي مثلاً عشرًا فقط، إضافة إلى اختلاف بين في عدد الأبيات في هذه القصيدة أو تلك وفي نص بعض الأبيات كذلك.

أما حدود بحثي هذا حول الكميت وهاشمياته، فينحصر في دراسة العلاقات الترابطية بين مفردات الهاشميات دراسة دلالية، ولهذه الدراسة أهميتها في بيان ما احتوى عليه شعر الكميت من ثروة لغوية حفظها لنا، لا سيما أنه ممن يُحتج بشعرهم في تعويد اللغة العربية وضبط قواعدها نحواً وصرفاً.

وقد عرضت مادة البحث في أربعة فصول جاءت على النحو الآتي:

- أ. الفصل الأول: وبحثت فيه الحقول الدلالية والتضمين، فجاءت في تسعة حقول: الغيوم بأسمائها وأنواعها المختلفة. والأدوات وكان منها أدوات الماء والطبخ، والحبال بأسمائها واستعمالاتها العديدة، ثم أدوات الحرب عامة. ثم التضاريس بأشكالها من جبال وهضاب وتلال وسهول

وسهوب وغير ذلك. وشملت الحقول الدلالية كذلك على المشي والجري بأنواعه وأسمائه. كما احتوت على حقلٍ للنسيج والملابس، ذكرت فيه ما احتوته الهاشميات من تلك الملابس والأنسجة بأسمائها وأنواعها واستعمالاتها المختلفة. ثم حقلين لظرفي الزمان والمكان على أسمائها العديدة. وحقلٍ ضم الأشجار التي أوردتها الكميت في ثنايا هاشمياته. وأخيراً حقلٍ للألوان التي استعملها الشاعر لترسيخ المعاني التي تحدث عنها.

ب. الفصل الثاني: وتحدثت فيه عن المشترك اللفظي بما في ذلك الأضداد التي يجعلها كثير من علماء اللغة ضمن المشترك اللفظي، حيث عرضت أقوال اللغويين العرب من معارضٍ ومنكر، ومؤيدٍ ومثبت، قدماء ومحدثين. وقد كانت الألفاظ التي استخدمها الكميت لمعنيين متضادين قليلة نسبياً، علماً أنه استخدم كثيراً من كلمات الأضداد لمعنى واحد فقط.

ج. الفصل الثالث: إذ بحثت فيه موضوع الترادف في ألفاظ الهاشميات، وكان أكبر الفصول حيث احتل أكثر من نصف البحث، وقد قسمته أربعة أقسام، هي: الإنسان، والحيوان، والحرب، ثم الطبيعة. وقسمت كل واحد منها مجموعات مرقمة كلاً على حدة.

د. الفصل الرابع: وتناولت فيه التخالف والتعاكس، فعرضت لخمسة مجالات لهذه الظاهرة وهي: الإنسان، والحيوان، والزمان، والمكان، والطبيعة.

وقد كان لمشرفي الأستاذ الدكتور يحيى جبر النصيب الأكبر في المساعدة على إنجاز هذا البحث، إذ غمرني بعنايته وتوجيهاته. ولا بد من التنويه بالمساعده العظيمة التي أسداها لي أخي وابنه، فكانا المصدر الأول لمعظم الكتب التي أسست عليها أطروحتي.

و كانت الظروف التي اكتتفت فترة دراستي من أبرز الصعوبات التي وقفت في طريقي فأثقلت عليّ في دراستي وبحثي، حتى أن الوصول إلى الجامعة في نابلس كان في كثير من الأحيان محفوفاً بالخطورة الحقيقية، وكم تعرضنا نحن الطلاب إلى ألوان من المصاعب والإهانات من جنود العدو، ما لا يمكن أن يتخيلها إلا من عاشها.

والله أسأل أن أكون قد وفقت إلى ما قصدت إليه في دراستي، وإن كان الجهد البشري لا
يخلو من النقص، فالكمال لله تعالى وحده.

الطالب: عمر عارف جرادات

نبذة من حياة الكميت بن زيد الأسدي

هو الكميت بن زيد بن خنيس من بني أسد، ولد في الكوفة سنة 60هـ وتوفي سنة 126

هـ⁽¹⁾. وقد سئل معاذ الهراء: "من أشعر الناس؟ قال: من الجاهليين أم من الإسلاميين؟

قالوا: بل من الجاهليين، قال: امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الأبرص. قالوا: ومن الإسلاميين؟ قال: الفرزدق وجربير والأخطل والراعي، فقيل له: يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت فيما ذكرت، قال: ذاك أشعر الأوليين و الآخرين⁽²⁾. وقالوا فيه كذلك: "لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ولا للبيان لسان"⁽³⁾.

كان إلى جانب شعره خطيباً، قال الجاحظ: "ومن الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الأسدي، وكنيته أبو المستهل"⁽⁴⁾. وحبى زوجته⁽⁵⁾. وفوق هذا وذاك كان عالماً بالمثالب والأيام، نسابة "فمن صحح الكميت نسبه صحح، ومن فيه وهن"⁽⁶⁾.

وهو من مكثري الشعراء، ومن شعره، غير الهاشميات، قصيدته: المذهبة، كما يسميها

كتاب الأغاني الذي يورد مطلعها: (الوافر)

ألا حُيِّيتَ عَنَّا يا مَدِينَا وَهَلْ بِأَسْنِ بَقَوْلِ مُسَلِّمِينَا

ويعتبرها من أشهر قصائده في الهجاء. بينما يسميها حمد الجاسر⁽⁷⁾: نونية الكميت،

نسبة إلى قافيتها، "وهي تقارب ثلاث مئة بيت لم تصل إلينا كاملة"⁽⁸⁾، ويوردها بمطلع آخر:

1 - البغدادي: خزنة الأدب، ص: 70 ج 1، الأصفهاني: الأغاني، ص: 354 مج 16.

2 - الجنان: الكميت بن زيد الأسدي الشاعر السياسي، ص 164.

3 - البغدادي: خزنة الأدب، ص: 70.

4 - الجاحظ: البيان والتبيين، ص: 39 ج 1.

5 - الأصفهاني: الأغاني، ص: 330، مج 16.

6 - البغدادي: خزنة الأدب، ص: 69، ج 1.

7 - ينظر: داوود سلوم: شرح هاشميات الكميت، ص: 239.

8 - المرجع السابق، ص: 240.

(الوافر)

ألم تتعجبي من ريبِ دهرٍ رأيتَ ظهورَه قُلبتَ بطونا

وقد أورد منها مائتين وثلاثة وثمانين بيتاً مع شرحها.

والكميت أول من ناظر في التشيع مجاهراً بذلك، ⁽¹⁾ فقال له علي بن الحسين: "اللهم إن الكميت جاد في آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضنّ الناس، فاحيه سعيداً وأمه شهيداً" ⁽²⁾. وقد رفض ألف دينارٍ أعطاهما له جعفر الصادق قائلاً: "ما أحببتكم للدنيا، ولو أردتها لأتيت من هي في يديه، ولكنني أحببتكم للأخرة..." ⁽³⁾.

رماه البعض بالتعصب القبلي بسبب مهاجاته للشاعر حكيم بن عيَّاش الكلبي، وتعصبه لمضر في مواجهة خالد القسري والي العراق لهشام بن عبد الملك، ولكن المسألة لا تعدو أن تكون خدمة لزيدٍ وأصحابه، وإشغالاً لحكيم عن هجاء عليّ وآله ⁽⁴⁾. كما زعم بعضهم أنه كان من غلاة الشيعة، فقال الجاحظ: "وكان الكميت شيعياً من الغالية" ⁽⁵⁾، وقال ابن قتيبة: "إن الكميت كان رافضياً" ⁽⁶⁾، لكن شعره في الهاشميات يدحض ذلك الزعم؛ فهو القائل في الهاشمية السادسة:

(الوافر)

ويومَ الدَّوْحِ دَوْحِ غَدِيرِ حُمٍّ أبانَ له الوِلايَةَ لو أُطيعا

(البسيط)

ولكنه في الوقت ذاته يقول في هاشميته الثامنة:

أهوى علياً أميرَ المؤمنين ولا أرضى بشتمِ أبي بكرٍ ولا عمرا

1 - الخزانة: ص: 70، ج 1.

2 - المصدر السابق، والصفحة نفسها.

3 - الأغاني: ص، 347، والخزانة: ص 70.

4 - ينظر: ضيف، شوقي: التطور و التجديد في الشعر الأموي، ص: 269 — 271.

5 - الجاحظ: البيان والتبيين، ص: 39، ج 1.

6 - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص: 485، ج 2

ولا أقولُ وإن لم يُعْطِيا فذَكَأُ بِنْتِ الرَّسُولِ ولا مِيراثَهُ كَفَرَا
اللهُ يَعْلَمُ ماذا يَأْتِيانِ بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ عُدْرٍ إذا اعْتَدَرَا

فهو يقول بأحقية علي - عليه السلام - بالخلافة، ولكنه لا يتجاوز ذلك إلى شتم
الخليفتين أبي بكرٍ وعمرَ - عليهما السلام - كما يفعل بعض الغلاة من الشيعة.

الفصل الأول

الحقول الدلالية

أولاً: الغيوم

ثانياً: الأدوات

ثالثاً: التضاريس

رابعاً: المشي والجري

خامساً: النسيج والملابس

سادساً: ظرف الزمان

سابعاً: ظرف المكان

ثامناً: الأشجار

تاسعاً: الألوان

الحقول الدلالية

الحقل الدلالي، كما يقول أحمد مختار عمر: "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظٍ عامٍ واحد" (1)، كما يعرفه (أولمان) بأنه: "قطاع متكامل من المادة اللغوية، يعبر عن مجال معين من الخبرة" (2)، بينما يعرفه (جون لاينز): "بأنه مجموعة جزئية لمفردات اللغة" (3) وقد تبلورت فكرة الحقول الدلالية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، على أيدي علماء سويسريين وألمان، إلا أن معظم هذه الدراسات ليست كاملة أو متبلورة، مما حدا بالبعض إلى إطلاق مصطلح (اتجاه) بدلاً من (نظرية) (4).

ويختلف تقسيم الحقول الدلالية من لغة إلى أخرى، ذلك لأن لكل لغة فلسفتها وخصوصيتها، كما أن التمييز بين ألفاظ الحقل الواحد يكون واضحاً حيناً وأقل وضوحاً حيناً آخر، كما يقول بالمر (5). ويقول (جون لاينز) إن تصنيف الحقول يختلف باختلاف اللغات، كما أن مفردات اللغات في بعض الحقول تختلف عن بعضها "فالتمييزات الدلالية الموجودة في لغة ما قد لا توجد في لغة أخرى" (6).

ومما يتقاطع مع الحقول الدلالية، التضمين، وهو بتعبير بسيط، أن تكون كلمة ما محتوية على كلمات، كأن نقول إن كلمة (عائلي) تحتوي على: زوجي وأنا والأبناء ذكورا وإناثا، فكلمة عائلي ضامنة ومشملة وشاملة لـ: أنا وزوجي وأبنائي، أو كما يقول لاينز: إن أنا وزوجي وأبنائي الذكور والإناث هي متواصلات لعائلي. و التضمين هو الاسم الذي اختاره مجيد الماشطة الذي ترجم كتاب، علم الدلالة، لمؤلفه (بالمر) (7)، أو، الاشتمال، كما يسميه أحمد

1- عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ص79.

2- المرجع السابق. ص 79.

3- نفس المرجع، ذات الصفحة.

4- ينظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص79-82.

5- ينظر: بالمر: علم الدلالة، ص81.

6- ينظر: لاينز، جون: علم الدلالة، ص49.

7- بالمر: علم الدلالة، ص99.

مختار عمر (1) ، أو التواصل بحسب تسمية (جون لاينز) (2) الذي يقرر أنه "كثيراً ما يُشار إليه على أنه الشمول" (3). "فالتضمين يذكرنا بمفهوم الاحتواء، فكلمة زنيقة تحتويها كلمة وردة ، وهو مسألة عضوية صنف ، واللفظة العليا هي الضامنة والسفلى المُتضمَّنَة" (4). مع أنه توجد بعض الحالات لا نجد فيها كلمة ضامنة أو عليا ، فلا توجد كلمة ضامنة وعليا للكلمات: طيب و نجار و حداد ؛ لأن كلمة حِرْفِي لا تشتمل على الطبيب (5).

أولاً: الغيوم

استخدم الكميت أفاظاً كثيرة تطلق على الغيوم وأنواعها، وهذه المفردات هي: الغمام، والسحاب، والهيذب، والصرّاد، والجهام، والعارض، والمزن، و الغيوم هي الكلمة الرئيسة العامة التي ضمت تحتها المفردات السابقة.

(الخفيف)

يقول الكميت في مقتل الحسين - ~~الطليح~~ -:

أكرمَ الشاربيين صوبَ الغمام (6)

قتلَ الأذعياءِ إذ قتلوه

و يفسر الشارح قائلًا: " والغمام السحاب الأبيض " ، وفي اللسان: "الغمامة: السحابة، والجمع غمام وغمائم... وقال ابن عرفة في قوله تعالى: "وظللنا عليهم الغمام" (7)، الغمام: الغيم الأبيض، وإنما سمي غماماً لأنه يغم السماء أي يسترها " فالأبيض هنا مقصور على ما ظلل عليهم، ولكن بالمقابل يورد اللسان للحطيئة: ونسقى الغمام الغرّ حين تؤوب. ويقول اللسان كذلك: "ساحبٌ أغمٌ: لا فرجة فيه" (8)، فمما سبق يتبين أن الغمام هو السحاب عامة، لا سيما أن الذي

1- مختار، أحمد عمر: علم الدلالة، ص69.

2- لاينز، جون: علم الدلالة، ص83.

3- لاينز، جون: علم الدلالة، ص84.

4- بالمر: علم الدلالة، ص99 - 100.

5- ينظر: بالمر: علم الدلالة، ص100، ومختار، أحمد عمر: علم الدلالة، ص100.

6- البيت السابع والسبعون، الهاشمية الأولى، ص34.

7- سورة الأعراف، آية 160.

8- لسان العرب، (غمم).

يغم ويستر السماء ليس فقط الأبيض بل كل سحب لا فرجة فيه فهو يستر السماء أبيض كان أم أسود، مطيراً أم غير ذلك.

ويورد الشاعر مفردة أخرى للغيوم، فيقول:

(الطويل)

إِذَا نَشَأَتْ مِنْهُمْ بِأَرْضِ سَحَابَةٍ فَلَا النَّبْتُ مَحْظُورٌ وَلَا الْبَرَقُ خَلْبٌ (1)

إذ يقول الشارح مفسراً: "أول ما ينشأ من السحاب النشء وهو سحب أسود ينشأ من أقطار السماء" وقوله عز وجل: [وينشئ السحاب الثقيل]⁽²⁾ والسحاب والغيوم والغين واحد، فقد جاء في اللسان: "والسحابة: الغيم، والسحابة التي يكون عنها المطر، سميت بذلك لانسحابها في الهواء... الغيم: السحاب"، وجاء كذلك: "والغين لغة في الغيم وهو السحاب"⁽³⁾

ونوع آخر من الغيوم، ورد في قوله:

(الطويل)

مَلِئْتُ مَرْبٍ يَحْفَسُ الْأَكْمَ وَدَقَّهُ شَابِيبٌ مِنْهَا وَادِقَاتٌ وَهَيْدَبٌ (4)

ويفسر الشارح قائلاً: "والهيدب المتداني من السحاب مشتق من هذب الثوب... وهيدب سحب متدل".

ثم يذكر الكميت نوعاً آخر للغيوم في كلامه عن الثور:

(المنسرح)

هَاجَتْ لَهُ الْحَرَجَفُ الْبَلِيلُ بِصُرٍّ إِدِ جَهَامٍ وَالْحَاصِبُ الْحَصِبُ (5)

1- البيت الرابع والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص78.

2- سورة الرعد، آية 12.

3- لسان العرب، (سحب)، (غين).

4- البيت الثامن والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص95.

5- البيت الخامس بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص134.

وفسره أبو ريش فقال: " الصُّرَادُ سحاب رقيق بارد وهو جمع وواحد " وأضاف اللسان: " لا ماء فيه " (1)، أما، الجَهَام، ففسرها أبو ريش بالسحاب الذي هراق ماءه، وهو ذات التفسير في اللسان: " والجَهَام، بالفتح: السحاب الذي لا ماء فيه، وقيل الذي قد هراق ماءه مع الريح " (2).

ويورد الكميت من أسماء الغيم، العارض، والمزن، جمع مزنة، وذلك على سبيل المجاز حين يقول:

(الطويل)

فإن يَجْمَعُ اللهُ القُلُوبَ وَتَلْقَهُمْ
لنا عَارِضٌ من غير مُزْنٍ مُكَلَّلٌ (3)

و يفسر الشارح قائلا: " يقول: هذا العارض من غير مزن، أي مطر وليس من سحاب ولكنه جيش كثيف مكلل بالرجال والسلاح... والمزن السحاب الأبيض " ، فالشارح كما يظهر من تفسيره ، لم يفسر كلمة عارض بشكل مباشر ، و يفهم من كلامه كذلك: من غير مزن أي مطر، أنه يفسر المزن بالمطر ، مع أنه يفسرها فيما بعد بالسحاب الأبيض كما رأينا، وقد وردت الكلمتان كلاهما: العارض والمزن في القرآن الكريم ، فقال تعالى: [فلما رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرٌنَا] (4) كما ورد لفظ المزن في قوله تعالى عن الماء: [ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ] (5).

ثانياً: الأدوات

احتوت الهاشميات على مجموعة من الأدوات: الأواني، وأدوات السلاح، والحبال.

أ - الأواني:

ومن أسماء الأواني، ما جاء في قول الكميت عن الأوس والخزرج:

-
- 1- لسان العرب. (صدر).
 - 2- المصدر السابق، (جهم).
 - 3- البيت الثالث والستون، الهاشمية الرابعة، ص 171.
 - 4- سورة الأحقاف، آية 24.
 - 5- سورة الواقعة، آية 69.

(المنسرح)

مَجْدُ حَيَاةٍ وَمَجْدُ آخِرَةٍ سَجْلَانٍ لَا يَنْزَحَانِ مَا شَرِبُوا (1)

إذ شرحه أبو رياش بقوله: "والسجلان الواحد سَجَلٌ أي دلو فيها ماء " ، وفي اللسان: "السجل: الدلو الضخمة المملوءة ماء والجمع سِجَالٌ وَسُجُولٌ " (2)

ويجمع الكميت السجل مع الصاع فيقول: (الطويل)

نَكَلٌ لَهُمْ بِالصَّاعِ مِنْ ذَاكَ أَصْوَعًا وَيَأْتِيهِمْ بِالسَّجَلِ مِنْ ذَاكَ أَسْجَلٌ (3)

ويشرح أبو رياش قائلاً: "الصاع كيل" ويقول اللسان عن الصاع: "والصاع: المظمن من الأرض كالحفرة وقيل مُنْهَبَطٌ من حروفه المطيعة به... والصاع مكيال لأهل المدينة يأخذ أربع أمداد ، يذكر ويؤنث " (4). ونلاحظ أن اللسان لم يأتِ بالجمع الذي استخدمه الشاعر (أسجل)، على عكس الشارح الذي قال في تفسير هذا البيت: "والسجل الدلو فيها ماء ، والجمع سِجَالٌ، وأسجل جمع قلة " .

وشبيهه بالسجل: العَرَبُ فِي قَوْلِهِ: (الوافر)

يُرْفَرِقُ أَسْجَمًا دَرَرًا وَسَكَبًا يُشَبِّهُ سَحًّا غَرَبًا هَمَوْعًا (5)

وفسر الشارح فقال: "والعرب عرق في العين ، والغرب الدلو فيها ماء " حيث جاءت الراء مفتوحة وحقها التسكين ، وتجدر الإشارة إلى أن عدم الضبط ظاهرة ملحوظة في الشرح. وفي

1- البيت الرابع والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص117.
2- لسان العرب، (سجل).
3- البيت السابع والستون، الهاشمية الرابعة، ص172.
4- لسان العرب، (صوع).
5- البيت الرابع، الهاشمية السادسة، ص 196.

- اللسان: " الغرب , بسكون الراء: الدلو العظيمة التي تتخذ من جلد ثور , فإذا فتحت الراء فهو الماء السائل بين البئر والحوض "(1)

وقريب من السجل والدلو القربة , التي جاءت جمعا في قوله: (المنسرح)

بمُضْمَلٍ مُؤَمَّلٍ خَادِعٍ لأرْكُبِ عَمَّا تَضَمَّنَ الْقَرَبُ (2)

ومثل القربة , الأسقية , وقد استعملها الكميث من قبيل المجاز حين تحدث عن

القطا: (المنسرح)

يَحْمِلْنَ فَوْقَ الصُّدُورِ أَسْقِيَّةً لغيرهنَّ العِصَامُ وَالْخَرْبُ (3)

وقد شرح أبو رياش فقال: " أسقية جمع سقاء... وأسقية: يعني حواصل القطا يشبهها بالأسقية " وفي اللسان: " السقاء: ظرف الماء من الجلد ويجمع على أسقية , وقيل: السقاء القربة للماء واللين "(4). واسم آخر للقربة أورده الكميث: عزلاء:

(الطويل)

لنا عارضٌ ذو وابلٍ أطلقت له وكاء ردى الأبطال عزلاء تسجل (5)

وعلى سبيل المجاز كذلك استخدم الكميث اسم القدر , فقال:

(المنسرح)

قِدْرَيْنِ لَمْ يَقْتَدِحِ وَقَوْدَهُمَا بِالْمَرْخِ تَحْتَ الْعَفَارِ مُنْتَصِبُ (6)

وفسر أبو رياش قائلا: " يقول هما قدرا حرب لا قدرا طبيخ ".

1- لسان العرب، (غرب).

2- البيت الثاني بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص133.

3- البيت الثاني والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص141.

4- لسان العرب، (سقي).

5- البيت الرابع والستون، الهاشمية الرابعة، ص 171.

6- البيت الرابع والتسعون، الهاشمية الثالثة، ص 130.

وذكر القدر مع المرجل مجازاً كذلك فقال: (الطويل)

كشيعته والحرب قد نُقِيَتْ لها أمامهم قَدْرٌ تجيشٌ ومرجلٌ (1)

ويسكت الشارح عن المرجل ، أما في اللسان: " المرجل القدر من الحجارة والنحاس... وقيل هو قدر النحاس خاصة وقيل هي كل ما طبخ فيها من قدر وغيرها " (2).

وذكر الكميت كذلك المضمّنات بمعنى القدر، فقال: (المنسرح)

كانت مطايا المضمّنات من الـ جوع دواء العيال أن سغبوا (3)

ويفسر أبو رياش " والمضمّنات: القدر ضمنت اللحوم وغيرها " .

ب - الحبال:

ومن الأدوات التي ذكرها الكميت في الهاشميات، الحبال، ومن الحبال ذكر الكميت أسماء: الرُمّة، والسبب، والحبل، والطنب، والتصدير، والحقّب، والعنّاج، والكرب، والعصام والسّمط، و السّنّاف، واللّبب، والوكاء ، فقال واصفا الناقة:

(الخفيف)

تصبل السُهْبَ بالسُّهوب إليهم وصل خرقاء رُمّة في رِمَام (4)

وفسر الشارح فقال: " والرُمّة القطعة من الحبل تبقى في الويد " . وفي اللسان: " الرُمّة

والرُمّة: قطعة من الحبل بالية ، والجمع رِمَمَ و رِمَام... والرُمّة الحبل يُقَلَّد البعير " (5).

1- البيت الستون، الهاشمية الرابعة، ص170.

2- لسان العرب، (رجل).

3- البيت الثامن، الهاشمية الثالثة، ص103.

4- البيت السابع والتسعون، الهاشمية الأولى، ص39.

5- لسان العرب، (رمم).

ومن الحبال الأسباب , ذكرها الشاعر جمعا ومفردا , فقال: (الطويل)

فيا لك أمرا قد أشيت أموره ونديا أرى أسبابها تتقضب

وقال: (المنسرح)

مُنطويات كما انطويت وقد يُقبضُ بعد انبساطه السبب (1)

و فسر الشارح البيت الأول فقال: " تفرقت أسبابها: أحبالها الواحد سبب " , وفسر الثاني قائلا: "... بعد انبساطه السبب أي الحبل ". وفصل اللسان فقال: "... وجمع السبب أسباب. والسبب: الحبل كالسبب والجمع كالجمع , والسبب: الحبال... وقال أبو عبيدة: السبب كل حبل حدوته من فوق. وقال خالد بن جندب: السبب من الحبال القوي الطويل. قال: ولا يدعى الحبل سببا حتى يُصعد به ويُحدر به "(2). وقد ورد السبب في القرآن الكريم مفردا وجمعا كذلك فقال تعالى: [... فليمدد بسبب إلى السماء] (3) , وقال عز وجل: [إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب] (4).

وجاءت كلمة حبل في حديث الكميت حين قال عن حكّام بني أمية: (الطويل)

ألجوا ولجوا في بعادٍ وبغضةٍ فقد نشبوا في حبل غيٍّ وأنشبا (5)

ولا يتطرق الشارح إلى الحبل , لكن في اللسان تمام الفائدة , يقول: " الحبل: الرباط بفتح الحاء والجمع أحبل وأحبال وحبال وحبول... وحبل الشيء حبالاً: شده بالحبل " (6).

1- البيتان الثاني والستون، الهاشمية الثانية، ص69. والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص110.

2- لسان العرب، (سبب).

3- سورة الحج، آية 15.

4- سورة البقرة، آية 166.

5- البيت السابع والستون، الهاشمية الثانية، ص71.

6- لسان العرب، (حبل).

ومن حبال الخيمة الطُّنْبُ , يقول الكميت عن الوَيْدِ: (المنسرح)

قَلَدَهُ كَالوِشَاحِ جَالٍ عَلَى الْـ كَاعِبٍ مِنْ مُنْهَجَاتِهِ الطُّنْبُ (1)

وفسر أبو ريش فقال: " والطنب حبل الخيمة وجماعته الأطناب " , وجاء في اللسان: " والأطناب من حبال الأخبية " (2).

وحبلان آخران ورد اسمهما , وهما من حبال الناقة ورحلها , ذلكما هما التصدير

والحقب: (المنسرح)

وَالكَاشِفُو الْمُفْطَعِ الْمَهْمَ إِذَا الْـ سَتَفَ بِتَصْدِيرِ أَهْلِهَا الْحَقَبُ (3)

وفسر الشارح فقال: " والتصدير الحبل المؤخر " , وفي اللسان: " والتصدير: حزام الرجل والهودج... والتصدير: الحزام , وهو في صدر البعير " (4), و نلاحظ خطأ الشارح في تفسير التصدير الذي أخذ اسمه من المكان الذي يُشَدُّ عليه وهو الصدر، كما أنه لم يفسر، الحقب، وفسر بدلاً منه اسم حبل آخر لم يذكره البيت، وهو، الحيال.

أما عن الحَقَبِ فيقول اللسان: " الحَقَبُ , بالتحريك: الحزام الذي يلي حَقْوَ البعير... " (5)

ومن حبال الدلو: العِنَاجُ وَالكَرْبُ , ذكرهما الكميت حين وصف حَبَّهُ لآل البيت: (المنسرح)

فِي عَقْدٍ مِنْ هَوَايَ مُحْكَمَةٍ ظَوِّهَرٍ مِنْهَا الْعِنَاجُ وَالكَرْبُ (6)

1- البيت الحادي عشر، الهاشمية الثالثة، ص 103.

2- لسان العرب، (طنب).

3- البيت الواحد والسبعون، الهاشمية الثالثة، ص 122.

4- لسان العرب، (صدر)

5- المصدر نفسه، (حقب).

6- البيت الستون، الهاشمية الثالثة، ص 119.

وفسر أبو رياش بقوله: " والكرب: العِقْد الذي على العراقيّ , والعِناج إذا كان الدلو غربا أخذ حبل فشدّ في أسفلهِ ثم شدّ بالعِناج ثم شدّ إلى الحبل , فإذا انقطعت الأوتام بقيَ مشدودا بالعِناج , وهو حبل أو خيط , والعراقي الصليب الذي على الدلو " , أما اللسان فيقول: " والكرب: الحبل الذي يشد على الدلو بعد المنين , وهو الحبل الأول فإذا انقطع المنين بقي الكرب " , أما عن العِناج فيقول: " والعِناج: خيط أو سَيْر يُشد في أسفل الدلو ثم يشد في عروتها أو عرقوفها , قال وربما شدّ في إحدى آذانها... " (1).

وحبل من حبال القربة هذه المرة , استخدمه الكميت في حديثه عن القطا: (المنسرح)

يحملن فوق الصُدور أسقيّة لغيرهنّ العصامُ والخربُ (2)

إذ فسر أبو رياش قائلا: " العصام الحبل الذي تُحمل به القربة. والخرب جمع خربة وهي العروة... والعصام الحبل الذي تُعصم به القربة أي تُمسك " , وفي اللسان: " العصام: رباط القربة وسيرها الذي تحمل به... وعصام القربة والدلو والإداوة: حبل تشد به " (3).

ومن الحبال ما يدقّ لِنُظَم فيه الخرز , وهو السَّمْط , وخيط آخر هو الحُقَب , يقول

الكميت واصفا القطا: (المنسرح)

متخذات من الخراشيّ كالـ حلية منها السُموطُ والحُقَبُ (4)

و يفسر أبو رياش فيقول: " وقوله السُموط فإنها جمع سِمَط وهو خيط يُنظَم فيه الخرز. والحُقَب: جمع حِقَاب هو خيط يُشدّ على الحِقْو " , ومرة أخرى لا يُوفق الشارح في تفسيره لهذا الحبل ؛ فكيف يمكن الجمع بين السَّمْط وهو خيط للخرز، وبين الخيط الذي يُشد على الحِقْو، فما المشترك بينهما حتى يجمعهما الشاعر في حديثه عن الحلية ؟ فالأمر قد اختلط على الشارح بين

1- لسان العرب، (كرب)، (عنج).

2- البيت الثاني والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 141.

3- لسان العرب، (عصب)

4- البيت السادس والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 142.

الحَقَبُ من حبال البعير ورحله، وبين الحَقَب الذي هو للزين والحلي، ولكن السياق يوضح ذلك صراحة، وفي اللسان: " السَّمط: الخيط ما دام فيه الخرز وإلا فهو سلك " وعن الحَقَب والحِقَاب يقول: " الحَقَب والحِقَاب: شيء تعلق المرأة به الحلي وتشدّه في وسطها والجمع حُقَب"(1).

وثمة حبلان آخران للبعير، السَّنَاف واللبب وردا في قوله: (المنسرح)

أولاك لا هؤلا إذا انْطَحِضَ النَّـ سِيُّ وَشُدَّ السَّنَافُ وَاللَّبَبُ (2)

وقد فسرها الشارح بقوله: " السَّنَاف البِطَان. واللبب الصدر " , أما اللسان فيقول: "السَّنَاف: خيط يُشدُّ من حَقَب البعير إلى تصديره ثم يشد في عنقه إذا ضَمَرَ والجمع سُنْف " وعن اللَّبَب يقول اللسان: " واللبب معروف , وهو ما يُشدُّ على صدر الدابة أو الناقة , قال ابن سيده وغيره: يكون للرحل والسرج يمنعهما من الاستئخار والجمع أبواب "(3).

ومن الحبال التي ذكرها الكميت كذلك، الوكاء , وهو ما يربط به فم القريّة، يقول

الكميت: (الطويل)

لنا عارض ذو وابل أطلقت له وكاء ردى الأبطال عزلاء تَسْجَلُ (4)

ويفسر أبو ريش: " والوكاء: الحبل الذي يُشدُّ به " , أما اللسان فيربط الوكاء بالمتكى، وهو، كما يقول: "كل من استوى قاعداً على وطاء متمكناً " بخلاف ما يذهب إليه العامة من أنه الجالس معتمداً على أحد شقيه"(5) ومنه القول: العينان وكاء الأست، فإذا ما غفا المرء وجب عليه الوضوء للصلاة، إلا إذا غفا متمكناً في جلسته.

1- لسان العرب، (سمط)،(حقب).

2- البيت التاسع والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص143.

3- لسان العرب، (سنف)، (لبب).

4- البيت الرابع والستون، الهاشمية الرابعة، ص 171.

5- لسان العرب، (وكأ)

ت - أدوات السلاح والحرب:

ومن الأدوات التي وردت في الهاشميات كذلك، أدوات السلاح والحرب، فما دامت الحياة ساحة حرب بين الحق وأهله ، وبين الباطل وآله ، فلا مناص من أن يكون لآلة الحرب حضور، سواء كانت تلك الآلة بأيدي المنافحين المدافعين عن الحق ، أم مع غيرهم، يقول الكميت عن آل بيت النبوة:

(الطويل)

وهم رَمَوْهَا غَيْرَ ظَارٍ وَأَشْبَلُوا عَلَيْهَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَتَحَدَّبُوا (1)

وفسر الشارح فقال: " وأطراف القنا يريد الأسنّة " ، وليس في اللسان على ذلك زيادة.

ومثل القنا الرماح ، يقول الكميت عن الخوارج:

(الطويل)

وشاطَ على أَرْمَاحِنَا بِأَدْعَائِهَا وَتَحْوِيلِهَا عَنْكُمْ شَبِيبٌ وَقَعْنَبُ (2)

ومثل ذلك أيضا العوالي ، إذ يقول الكميت في علي -كرم الله وجهه-: (الطويل)

لَهُ سَتْرَتَا بَسْطٍ فَكَفَّ بِهَذِهِ يَكْفُ وَبِالْأُخْرَى الْعَوَالِي تُخَضَّبُ (3)

وفسر الشارح قائلا: " والعالية من الرمح: دون السنان بزراع ، والجمع العوالي " ، وقد فصل اللسان فقال: " والعالية أعلى القناة ، وأسفلها السافلة وجمعها العوالي... وقيل العالية: القناة المستقيمة وقيل هو النصف الذي يلي السنان... " (4).

1- البيت الرابع والخمسون، الهاشمية الثانية، ص65.

2- البيت الثامن والخمسون، الهاشمية الثانية، ص67.

3- البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الثانية، ص84.

4- لسان العرب، (علا)

ومن الرمح والقناة: السَّنان ، فقال الكميت عن مقتل الحسين - عليه السلام :- (الطويل)

إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ كَبَّرَتْ غَوَاتُهُمْ فِي كُلِّ أَوْبٍ وَهَلَّلُوا (1)

ومن أدوات الحرب وآلاتها السَّيف بأسمائه المختلفة ، وقد ذكر الكميت واحدا منها في

حديثه عن جريمة قتل الحسين وصحبه - عليهم السلام - : (الطويل)

يُحَلِّتَنَ عَنِ مَاءِ الْفُرَاتِ وَظَلَّهُ حُسِينًا وَلَمْ يُشْهَرَ عَلَيْنَهُ مُنْصَلٌ (2)

" والمُنْصَلُ: السيف وهو النَّصَل " يقول أبو ريش ، وفي اللسان: " المُنْصَلُ ، بضم الميم والصاد ، والمُنْصَلُ: السيف اسم له. قال ابن سيده: لا نعرف في الكلام اسما على مُفْعَلٍ وَمُفْعَلٍ إلا هذا، وقولهم مُنْخَلٌ وَمُنْخَلٌ " (3).

واسم آخر للسيف الصنيع ، يقول الكميت:

وَعَمِيدٍ مُتَوَجِّحٍ حَلٌّ عَنْهُ عَقْدُ التَّاجِ بِالصَّنِيِّعِ الْحَسَامِ (4)

وفسر الشارح: " وقوله بالصنيع الحسام: فالصنيع: السيف الجيد العمل ، والحسام القاطع " ، وجاء في اللسان: " وسيف صنيع: مُجَرَّبٌ مَجَلُوبٌ... وسهم صنيع كذلك ، والجمع صنُوعٌ" (5) ، ومن هذا الكلام يبدو أن الصنيع صفة للسيف لتكون هي والحسام صفتين ، أو قد تكون الصنيع صفة للحسام مع تقديم وتأخير .

وعن مقتل الحسين وآله - عليهم السلام - يقول الكميت مستخدما اسما آخر

1- البيت السابع والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص168.

2- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص165.

3- لسان العرب، (نصل)

4- البيت الخامس والستون، الهاشمية الأولى ص30.

5- لسان العرب، (صنع).

صفائح بيض جلتها القيوب ن مما تخيرن من يثرب (1)

- ويشرح أبو رياش " صفائح: جمع صفيحة وهي النصل " , ويفصل اللسان: " والصفحة: السيف العريض , قال ابن سيده: الصفيحة من السيوف: العريض " (2).

والمهند اسم آخر للسيف , جاء في قوله:

(الوافر)

فقل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا (3)

ويقول أبو رياش مفسرا: " المهند السيف الهندي " , وفي اللسان: " والمهند: السيف المطبوع من حديد الهند " ولكن اللسان يقول قبل هذا: " هند السيف: شحذه , والتهنيد شحذ السيف " (4) , فإذا كان ذلك كذلك , فما يمنع أن يكون المهند اسم مفعول من هند بمعنى الشحذ , وبلا علاقة مع الهند وحديد الهند ؟ ومثل التهنيد المادي للسيف , تهنيد المرأة المعنوي قلب الرجل وشحذه بالملاطفة والغزل لتورده العشق والهيام . كما جاء في اللسان تحت نفس المادة (هند).

ومن أدوات الحرب كذلك الحنيفة , وهي القوس , وجاءت جمعا حيث استخدمها الكمي

في وصف ناقته قائلا:

(الخفيف)

في حراجيج كالحني مجاهيد ض يخذن الوجيف وخذ النعام (5)

وقد فسر أبو رياش فقال: " كالحني أي كالقسي , أي في انحنائها واعوجاجها " , وفصل اللسان فقال: " الحنيفة: القوس , والجمع حني وحنايا... والحنو كل شيء فيه اعوجاج أو شبه

1- البيت الواحد والثلاثون، الهاشمية الخامسة، ص194.

2- لسان العرب، (صفح).

3- البيت الرابع عشر، الهاشمية السادسة، ص198.

4- لسان العرب، (هند)

5- البيت التاسع والتسعون، الهاشمية الاولى، ص 40.

اعوجاج كعظم الحجاج واللى والضيع... والجمع أحناء وحنى وحنى⁽¹⁾.

ثم يذكر الكميت القوس بلفظها , حين تكلم على حكام الأمويين: (الطويل)

يُصيب به الرّامون عن قوس غيرهم فيا أخيراً سدى له الغيَّ أولُّ⁽²⁾

ولم يفسرها الشارح ؛ فهي معروفة , ولم يذكر اللسان ما يخرج عن المعرفة والبداهة.

وإذا ذُكر القوس , ذكر السهمُ , وقد ذكره الكميت جمعا حين قال في حبه

للهاشميين: (الخفيف)

أخلص الله لي هَوَايَ فما أغر قُ نَزُغَا ولا تطيش سهامي⁽³⁾

وهو معروف كذلك ؛ فلم يعلق عليه الشارح , كما أن اللسان لم يذكر ما ندّ عن المعروف.

وقبل أن يصبح العود سهما فهو قِدْح , يقول الكميت يصف حالهم تحت حكم

الظلمة: (الطويل)

بُرِينَا كَبْرِي الْقِدْحِ أَوْهَنْ مَتْنَهُ من القوم لا شارٍ ولا مُتَبَلُّ⁽⁴⁾

ويفسر الشارح: " والقِدْح ما لم يكن عليه نصل " , لكن اللسان كالعادة يفصل: " والقِدْح ,

بالكسر: السهم قبل أن يُنصل ويُراش , قال أبو حنيفة: القِدْح العود إذا بلغ فشُدب عنه الغصن

وقُطِع على مقدار النَّبَل الذي يُراد من الطول والقصر⁽⁵⁾.

1- لسان العرب، (حنا).

2- البيت الخامس والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص 168.

3- البيت الثاني والتسعون، الهاشمية الاولى، ص 37

4- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 157.

5- لسان العرب، (قدح).

وردت من ألفاظ تضاريس الأرض في الهاشميات مجموعة ، منها لفظ الأرض ومعه القفاف، والكُثب، و سَبَسَب، و دَيَامِيم، و السَّهْب، و الإكَام، و التَّلْعَة، و المَذَنب، و البِيد، و المَعزَاء، و اللُّوب، يقول الكميت:

(المنسرح)

شُعْتُ مَدَالِيحٍ قَدْ تَعَوَّلْتُ الـ
أَرْضَ بِهِمِ فَالْقِفَافِ فَالْكُثْبُ (1)

وفسر الشارح فقال: " فالقفاف جمع قَفَّ وهو ما غلظَّ من الأرض. والكُثب: جمع كَثِيب وهو الجبل من الرمل " ، ولم يزد اللسان على ذلك.

وقد جمع الكميت القَفَّ مفرداً مع السَبَسَب و الدَيَامِيم في بيت ، فقال: (الطويل)

تَعَرَّضَ قُفٌّ بَعْدَ قُفٍّ يَقُودُهَا
إِلَى سَبَسَبٍ مِنْهَا دَيَامِيمٍ سَبَسَبٍ (2)

وقال الشارح مفسراً: " و الدياميم: الفلوات، الواحدة ديمومة. و السَبَسَب ما استوى منها " ، وفي اللسان مساواة بينهما إذ يقول فيما يقول: " و السبب الأرض القفرة البعيدة... أبو عبدة: السباسب و الباسب القفار " وعن الدياميم يقول: " الدياميم: المفاوز. ومفازة ديمومة أي دائمة البعد وهي فعולה من الدوام أي بعيدة الأرجاء يدوم السير فيها وياؤها منقلبة عن واو ، وقيل: هي فيعولة من دَمَمْتُ القدر إذا طليتها بالرماد أي أنها مُسْتَبَهَةٌ لا عَمَّ بها لسالكها " (3).

وفي حديثه عن الناقة ، يذكر الكميت السهب ، فيقول: (الخفيف)

تَصَلُّ السُّهْبُ بِالسُّهُوبِ إِلَيْهِمْ
وَصَلَّ خِرْقَاءَ رَمَّةٍ فِي رِمَامٍ (4)

1- البيت الواحد والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 144.

2- البيت الواحد والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 92.

3- لسان العرب، (سبب)، (ديم).

4- البيت السابع والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 39.

ويقول الشارح: " السهب الفلاة الواسعة والسهوب جمع سهب "، وفي اللسان تفريق بين السهب بالضم وبالفتح: " السهب من الأرض المستوي في سهولة ، والجمع سهوب ، والسهب: الفلاة " (1)

ويكمل الكميت حديثه عن النوق فيذكر الإكام: (الخفيف)

رَدَّهُنَّ الْكَلَالُ حُدْبًا حُدَابِيًّا — وَحَدُّ الْإِكَامِ بَعْدَ الْإِكَامِ (2)

وقد فسرهُ أبو رياش فقال: " والإكام جمع أكمة، وهي تل لم يبلغ أن يكون جبلا " ، لكن اللسان يدقق فيقول: " الأكمة: معروفة، والجمع أكمات وأكم، وجمع الأكم إكام، فهو جمع الجمع " (3) ومن ألفاظ التضاريس التلعة والمذنب ، يقول الكميت عن آل بيت النبوة: (الطويل)

وَإِنْ هَاجَ نَبْتُ الْعِلْمِ فِي النَّاسِ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ تَلْعَةٌ خَضْرَاءُ مِنْهُمْ وَمَذْنَبٌ (4)

وقد وردت التلعة ثلاث مرات ، وفسرها أبو رياش مرتين بمجري الماء ، بينما قال في الثالثة: " التلعة ما ارتفع من مجاري الماء... وهي الربوة من الأرض " ، بينما في البيت المذكور هنا: " والتلعة مجرى الماء إلى الرياض " ، وبالمعنى نفسه فسر المذنب: " ومذنب وذنابة الوادي: وهي أيضا مجرى الماء " ، ولم يشر لا هنا ولا هناك إلى الضدية الواضحة في تفسيره. ويفسر اللسان قائلا: " والتلعة أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع منها إلى تلعة أسفل منها... والتلعة مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض " (5).

واستخدم الكميت كذلك كلمة البيد في حديثه عن الناقة ، فقال: (الطويل)

إِذَا قَطَعْتَ أَجْوَازَ بَيْدٍ كَأَنَّمَا بِأَعْلَامِهَا نَوْحَ الْمَالِي الْمُسَلَّبِ (6)

1- لسان العرب، (سهب).

2- البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 39.

3- لسان العرب، (أكم).

4- البيت السادس والثمانون، الهاشمية الثانية، ص 79.

5- لسان العرب، (تلع).

6- البيت العشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 91.

ويفسر أبو رياش قائلا: "والبيد الصحاري، جمع بيداء"، وفصل اللسان فقال: "... كما سموا الصحراء بيداء لأنها تنيد سالكها، والإبادة الإهلاك، والجمع بيد" (1).

ومن تضاريس سطح الأرض ذكر المغزاء، يقول الكميت يصف سير

(الطويل)

ناقته:

كأن حصى المغزاء بين فروعها نوى الرضخ يلقي المصعد المتصوب (2)

وقد فسر أبو رياش قائلا: "المغزاء أرض فيها حصى صغار"، وفي اللسان: "والأمعز والمغزاء الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة، والجمع الأمعز والمعز" (3).

وأخيرا أورد الكميت اللوب، جمعا للوبة واللابة فقال:

(الطويل)

سراييلنا في الروع بيض كأنها أضأ اللوب هزتها من الريح شمأل (4)

"واللوب الحرار ويقال لابة ولاب ولوب"، وفي اللسان: "قال الأصمعي: هي الأرض التي قد ألبستها حجارة سود، وجمعها لابات، ما بين الثلاث إلى العشر، فإذا كثرت فهي اللاب واللوب" (5)، والأضأ هي ما اجتمع من الماء في تلك الحرار.

ومما يتصل بالتضاريس الحجارة، حيث ذكر الكميت في الهاشميات بعضا من أسماء

(الخفيف)

الحجارة، فقال مادحا الرسول:

باقيا مجده بقاء السلام (6)

غير دنيا محالفا واسم صدق

- 1- لسان العرب، (بيد)
- 2- البيت الثامن والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 99.
- 3- لسان العرب، (معز).
- 4- البيت الخامس والستون، الهاشمية الرابعة، ص 172.
- 5- لسان العرب، (لوب).
- 6- البيت السابع والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 28.

يقول الشارح " والسَّلام: الحجارة الواحدة سَلَمَة " , أما اللسان فيقول: " وقال ابن شميل: السَّلام جماعة الحجارة الصغيرة منها والكبير لا يوجدونها... وقال غيره هو اسم لكل حجر عريض... والسَّلام بكسر السين: الحجارة الصُّلْبَة , سميت بهذا سلاماً لسلامتها من الرِّخاوة"⁽¹⁾

ومنها الصَّفِيح , جاءت في مدح الرسول:
(الطويل)

لقد غَيَّبُوا بَرّاً وَصِدْقاً وَنَانِلاً عَشِيَّةً وَاراك الصَّفِيحَ الْمُنْصَبُ (2)

وهي الحجارة العراض على القبر , كما يقول الشارح. ويفسر اللسان: " ووجه كل شيء

عريض: صفيحة... قال الأزهرى: ويقال للحجارة العريضة صفائح , واحدها صفيحة وصفيح"⁽³⁾.

ومن الحجارة كذلك المَرَوُ والكَذَّان , يقول الكميث على ناقته:
(الطويل)

تَرَى المَرَوَ والكَذَّانَ يَرْفَضُ تَحْتَهَا كما اَرْقَضَ قَيْضُ الأَفْرِيحِ المُنْقَوَّبُ (4)

ويفسر أبو رياش فيقول: " المرو الخشن من الحجارة , والكذان الرخو منها " , وجاء في اللسان: " المرو: حجر أبيض رقيق يُجْعَلُ مِنْهَا المَطَارُ , يُذْبِحُ بِهَا... وتكون المروة مثل جُمع الإنسان وأعظم وأصغر " , أما عن الكذان فيقول: " الكذانة: حجارة كأنها المَدْرُ فيها رخاوة , وربما كانت نَحْرَةً وجمعها الكَذَّان " ⁽⁵⁾ , وجمع الإنسان هي قبضة يده.

1- لسان العرب، (سلم).

2- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الثانية، ص 62.

3- لسان العرب، (صفح).

4- البيت الثامن عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 90.

5- لسان العرب، (مرا)، (كذن).

واستخدم الكميت، الحصى، حين تكلم عن الناقة، فقال: (الطويل)

كأن حصى المغزاء بين فروجها نوى الرضخ يلقي المصعد المنصوب⁽¹⁾

وهو من البداهة مما لا يحتاج معها إلى شرح أو تفصيل.

ومن الحجارة ما عبدها العرب حتى بعث الرسول: (المنسرح)

مُبشراً مُنذراً ضياء به أنكر فينا الدوار والنصب⁽²⁾

وقد فسر أبو رياش فقال: " والنصب: أراد حجارة تتصب كذلك يُطيفون بها " , وفي اللسان: " النصبُ والنُصبُ: كلُّ ما عبُد من دون الله تعالى , والجمع أنصاب... التهذيب: قال الفراء: كأن النُصب الآلهة التي كانت تُعبَد من أحجار " ⁽³⁾. وقد ذُكرت النُصب في القرآن الكريم بالمعنى الذي ذهب إليه الفراء , وذلك في قوله تعالى: [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ... وما ذُبِحَ على النُصب...] ⁽⁴⁾, إذ فسرها (الجلالين) بقوله: " جمع نصاب وهي الأصنام " ⁽⁵⁾ وكذا الشهيد سيد قطب في (الظلال) حين كتب يقول " وأما ما ذُبِحَ على النصب – وهي أصنام كانت في الكعبة وكان المشركون يذبحون عندها وينضحونها بدماء الذبيحة في الجاهلية " ⁽⁶⁾.

- 1- البيت الثامن والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 99.
- 2- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الثالثة، ص 115.
- 3- لسان العرب، (نصب).
- 4- سورة المائدة، آية 3.
- 5- السيوطي، و محمد المحلّي: تفسير الجلالين، ص 135.
- 6- قطب، سيد: في ظلال القرآن، ص 840.

رابعاً: المشي والجري

وقد ورد في الهاشميات أنواع من المشي والجري مختلفة , ومن ذلك الفعل، تُشيع،

بمعنى تعدو، قال الكميت يصف ناقته:

(الخفيف)

إن تُشَيِّعَ بِي الْمَذْكُرَةَ الْوَجْءَ نَاءُ تَتَفِي لُغَامَهَا بِلُغَامِ (1)

حيث فسر الشارح فقال: " تُشَيِّعُ: تعدو , والتشيع السرعة في السير " , وما يمكن أن يفهم من اللسان أن التشيع هنا التشجيع والحث على المشي , ومنه الرجل المُشَيِّع الذي يشيِّعه قلبه أو غيره " والمُشَيِّعُ: الشجاع "(2).

ثم يصف النوق وسيرها , فيذكر نوعين من السير:

(الخفيف)

في حَرَايِجِ كَالْحَنِيِّ مَجَاهِبِ ضَ يَخْدُنُ الْوَجِيفَ وَخَدَّ النَّعَامِ (3)

وفسر أبو رياش فقال: " والوَخْدُ: ضرب من السير... والوجيف: السير الذي يكون بسرعة " وقال اللسان: " الوخد: ضرب من سير الإبل , وهو سعة الخطو في المشي... وَخَدَّ البعيرُ يَخْدُ وَخْدًا وَوَخْدَانًا: أسرع ووسَّعَ الخَطْوُ " , وعن الوجيف يقول: " الوجيف ضرب من سير الإبل والخيل , وقد وَجَفَ البعيرُ يَجِفُ وَجْفًا وَوَجِيفًا. وَأَوْجَفَ دَابَّتَهُ إِذَا حَثَّهَا... الإيجاف: سرعة السير "(4) , فالوخذ والأيجاف كلاهما السرعة في المشي.

وضرب آخر من ضروب المشي هو الرَّدْيُ , يقول الكميت مناقشا: (الطويل)

وإلا فقولوا غيرها تتعرفوا نواصِيهَا تَرْدِي بِنَا وَهِيَ شُرْبُ (5)

1- البيت الخامس والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 38.

2- لسان العرب، (شيع).

3- البيت التاسع والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 40.

4- لسان العرب، (وخذ)، (وجف).

5- البيت السادس والخمسون، الهاشمية الثانية، ص 66.

يقول أبو رياش مفسراً: " وتردّي من الرديان , والردي ضرب من مشي الخيل ". وإتماماً للفائدة يقول اللسان: " الأصمعي: إذا عدا الفرس فرجَمَ الأرض رجماً قيل ردى , بالفتح يردي ردياً وردياناً. وفي الصحاح ردى يردي ردياً وردياناً إذا رجَمَ الأرض رجماً بين العدو والمشى الشديد " (1).

ومن النشاط في المشي العرَضَنَةُ , فقد وصف الكميت سير ناقته فقال: (الطويل)

عَرَضَنَةُ لَيْلٍ فِي الْعَرَضَنَاتِ جُنْحًا أَمَامَ رِجَالٍ خَلْفَ تَيْكٍ وَأَرْكَبُ (2)

وفسر ذلك أبو رياش: " العرَضَنَةُ: ضرب من السير في اعتراض ونشاط " , أما اللسان فيجعل هذا الضرب من السير خاصاً بالخيل إذ يقول: " الليث: العرَضَنَةُ والعرَضَنَى عدوٌ في اشتقاق...أبو عبيد: العرَضَنَةُ الاعتراض في السير من النشاط , ولا يقال ناقة عَرَضَنَةُ " (3) ومن استبانة معنى الاشتقاق في العدو الذي قاله الليث تبين في اللسان: " واشتقَّ الفرسُ في عدوهِ: ذهب يميناً وشمالاً. وفرس أشقُّ وقد اشتقَّ في عدوهِ كأنه يميل في أحد شِقَيْهِ " (4) , وهو ذات الوصف الذي قاله الشاعر (جُنْحًا) , فالاشتقاق الذي قاله الليث , قصره اللسان على الفرس وعدوه دون الناقة , الأمر الذي قاله صراحة أبو عبيد , فلو كان ذلك مقصوراً على الخيل دون الإبل فكيف سيخالف الكميت ذلك !؟

ويجمع الكميت نوعاً من المشي مع نوع من العدو في بيت يقول فيه: (المنسرح)

إِنْ قِيلَ قِيلُوا فَفَوْقَ أَرْحَلِهَا أَوْ عَرَّسُوا فَالذَّمِيسُ وَالْخَبِيبُ (5)

1- لسان العرب، (ردي).

2- البيت التاسع والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 99.

3- لسان العرب، (عرضن).

4- لسان العرب، (شقق).

5- البيت الثامن عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 139.

" والذميل والخبب ضربان من السير " يقول الشارح , أما اللسان فيفصل إذ يقول: " الذميل: ضرب من سير الإبل , وقيل هو السير اللين... وفي حديث قُصِّ بن ساعدة: يسير ذميلاً أي سيراً سريعاً لينا " وعن الخبب: " الخبب: ضرب من العدو , وقيل هو مثل الرَّمْل... وقيل الخبب السرعة " أما الرَّمْل فيقول اللسان: " الرَّمْل , بالتحريك: الهرولة... " (1).

ونوع آخر من أنواع العدو جاء في تشبيه الكميت ناقتة بالثور الوحشي تحيطه الكلاب كرمز للصراع بين الحق الهاشمي وأعدائه، مع الانتباه إلى نتيجة المعركة، تلك النتيجة التي تعبر هنا عن طموح الشاعر بالنصر , على عكس نتيجة أبي ذؤيب الذي قتل الثور في مرثيته لأبنائه (2)

يقول الكميت في وصف نهاية تلك المعركة المتخيلة: (الطويل)

وَوَلَّى بِأَجْرِيَا وَوَلَفٍ كَأَنَّهُ عَلَى الشَّرْفِ الْأَعْلَى يُسَاطُ وَيُكَلِّبُ (3)

ويكتفي أبو ريش بالقول مفسراً: " ولاف من الولا ف وهو المؤلفه " , لكن اللسان يفصل فيقول: " المؤلف والولا ف والوليف: ضرب من العدو وهو أن تقع القوائم معاً وكذلك أن تحيء القوائم معاً , قال الكميت: وولّى... البيت " (4).

ويعبر الكميت عن السرعة في السير بشكل آخر حين يقول: (المنسرح)

هَلْ تُبَلِّغُنِيكُمْ الْمَذَكَّرَةَ الـ — وَجَنَاءَ وَالسَّيْرَ مَنِيَّ الذَّأْبُ (5)

1- لسان العرب، (ذمل)، (خبب)، (رمل)، على الترتيب.

2- ينظر: القط، عبد القادر: في الشعر الإسلامي والأموي، ص 298-300.

3- البيت السادس والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 98.

4- لسان العرب، (ولف).

5- البيت التاسع والتسعون، الهاشمية الثالثة، ص 132.

إذ يفسر الشارح فيقول: " والدأب السرعة , يقال دأبَ دَأْبًا ودُؤِبًا وهو السير الدائم السريع " وفي اللسان: " دأب فلان في عمله أي جد وتعب , يدأب دَأْبًا ودَأْبًا ودُؤِبًا , فهو دَائِبٌ... والدؤوب المبالغة في السير... " (1).

وأخيرا يصف الكميت تصرفه مع حبه لآل البيت — عليهم السلام — في ظل الخوف من القتلة المرتدين , فيقول:

(الطويل)

وإني على حُبِّهِمْ وَتَطَّلَعِي إلى نصرِهِمْ أمشي الضَّرَاءَ وَأَخْتَلُّ (2)

وفسر أبو رياش فقال: " يقال فلان يمشي الضراء لفلان إذا كان يدبُّ له ويختله والخمر مثله. والختل المكر " , وعند اللسان: "... ويقال: لا أمشي له الضراء والخمر أي أجاهره ولا أخاطئه. والضراء: الاستخفاء , ويقال: ما وارك من أرض فهو الضراء , وما وارك من شجر فهو الخمر ". وختل الذئب الصيد تخفى له " (3). فالخمرُ , بالفتح , وليس الخمر بالتسكين , والختل في البيت التخفي وليس المكر , وأصل المكر الخداع كما يقول اللسان. وقد يكون الخداع في رابعة النهار بعيدا كل البعد عن الاختفاء.

خامساً: النسيج والملابس

واشتملت الهاشميات على أسماء شتى للنسيج من ملابس وخرق , يقول الكميت في مقتل

(الخفيف)

الحسين — العليّ:

تَرَكَبُ الطَّيْرَ كَالْمَجَاسِدِ مِنْهُ مع هَابٍ مِنَ التَّرَابِ هَيَامٌ (4)

1- لسان العرب، (دأب).

2- البيت السادس والثمانون، الهاشمية الرابعة، ص 179.

3- لسان العرب، (ضراء)، (ختل).

4- البيت الرابع والسبعون، الهاشمية الأولى، ص 33.

وفسر الشارح فقال: " المجاسد: الثياب المصبوغة بالجسد وهو الزعفران والواحد مجسد " , ولم يزد اللسان على ذلك.

وقد جمع الخرق مع الثياب: المآلي والسلب , فقال متحدثا عن ناقته: (الطويل)

إذا قَطَعَتْ أَجْوَازَ بَيْدٍ كَأَنَّمَا بأعلامها نَوَّحَ المآلي المُسَلَّبُ (1)

وقد فسر أبو رياش فقال: " والمآلي: جمع مثلاة وهي الخِرْقَة التي تشير بها النائحة إذا ناحت. والمسلب التي تلبس السواد... والمسلب عليهن السلب وهي ثياب المصيبة " ولم يزد اللسان على ذلك إلا بشكل السلب حيث جعلها بضمين بدل الفتحتين في الشرح (2).

وفي تشبيهه الناقة بالثور , يذكر الكمية جملة من الملابس , إذ يقول: (الطويل)

لِيَاخَ كَأَن بِالأَتْحِمِيَّةِ مُسَبَّعٍ إِزَارًا وَفِي قُبْطِيَّةٍ مُتَجَلِّبُ

وَتَحْسَبُهُ ذَا بُرْقَعٍ وَكَأَنَّهُ بِأَسْمَالِ جَيْشَانِيَّةٍ مُتَنَقَّبُ (3)

وفي تفسيره يقول أبو رياش: " والأتحمية: ضرب من برود اليمن. والقبطية ثوب أبيض. متجلبب: من الجلباب وهو القميص , يريد أن قوائمه موشاة وجسده أبيض. والأسمال الخلقان الواحد سَمَل. جيشانية: ثياب حمراء في بياض ويقال برود سود " , وجاء في اللسان: " الأتحمي: ضرب من البرود... ويقال: تَحَمَّتُ الثوبَ إِذَا وَشَيْتَهُ... التُّحْمَةُ البرود المخططة بالصفرة " , " والإزار: الملحفة , يذكر ويؤنث... والإزرُ والمنزَرُ والمنزرة: الإزار " , " والقبطية: ثياب كتان بيض رفاق تُعمل بمصر وهي منسوبة إلى القبط على غير قياس , والجمع قِبَاطِيّ و قِبَاطِيّ. قال

٥٩٤٥٠٤

1- البيت العشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 91.

2- ينظر: لسان العرب، (سلب).

3- البيتان الخامس والعشرون والسادس والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 93.

الكميت: لِيَاحِ كَأَنَّ... البَيْتِ " , " والسَّمَلُ: الخَلْقُ مِنَ الثِّيَابِ... والسَّوْمَلُ: الكِسَاءُ الخَلْقُ...
الأسْمَالُ الأخْلَاقُ الوَاحِدُ مِنْهُ سَمَلٌ " (1).

وَمِنَ الخِرْقِ الجِعَالِ , ذَكَرَهُ الشَّاعِرُ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الحَرْبِ مَشْبَهُاً إِيَّاهَا بِالقَدْرِ يوقَدُ
تَحْتَهَا:

لا بِالجِعَالِينَ يُنْزَلَانِ وَلَا بِالشَّيْحِ يُذَكِّي سَنَاهُمَا اللِّهْبُ (2)

حَيْثُ فَسَّرَهُ الشَّارِحُ قَائِلاً: " الجِعَالُ: الخِرْقَةُ الَّتِي يُنْزَلُ بِهَا القَدْرُ " , وَفِي اللِّسَانِ: " الجِعَالُ
وَالجِعَالَةُ وَالجِعَالَةُ: مَا تُنْزَلُ بِهِ القَدْرُ مِنْ خِرْقَةٍ أَوْ غَيْرِهَا وَالجَمْعُ جُعَلٌ مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتِبَ...
وَأَجَعَلَ القَدْرَ إِجْعَالاً: أَنْزَلَهَا بِالجِعَالِ " (3).

وَأُورِدَ الكَمِيتَ اسْمِينَ آخَرِينَ لِلثِّيَابِ البَالِيَةِ , فَقَالَ فِي وَقُوفِهِ المَتَفَرِّدِ عَلَى الأَطْلَالِ ,
يَصِفُ الوَتْدَ:

قَلَدَهُ كَالوِشَاحِ جَالاً عَلَى الـ كَاعِبٍ مِنْ مُنْهَجَاتِهِ الطَّنْبُ (4)

وَفِي حَدِيثِهِ عَنِ سِوَاءِ حَالِهِمْ وَعَيْشِهِمْ تَحْتَ الظَّلْمَةِ قَالَ:

فَأَصْبَحَ بَاقِي عَيْشِنَا وَكَأَنَّهُ لِوَأَصِفِهِ هَدْمُ الخِبَاءِ المُرْعَبِلِ (5)

وَفَسَّرَ الشَّارِحُ فَقَالَ: " كَالوِشَاحِ: يَعْنِي الرُّمَّةَ الَّتِي عَلَيْهِ. وَالمُنْهَجَاتُ: الخُلُقَانُ , يُقَالُ نَهَجَ الثَّوْبُ
وَأَنْهَجَ وَسَمَلٌ وَأَسْمَلٌ... " , " الهِذْمُ: الثَّوْبُ الخَلْقُ , وَالجَمْعُ أَهْدَامٌ " . وَفِي اللِّسَانِ: " المُنْهَجُ: الثَّوْبُ
الَّذِي أُسْرِعَ فِيهِ البَلَى " , بِفَتْحِ الهَاءِ وَليسَ بِالكَسْرِ كَمَا جَاءَ فِي الشَّرْحِ , وَهِيَ اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنْ

1- لسان العرب، (تحم)، (أزر)، (قبط)، (سمل)، على الترتيب.

2- البيت الخامس و التسعون، الهاشمية الثالثة، ص130.

3- لسان العرب، (جعل).

4- البيت الحادي عشر، الهاشمية الثالثة، ص103.

5- البيت الحادي عشر، الهاشمية الرابعة، ص150.

الفعل أَنهَجَ ، وفي تفسير الهذم يقول: " والهدم ، بالكسر: الثوب الخلقُ المُرقَعُ ، وقيل هو الكساء الذي ضوعفت رِقاؤه. والأهدام: الأخلاق من الثياب " (1).

ويناجي الكميّت نفسه مخاطباً: (الطويل)

وَأَلْقِي فِضَالُ الشُّكِّ عَنْكَ بِتَوْبَةٍ حَوَارِيَّةٍ قَدْ طَالَ هَذَا التَّقْضَلُ (2)

" والفيضال من الثياب: ما ينام فيه الرجل ويعمل فيه... والفيضال: جمع فضلة وهو الثوب الواحد على الرجل " ، ولم يزد اللسان على ذلك.

ومن القماش أيضا الحُجُبُ جمع حِجَابٍ ، يقول الكميّت في واحدة من مقدماته

الطلبية: (المنسرح)

لا من طَلَابِ الْمُحَجَّباتِ إِذَا أُلْقِيَ دُونَ المَعاصِرِ الحُجُبُ (3)

" والحُجُبُ: جمع حِجَابٍ " يقول الشارح مفسراً ، وفي اللسان: " الحِجَابُ اسم ما احتُجِبَ به والجمع حُجُبٌ لا غير " (4).

سادساً: ظرف الزمان

استخدم الكميّت طائفة من الظروف وظفها في خدمة غرضه الرئيس وهو المدح لآل البيت، والتنديد والقدح بأعدائهم، بما في ذلك وقوفه على الأطلال وحديثه عن ناقته وعن الشور

1- لسان العرب، (نهج)، (هدم).

2- البيت الواحد والتسعون، الهاشمية الرابعة، ص 181.

3- البيت الثاني، الهاشمية الثالثة، ص 100.

4- لسان العرب، (حج).

كذلك، حيث أدار حديثه في هذه كلها خدمة للهاشميين، فقال يمدح آل البيت:

(الخفيف)

ومغاير عندهن مغاوير
مر مساعير ليلة الإجام⁽¹⁾

وظرف زمان آخر ورد في قوله عن أهل الردة العربية الثانية:

(الخفيف)

رأيه فيهم كراي ذوي النل
سفة في الثائجت جنح الظلام⁽²⁾

ومن الظروف: بعد ، مرة للمكان وأخرى للزمان ، فقال عن ناقته: (الخفيف)

ردهن الكلال حذباً حداب
مر وحذ الإكام بعد الإكام⁽³⁾

أما في حديثه عن أهل الردة الثانية ، فجاء الظرف للزمان:

(الطويل)

وعيب لأهل الدين بعد ثباته
إلى محدثات ليس عنها التقل⁽⁴⁾

ومن ظروف الزمان كذلك: عشية ، جاء في مقدمة طللية ينفي فيها الكميت عن نفسه

(الطويل)

أسباب الطرب المعهودة ومعللا طربه:

ولا السانحات البارجات عشية
أمر سليم القرن أم مر أعضب⁽⁵⁾

واستخدم الكميت ظرفي زمان مختلفين لكنهما مترادفان في بيتين متتاليين ، متابعا كلامه

(الطويل)

عن آل البيت — عليهم السلام —:

لنا ثقة أيمان نخشى ونرهب

وقد غادروا فينا مصابيح أنجما

1 - البيت الثلاثون، الهاشمية الأولى، ص 22.

2 - البيت السابع والثلاثون، الهاشمية الأولى، ص 24.

3 - البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 39.

4 - البيت الثامن والثلاثون، الهاشمية الرابعة، ص 162.

5 - البيت الرابع، الهاشمية الثانية، ص 44.

أولئك إن شطت بهم غربة النوى أمانئ نفسي والهوى حيث يسقنوا (1)

وفسر الشارح فقال: " أيان: أي حين نخشى ونرهب " , " يقول... وإذا قَرُبوا رَضِيتُ بهم دون الناس كلهم " .

وفي إشارته إلى الناقاة مباشرة , يقول: (الطويل)

أذلك بل تيك غِبَّ وجيفها إذا ما أكل الصارخون وأنقبوا (2)

حيث فسر أبو ريش فقال: " غِبَّ وجيفها أي بعد سيرها " .

كما استخدم (غِبَّ) مجرورة مع ظرف آخر هو غداة غد في بيت يصف

قصيدته: (الطويل)

مهذبة غراء في غِبَّ قولها غداة غد تفسير ما قال مُجمل (3)

وعكس (غِبَّ) الظرف: قبل , استخدمه الكميت في قوله: (الطويل)

وشيخ بني الصيِّداء قد فاض قبلهم وإن أبا موسى أسير مُكَبَّلُ (4)

واستعمل الكميت كذلك ظرف زمان في كلامه عن آل البيت – عليهم

السلام –: (المنسرح)

فهم هناك الأساءة للداء ذي الرُّ بية والرَّائِبون ما شَعَبوا (5)

1- البيت العاشر والحادي عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 87.

2- البيت السابع والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 98.

3- البيت التاسع بعد المئة، الهاشمية الرابعة، ص 187.

4- البيت الخمسون، الهاشمية الرابعة، ص 166.

5- البيت الرابع والسبعون، الهاشمية الثالثة، ص 123.

إنهم عندما تتأزم الأمور وتشتد، وتبلغ القلوب الحناجر، عند ذلك فهم الأطباء لما استعصى وعز شفاؤه، المجيدون لما يعملون. ويمتدح الشاعر الهاشميين فيورد ظرف زمان آخر إذ يقول:

(المنسرح)

لا هم مقاريحُ عند نوبتِهم ولا مجازيعُ إن هم نُكبوا (1)

وعلى الكميت يستضيء بقوله تعالى في قصة قارون: [إذ قال له قومُه لا تفرح إن الله لا يُحبُّ الفرحين] (2)، وبقوله سبحانه: [إن الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً * إذا مسَّهُ الشرُّ جَزُوعاً * وإذا مسَّهُ الخيرُ مَنوعاً * إلا المُصلين] (3)، فما الهاشميون من أولئك الذين تطهرهم النعمة ولا من هؤلاء الذين ينحنون أمام النكبات.

ويمدح آل بيت النبوة فيستخدم الكميت (حين) ظرفاً للزمان فيقول: (المتقارب)

مواهيب للمُنْفِسِ المُسْتَرَادِ لأمثاله حين لا موهب (4)

إن الهاشميين الكرماء يهبون النفس المطلوب حين يقل الفاعلون لذلك. وحين يتكلم على

إمامة علي - عليه السلام - يستخدم الظرف: يوم، يقول: (الوافر)

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو أطيعا (5)

يشير الكميت إلى ما روي عن الرسول من قوله لعلي -عليه السلام- عند غدير خم، بين مكة والمدينة، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وقوله: من كنت مولاه فعلي مولاه. ويتابع الكميت حديثه عن الإمام علي - كرم الله وجهه - فنلاقي ظرف زمان آخر: لدى، ذلك حين يقول:

1- البيت الرابع والسقون، الهاشمية الثالثة، ص 120

2- سورة القصص، آية 76.

3- سورة المعارج، آية 19 - 22.

4- البيت الخامس عشر، الهاشمية الخامسة، ص 190.

5- البيت التاسع، الهاشمية السادسة، ص 197.

(الوافر)

أضاعوا أمر قائدهم فضّلوا وأقومهم لدى الحدّثان ريعاً (1)

سابعاً: ظرف المكان

ومنها ظرف المكان، حيث استخدم ظرف مكانٍ خرج إلى الجار والمجرور نزولاً عند ضرورة الوزن الشعري، ذلك هو: جَنْبُ، حكاة الكميت في حديثه عن مقتل الحسين - عليه السلام:

(الطويل)

قتيل بجَنْبِ الطَّفِّ من آل هاشمٍ فيا لك لحماً ليس عنه مُذَبَّبُ (2)

وظرف مكان آخر في الهاشمية الثانية ورد في كلام الشاعر عن آل هاشم: (الطويل)

مَضَوْا سَلْفًا لا بدَّ أن مَصِيرَنَا إليهم فغادِ نحوهم متَأَوَّبُ (3)

لكنه يستخدم الظرف، عند، للمكان مضافاً حين يقول

(الطويل)

فإن يك هذا كافياً فهو عندنا وإني من غير اكتفاء لأوجلُ (4)

فالشاعر يتوجس متخوفاً ألا يكفي تعاطفه مع الهاشميين وارتعاده غيظاً عند الاساءة

إليهم، ذلك حين اكتفى بهذا الأمر دون الخروج معهم للقتال.

1- البيت الثالث عشر، الهاشمية السادسة، ص198.

2- البيت الثاني بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص85.

3- البيت الثامن بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص86.

4- البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الرابعة، ص183.

وظرف مكان آخر: (المنسرح)

ترفعهم تارة وتخفضهم إذا طفوا فوق آلهما رسبوا⁽¹⁾

إن الإبل تسير بأهلها نحو الهاشميين مرتفعين مرة ومنخفضين أخرى فوق السراب،

حيث نيل النقى والأجر. وعكس فوق: تحت، يقول: (المتقارب)

مقاري للضيف تحت الظلام موارئ للقادح المنقب⁽²⁾

يصفهم الكمية بالكرم حين تكون الحاجة لذلك أشد ما تكون، في الظلام، إذ يقرون الضيف ويشعلون النار لأجل ذلك. وبين هذا وذاك يقول عن أصحاب

كربلاء: (المتقارب)

كان خدودهم الواضحة ت بين المجر إلى المسحب⁽³⁾

وظرف مكان في الحديث عن الحسين ومقتله: (الطويل)

تهافت ذوبان المطامع حوله فريقان شتى ذو سلاح وأعزل⁽⁴⁾

حيث يصف الكمية هنا جريمة قتل الحسين وآله -عليهم السلام- فيشبه المرتدين

بالذئاب خسة ووضاعة ووقوعاً في الإجرام. وفي حديثه عن الثور، يورد ظرف مكان آخر:

وسط، حين يقول: (الطويل)

كان المطافيل الموالية وسنطه يجاوبهن الخيزران المنقب⁽⁵⁾

1- البيت الثاني والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 144.

2- البيت السابع عشر، الهاشمية الخامسة، ص 191.

3- البيت الثلاثون، الهاشمية الخامسة، ص 193.

4- البيت السادس والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص 168.

5- البيت التاسع والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 95

وفي موضع من مواضع حديثه عن ظلم حكام الأمويين، نجد ظرف مكان آخر:

(الطويل)

نباخا إذا ما الليلُ أظلمَ دونها وضربنا وتجويعا خبالاً مُخَبَّلٌ⁽¹⁾

وظرف مكان آخر: أمام ، جاء في قوله: (الطويل)

كشيعته والحرب قد تُقَيَّتْ لها أمامهم قدر تجيش ومرجلٌ⁽²⁾

وفي بيت آخر نجد ظرف المكان: حيثُ ، يقول: (الوافر)

فقل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا⁽³⁾

وفي أبيات ثلاثة استخدم الكمييت ظرفي الزمان والمكان معاً، فقال يمدح آل

البيت: (الخفيف)

ومغايير عندهن مغاوير رُ مساعيرُ ليلة الإنجام⁽⁴⁾

كما استعمل الكمييت ظرف مكان (تحت) ، مع ظرف زمان استخدمه الفرزدق مع

ذنبه: موهنًا ، لكن الكمييت يذكره في حديثه عن ناقته حين شبهها بالثور

الوحشي: (الطويل)

تَضَيَّقَهُ تَحْتَ الْأَلَاءِ مَوْهِنًا بظلماء فيها الرعد والبرق صَيَّبُ⁽⁵⁾

وقد فسر أبو رياش قائلا: "موهنًا: بعد عتمة".

1- البيت الرابع والثلاثون، الهاشمية الرابعة، ص160.

2- البيت الستون، الهاشمية الرابعة، ص170.

3- البيت الرابع عشر، الهاشمية السادسة، ص198.

4- البيت الثلاثون، الهاشمية الأولى، ص22.

5- البيت السابع والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص94.

ويختتم الكميّت هاشمياته بظرفي زمان ومكان: غداة ، و وراء، حين
يقول:

(الوافر)

فيا ندماً غداةً تركت زيدا ورائي لابن أمنة الأمين (1)

حيث يندم بعد مقتل زيد بن علي -عليهما السلام-، لأنه لم يخرج معه مقاتلاً.

ثامناً: الأشجار

وقد تضمنت الهاشميات مجموعة من أسماء الأشجار ، ففي حديثه عن آل البيت يقول
الكميت:

(الخفيف)

هجرة حوّت من الأوس والخزّ رجّ أهل الفسيل والأطام (2)

وقد فسر أبو رياش فقال: " الفسيل: النّخل الصّغار ، الجمع الفُسلان " و في اللسان: " والفسيّلة
الصغيرة من النخل ، والجمع فسائل وفسيل ، والفسلان جمع الجمع " (3).

ومن الأشجار ما تكون مصدراً لأدوات الحرب أكثر من غيرها: (الطويل)

إذا أنتجوا الحرب العوان حوارها وحنّ شريحاً بالمنايا وتنضب (4)

واقْتصر الشارح على قوله: " وتنضب: شجرة " ، وفصل اللسان فقال: " والتنضب: شجر ينبت
بالحجاز... أبو عبيدة: ومن الأشجار التّنضبُ وحدثها تَنْضُبَةٌ. قال أبو منصور وهي شجرة

1- البيت الثاني، الهاشمية الحادية عشرة، ص 205.

2- البيت السادس والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 28.

3- لسان العرب، (فسل).

4- البيت الواحد والستون، الهاشمية الثانية، ص 68.

ضخمة تقطع منها العُمد للأخبية... قال ابن سَلَمَة: النبع شجر القسي، وتنضب شجر تتخذ منه السهام " (1).

وإذا كان بعض الشجر مصدرًا لآلات الموت، فإن بعضه مأوى ومصدرٌ للشعور بالأمن، يقول الكميت عن الثور الوحشي وقد استمطر:

(الطويل)

تَضَيَّفَهُ تَحْتَ الْأَلَاءِ مَوْهِنًا بظلماء فيها الرعد والبرق صَيَّبُ (2)

وقد فسر أبو ريش قائلًا: "والألأء شجرة تأويها الثيران لبرد ظلها في الصيف ولتوقّي المطر في الشتاء"، أما اللسان فقال شارحًا: "الألاء بوزن العلاء: شجر ورقه وحمله دباغ، يُمدُّ ويُقصر، وهو حسن المنظر مُرُّ الطعم، ولا يزال أخضر شتاءً وصيفًا. واحدته ألأء" (3).

ومدح الكميت الرسول ﷺ فذكر نوعين اثنين من الشجر: (المنسرح)

أَكْرَمَ عِيدَانِنَا وَأَطْيَبَهَا عُوْدُكَ عُوْدُ النَّضَارِ لَا الْغَرْبُ (4)

ويقول أبو ريش مفسرًا: "النضار أكرم العيدان وأصلبها وهو الأثل وهو خير الخشب ولا تتخذ الأقداح الرقاق إلا منه... والغرب خوار رخو لا نفع فيه"، وفي اللسان: "النضار والنضار لغتان، والأول أعرف، قال: وهو أجود الخشب للأنية لأنه يُعمل منه ما رق من الأقداح واتسع وما غلظ ولا يحتمله من الخشب غيره"، وعن الغرب يقول: "... وقيل: الغرب والنضار ضربان من الشجر تُعمل منهما الأقداح... والغرب: ضرب من الشجر واحدته غربة، قاله الجوهري، وأنشد: عودك عود النضار لا الغرب" (5).

1- لسان العرب، (نضب).

2- البيت السابع والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص94.

3- لسان العرب، (الأ).

4- البيت الثامن والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص112.

5- لسان العرب، (نضر)، (غرب).

ويذكر الكميت في حديثه عن الحرب اسما لشجرة مرّة العصاراة (الصاب) , لكنّ الشارح

يفسرها بالشجرة: (المنسرح)

مبسورةً شارفاً مُصرمةً محلّوبها الصابُ حين تُحتلبُ (1)

ويقول أبو رياش: " والصاب والسّلع: شجر يقتل سُمّه " , بينما يقول اللسان: " الصاب والسلع ضربان من الشجر مران.

والصاب عصاراة شجر مرّ (2). وواضح من البيت أن البيت أن المعنى هو العصاراة لا الشجرة

؛ لأنّ المَحْلُوبُ لن يكون شجرة , بل سيكون سائلا وهو العصاراة.

ويمتدح الشاعر آل البيت – عليهم السلام – فيقول:

نَبَعْتُهُمْ فِي النُّضَارِ واسِطَةً أحرزها العيصُ عيصُها الأشبُ (3)

ويفسر أبو رياش فيقول: " والعيص: الشجر الملتف. والأشب مثله واسطة بين الشجر فهو أروى وأغض , والنبعة والشجرة: يريد أن أصلهم أكرم الأصول " , وفي اللسان توضيح وتصحيح إذ يقول: " والنبع شجر، و زاد الأزهري: من أشجار الجبال تتخذ منه القسيّ , قال وربما اقتدح به , الواحدة نبعة... وقال مرة: النبع شجر أصفر العود رزينه ثقيله في اليد وإذا تقادم احمرّ , قال: وكل القسيّ إذا ضُمَّتْ إلى قوس النبع كَرَمَتْهَا قوس النبع " , وعن العيص يقول: " والعيص: السدْرُ الملتفّ الأصول وقيل: الشجر الملتفّ النابت بعضه في أصول بعض يكون من الأراك ومن السدْر والسلمّ والعوسج والنبع , وقيل هو جماعة الشجر ذي الشوك... وعيص أشب: مُلْتَفّ (4). أما الأشب الذي يفسره الشارح شجرا , فيقول عنه اللسان: " أشبّ الشيء

1- البيت الواحد والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص116.

2- لسان العرب، (صوب).

3- البيت الثالث والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص126.

4- لسان العرب (نبع) و (عيص).

يَأْشِبُهُ أَشْبًا: خَطَّه... الأَشْبُ شدة التقاف الشجر وكثرتَه حتى لا مجاز فيه⁽¹⁾ , فاللسان لا يذكر الأَشْبَ على أنه نوع من الشجر , كما أن تركيب البيت يدل بوضوح, على أن الأَشْبَ صفة للعِص.

ويتابع الكميت مدحه للهاشميين , فيذكر نوعا آخر من الشجر حين يقول: (المنسرح)

يا خير من ذَلَّتْ المَطْيُ له أنتم فروع العِضاهِ لا الشَّدْبُ⁽²⁾

ويفسر أبو رياش قائلا: " والشذب القشور. والعضاه: جمع عِضَة وهي شجرة مَشوكة " , ويفسر اللسان فيقول: " والعضاه من الشجر: كل شجر له شوك... وقيل: العضاه اسم يقع على ما عَظُمَ من شجر الشوك وطال واشتد شوكه , فإن لم تكن طويلة فليست من العضاه... والواحدة عِضَاهَةٌ وَعِضَهَةٌ وَعِضَةٌ وَعِضَةٌ , وأصلها عِضَهَةٌ " (3).

ويستمطر الثور الوحشي هذه المرة بالأرطاة , بعدما لجأ قبلا إلى الألاءة:

(المنسرح)

في كِنِّ أرطَاتِهِ يلوذ بها ضَيِّقًا قِرَاهِ السُّهَادِ وَالوَصْبُ⁽⁴⁾

حيث فسر أبو رياش فقال: " يقول: يَسْتَكِنُّ بالأرطاة , وهي شجرة , فهو يتوقى المطر بها والبرد " , ويفصل اللسان فيقول: " الأرطى: شجر ينبت بالرمل , قال أبو حنيفة: هو شبيه

بالغضى ينبت عِصِيًّا من أصل واحد يطول قدر قامة... واحده أرطاة " (5).

1- لسان العرب، (أشب).

2- البيت التاسع والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص128.

3- لسان العرب، (عضه).

4- البيت السابع بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص135.

5- لسان العرب، (أرط).

وعن حال آل البيت تحت حكم الظالمين المرتدين , يقول الكميت جامعا بين الألاء

(الطويل)

والحرمل:

وأظماؤنا الأعشارُ فيها لَدِيهِمْ ومَرْتَعْنَا فِيهِمْ أَلَاءٌ وَحَرْمَلٌ (1)

حيث يفسر الشارح فيقول: " وألاء وحرمل: شجرتان تعافهما الماشية , الواحدة ألاءة " , وفي اللسان: " الحرمل نوعان: نوع ورقه كورق الخلف... وفي امتناع الحرمل عن الأكله قال طرفه ذاماً قوما:

هُمُ حَرْمَلٌ أَعْيَا عَلَى كُلِّ آكَلٍ مَبِيئًا وَلَوْ أَمْسَى سَوَامُهُمْ دَثْرًا " (2).

وأخيراً يجمع الكميت بين نوعين آخرين من الشجر: المرخ والعفار في سياق مدحه

(المتقارب)

الهاشميين , فيقول:

إِذَا الْمَرِّخُ لَمْ يُورَ تَحْتَ الْعَفَارِ وَضُنَّ بِقَدْرِ فَلَمْ تُعَقَّبِ (3)

وفسر أبو ريش فقال: " المرخ والعفار شجرتان توريان النار " , أما اللسان فيفصل قائلا: " والمرخ شجر كثير الورني سريعه. وفي المثل: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار... قال الشاعر: إذا المرخ... البيت , واحده مرخة " , وعن العفار يقول: " والعفار شجر يتخذ منه الزناد. وقيل في قوله تعالى: " أفرايتم النار التي تورون أنتم أنشأتم شجرتها " , إنها المرخ والعفار... واحده عفارة " (4).

1- البيت الواحد والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص163.

2- لسان العرب، (حرمل).

3- البيت الثامن عشر، الهاشمية الخامسة، ص 191.

4- لسان العرب، (مرخ)، (عفر)، والآية: 72 من سورة الواقعة.

تاسعاً: الألوان

هذا ، وقد استخدم الكميت في هاشمياته مجموعة من الألوان وظفها لخدمة غرضه الشعري، يدعم بوساطتها المعنى، وهو ما عرف فيما بعد بالتدبيح، وهو لون من ألوان البديع تُستخدم فيه الألوان للتعبير عن المعاني، فقال في واحدة من مقدماته الطللية:

(الخفيف)

طارقاتٍ ولا ادِّكارٍ غوانٍ واضحات الخدود، كالآرام (1)

وفسر أبو رياش فقال: " واضحات الخدود: بيضُها " ، وفي اللسان: " الوَضْحُ: البياض من كل شيء... وإنه لو واضح الجبين إذا ابيضَ وحسُن... " (2).

كما استخدم الشاعر ذات اللفظ، الواضح، في حديثه عن آل البيت ومذبحتهم على أيدي المرتدين، إذ يقول:

(المتقارب)

كأن خدودهم الواضحا ت بين المجرِّ إلى المسحَب (3)

ويمتدح الهاشميين فيذكر اللون الأبيض بلفظه قائلاً:

(الخفيف)

سادة زادة عن الخردِّ البِيـ ض إذا اليوم كان كالأيام (4)

ثم يذكر اللون الأسود ، بلفظ الغُدا ف ، إذ يقول:

(الطويل)

وشبيبة قد أتوى ببدن ينوشه غُدا ف من الشهب القشاعِم أهدب (5)

1- البيت الثاني، الهاشمية الأولى، ص 12.

2- لسان العرب، (وضح).

3- البيت الثلاثون، الهاشمية الخامسة، ص 193.

4- البيت التاسع والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 22.

5- البيت السادس والتسعون، الهاشمية الثانية، ص 83.

ويُفسر الشارح: "وغداف: أراد نَسْرًا" , ويقول اللسان: "وشعر غُداف: أسود وافر... وجناح غداف: أسود طويل" (1).

ويأتي الكميت باللون الأسود , لكن بلفظ آخر: غيهب , فيقول عن الثور: (الطويل)

يُكالي من ظلماء ديجور حِنْدِسِ . إذا سار فيها غَيْهَبٌ حَلَّ غَيْهَبٌ (2)

حيث يفسر الشارح أبو رياش قائلا: "وغيهب: أسود" , وفي اللسان قريب من ذلك: "الغيهب: شدة سواد الليل والجمل ونحوه , يقال: جَمَلٌ غَيْهَبٌ: مُظْلِمُ السواد , وأسود غيهب شديد السواد" (3).

ويستخدم الكميت لونا بين الأبيض والأسود هو الأورق حين يتكلم عن الأثافي:

جُرْدٌ جِلادٌ مُعْطَفاتٌ على الـ أَوْرقٌ لا رِجْعَةٌ ولا جَلْبُ (4)

ويفسر أبو رياش فيقول: "قوله معطفات على الأورق , أي على الرماد في لونه سواد وبياض" , فالتفسير لكلمة (أورق) علما أن الكلمة الواردة في البيت هي الأقرن ومعناها كبير القرنين , ولم يُفسر الأقرن بغير هذا المعنى في اللسان , أما الأورق ففسره اللسان: "والأورق: الذي لونه بين السواد والغبرة , ومنه قيل للرماد أورق" (5).

1- لسان العرب، (غداف).

2- البيت الثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص96.

3- لسان العرب، (غهب).

4- البيت الخامس، الهاشمية الثالثة، ص101.

5- لسان العرب، (ورق).

ويتابع الكميت حديثه عن الأثافي , فيأتي على ذكر لونين آخرين: الأذمة

(المنسرح)

والدهمة:

أُنخِنَ أذْمًا فَصَرْنَ دُهُمًا وَمَا غَيْرَهُنَ الْهِنَاءَ وَالْجَرَبَ (1)

إذ يفسر أبو ريش ذلك فيقول: " والأدماء: السوداء من كل شيء إلا من الإبل والظباء... دهُمًا سودًا من النار " , وفي اللسان: " والأذم من الظباء بيضٌ تلوهن جُدَدٌ فيهن غُبْرَةٌ... والأذمة السُمْرَةُ. والأذم من الناس الأسمر " , وعن الدهمة يقول: " والدهمة من ألوان الإبل: أن تشتد الورقة حتى يذهب البياض... وقيل: الأدهم من الإبل نحو الأصفر إلا أنه أقل سوادًا" (2).

ثم يذكر الشاعر الأبيض والأسود بلفظيهما في بيت واحد , حين يقول:

(المنسرح)

فَاسْتَبَدَلْتُ بِالسَّوَادِ أَبْيَضَ لَا يَكْتُمُهُ بِالْخِضَابِ مُخْتَضِبُ (3)

وفي مديحه لآل البيت – عليهم السلام – يستخدم الكميت اسما آخر للأبيض ,

(المنسرح)

فيقول:

زُهِرَ أَصْحَاءَ لَا حَدِيثَهُمْ وَاهٍ وَلَا فِي قَدِيمِهِمْ عَطَبُ (4)

وفسر أبو ريش فقال: " زُهِرَ: ببيض , الواحد أزهَر " , وفي اللسان: " والزُهْرَةُ: البياض... قال

شمر: الأزهر من الرجال الأبيض العتيق البياض النير الحسن , وهو أحسن البياض" (5)

1- البيت السابع، الهاشمية الثالثة، ص102.

2- لسان العرب، (أدم)، (دهم).

3- البيت السابع والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص109.

4- البيت الثامن والستون، الهاشمية الثالثة، ص121.

5- لسان العرب، (زهر).

ولون آخر هو التّوليع , يذكره في سياق وصفه ناقته:

(المنسرح)

كأنها الناشطُ المولعُ ذو الـ عينة من وحشٍ لينة الشَّببُ (1)

ويفسر أبو رياش فيقول: " المولع الذي به توليع من سواد وبياض " وفي اللسان: " والتوليع التلميع من البرص وغيره. وفرس مولع: تلميعه مستطيل وهو الذي في بياض بَلَقِه استطالة وتفرق... قال الأصمعي: فإذا كان في الدابة ضروب من الألوان من غير بَلَقٍ فذلك التوليع"(2)

وحين يصف الكميت حال الهاشميين تحت نير الظلم والجور , يورد الشاعر لونا آخر

هو الحوة فيقول:

(الطويل)

لنا وتلاع الأرض حوٌّ مريعة سنام أمالته الخطائط أميل (3)

" والحو: التي تضرب خضرتها إلى السواد من شدة الري " يقول أبو رياش , وفي اللسان: "وجميم أحوى: يضرب إلى السواد من شدة خضرتة , وهو أنعم ما يكون النبات... والأحوى: الأسود من الخضرة"(4). والجميم: النبات كما يقول اللسان.

ويتابع شاعر آل البيت مدحه فيقول:

(المتقارب)

مساميح بيض كرام الجدود مراجيح في الرَّهَجِ الأصْهَبِ (5)

" والصُّهْبَةُ غَبْرَةٌ كلون التراب " يقول أبو رياش , أما في اللسان فجاء: " الصُّهْبَةُ: الشُّقْرَةُ في شعر الرأس , وهي الصُّهْبَةُ... وقيل: الأصْهَبُ من الإبل الذي يخالط بياضه حُمْرَةً , وهو أن

1- البيت الرابع بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص134.

2- لسان العرب، (ولع).

3- البيت العشرون، الهاشمية الرابعة، ص 154.

4- لسان العرب، (حو).

5- البيت الثاني عشر، الهاشمية الخامسة، ص189.

يحمّر أعلى الوبر وتبييض أجوافه " (1).

وعلى نفس الصعيد وفي ذات السياق , يقول: (المقارب)

أكارم غرّ حسان الوجوه مطاعيم للطارق الأجنب (2)

حيث يفسر الشارح قائلا: " غرّ: جمع أغرّ وهم البيض " , وفي اللسان نجد بعض التفصيل: " الأغرّ: الأبيض من كل شيء... ورجل أغرّ الوجه إذا كان أبيض الوجه من قوم غرّ وغرّان" (3).

وإذا استعرضنا أشعار الكميت في الهاشميات، لوجدناه يستخدم ألفاظاً ضامنة كثيرة

تتضمن غيرها، ومن ذلك، ذكره كلمةً عليا ضامنة هي، غوان، إذ يقول: (الخفيف)

طارقات ولا أدكار غوان واضحات الخُدود كالآرام (4)

إذ يفسر أبو ريش فيقول: " والغواني: النساء كلهن غوان , فبعضهن غنيت بزوجها , وبعضهن

غنيت بجمالها ". أما في تفسيره للبيت:

إذ لمّتي جنة أكفّها تضحك مني الغواني العجب (5)

فيقول: " والغواني: النساء اللاتي غنين بحسنهن عن الزينة " , ويفسر اللسان فيقول: " الغانية التي غنيت بحسنها وجمالها عن الحلي... الغانية: الجارية الحسنة , ذات زوج كانت أو غير ذات زوج , سميت غانية لأنها غنيت بحسنها عن الزينة " (6). فالغانية , بمعنى الجميلة التي غنيت بذلك الجمال عن الجمال المصنوع المجتلب , هي كلمة عليا مشتملة وغطاء لكلمات , منها

1- لسان العرب، (صهب).

2- البيت السادس عشر، الهاشمية الخامسة، ص190.

3- لسان العرب،(غرر).

4- البيت الثاني، الهاشمية الأولى، ص 12

5- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص109

6- لسان العرب، (غنا).

ما جاء في قوله:

(الطويل)

طَرَبْتُ وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لَعِباً مني أذو الشيب يلعب (1)

وفي قوله:

(البيسط)

سَلَّ الهُموم لِقَلْبٍ غير متبول ولا رَهين لَدَى بِيضَاءِ عَطْبُولٍ (2)

إذ يفسر أبو رياش قائلا: "عطبول: حسنة العنق والجمع عطابيل", وفي اللسان: "جارية عَطْبُلٌ وعَطْبُولٌ وعَطْبُولَةٌ وعَطْبُولٌ: جميلة فتية ممثلة طويلة العنق... والعَطْبُلُ والعَطْبُولُ من الطباء والنساء: الطويلة العنق" (3).

ومن الغواني كذلك الكواعب, يقول الكميث:

(المنسرح)

وأَسْتَبِي الكاعِبِ العَقِيلَةَ إذ أسْهَمِي الصائِبَاتُ والصَيْبُ (4)

ويشرح أبو رياش الكلمة في موطن آخر فيقول: "الكاعب وهي التي قد كَعَبَ ثديها وناهزت البلوغ", بينما يشرحها اللسان قائلا: "وَكَعَبَ الثدي يَكْعُبُ وَكَعَبَ, بالتخفيف والتشديد: نَهَدَ... وقيل: التقليل, ثم النهود, ثم التكهيب", وعن التقليل يقول اللسان: "فَلَّكَ ثدي الجارية تَقْلِيكًا, وتَقْلَلُكَ: استدار... وفَلَّكَ ثديها وفَلَّكَ وأَفَلَّكَ: وهو دون النهود" (5), وواضح من مجموع الكلام أن الكاعب ليست هي التي (ناهزت) البلوغ, بل قد بلغت وأصبحت أهلا لأن تستبي الشاعر, وأن تكون من جزاء المتقين في الجنة, كما قال تعالى في جزاء المتقين في الجنة: [وَكواعِبَ

1- البيت الأول، الهاشمية الثانية، ص43.

2- البيت الأول، الهاشمية السابعة، ص200.

3- لسان العرب، (عطل).

4- البيت الرابع والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص108.

5- لسان العرب، (كعب)، (فلك).

أُتْرَابًا] ⁽¹⁾. وثمة لفظ آخر أعلى ضامن يشمل كلمات سفلى مضمونة ، ذلكم هو العيب في قوله:

(المنسرح)

والسالمون المُطهرون من الـ سعيب ورأس الرؤوس لا الذنب ⁽²⁾

ومن متواصلاتها ما جاء في مدح آل البيت -عليهم السلام-: (الخفيف)

للقريبين من ندى والبعيدـ ن من الجور في عرى الأحكام ⁽³⁾

ولا شك أن الجور من العيوب التي طُهر آل البيت منها. ومن الألفاظ المتضمنة في

العيب ما جاء في قوله: (الخفيف)

مُسْتَفِيدِينَ مُتْلِفِينَ مواهـ ب مطاعيم غير ما أبرام ⁽⁴⁾

ويُفسر الشارح: " والبرم الذي لا يأخذ مع القوم اللحم في الميسر ولا يدخل في قمارهم ، ولا

يُهدي حين يُهدى إليه ، والجمع أبرام " ، وفسر اللسان قريبا من ذلك وزاد: " الأبرام: اللئام ⁽⁵⁾

ومن الألفاظ المشمولة في لفظ العيب ما جاء في: (الخفيف)

لا مهاذير في النذي مكائبـ ر ولا مُصنّتين بالأفحام ⁽⁶⁾

فهم لا يكثر الكلام بلا فائدة ، وإذا تكلموا فلا أحد يفهمهم ويصمتهم. ومنها

أيضا: (المنسرح)

زُهر أصحاء لا حديثهم واه ولا في قديمهم عَطْبُ ⁽⁷⁾

1- سورة النبأ، آية 33.

2- البيت السابع والستون، الهاشمية الثالثة، ص121.

3- البيت الرابع، الهاشمية الأولى، ص12.

4- البيت السابع عشر، الهاشمية الأولى، ص16.

5- لسان العرب، (برم).

6- البيت الثامن والعشرون، الهاشمية الأولى، ص21.

7- البيت الثامن والستون، الهاشمية الثالثة، ص121.

فهم خيرون قديما وحديثا و " أولهم وآخرهم واحد في الكرم والشجاعة " كما يقول الشارح.

ومن العيب الذي قد طُهرُوا منه كذلك حضور الخنا وشهوده: (المنسرح)

لا شُهْدَ لِلخُنا ومنطقه ولا عن الحِلم والنُهْي غَيْبُ (1)

ويقول الشارح: "والخنا: الكلام القبيح"، واللسان كذلك.

وإذا كان آل البيت مترفعين عن العيوب، فإن المرتدين قد انغمسوا بالعيوب والمناقص

حتى النواصي، يقول شاعر الهاشميين: (الطويل)

فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو أن ذا الميل يعدل (2)

فالمساوي هي الكلمة الغطاء الضامنة لسوئهم، ومن تلك المساوي: (الطويل)

وعُظِّلت الأحكام حتى كأننا على ملة غير التي نتحل (3)

وهذه هي أم المساوي وعمودها، كما يصفه عمر بن عبد العزيز -عليه السلام- في

حديثه مع عمته حين وصف ما انتهى إليه الأمر من شق السواقي من نهر الإسلام حتى جف هذا النهر تماما (4).

ويتبع ببيت آخر يقول: (الطويل)

كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعل (5)

1- البيت الخامس والسبعون، الهاشمية الثالثة، ص123.

2- البيت الثالث، الهاشمية الرابعة، ص147.

3- البيت الرابع، الهاشمية الرابعة، ص147.

4- يُنظر: ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص160.

5- البيت الخامس، الهاشمية الرابعة، ص148.

حيث يفسر الشارح: "... يعني بني مروان يتكلمون بالحق ويأمرون به ، ويفعلون خلاف ذلك".
ومن تلك المساوي كذلك استغلال موارد الأمة ، حيث يقول الكميت: • (الطويل)

تَمَقَّقْ أَخْلَافَ الْمَعِيشَةِ مِنْهُمْ رِضَاعًا وَأَخْلَافَ الْمَعِيشَةِ حُقْلٌ (1)

ويشرح أبو رياش هذا الواقع فيقول: " المَتَمَّقُّ الذي يرضع مرة بعد مرة وهو شعبان ، يقول يمتلئ جوفه ولا تمتلئ عينه " ، ويفسر اللسان التمتع: " امتَقَّ الفصيل ما في ضرع أمه وامتكَّه وتمقَّقه: شرب كل ما فيه امتقاقا وامتكاكا ، وكذلك الصبي اذا امتص جميع ما في ثدي أمه "(2).
وقد أوردت لنا كتب التاريخ مثالا على ذلك التمتع والانتهاز ، إذ كان أولئك المرتدون يأخذون الذهب والفضة من الغنائم ويردون الباقي إلى بيت المال (3).

ويردف الكميت فيدمغهم مرة أخرى بالردة فيقول: (الطويل)

لَهُمْ كُلَّ عَامٍ بَدْعَةٌ يُحَدِّثُونَهَا أَزَلُّوا بِهَا أُتْبَاعَهُمْ ثُمَّ أَوْحَلُوا (4)

ويفسر الشارح فيقول: " أزَلُّوا: من الزلل. وأوَحَلُوا: من الوحل " ، ويفصل اللسان فيقول: "وزل في رأيه ودينه يَزَلُّ زَلًّا وَزَلَلًا... وقيل: أزلهما الشيطان أي كَسَبهما الزَّلَّة... وفي حديث عبد الله بن أبي السرح: فأزله الشيطان فلحق بالكفار أي حمله على الزلل وهو الخطأ والذنب " ، أما أوحل فيفسرها بقوله: " وَحَلَّ ، بالكسر ، يُوَحِّلُ وَحَلًّا فَهُوَ وَحَلٌّ وَوَحَلٌّ: وقع في الوَحَلِّ... وأوَحَله غيره: إذا أوقعه فيه "(5). وكما نُحِّيَ الإسلامُ عن الحكم بالأموال ، فقد أقصي كذلك عن الحكم بالدماء. يقول:

1- البيت الرابع عشر، الهاشمية الرابعة، ص152.

2- لسان العرب، (مق).

3- يُنظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، مج 4، ص187.

4- البيت السابع والثلاثون، الهاشمية الرابعة، ص161.

5- لسان العرب، (زل)، (وحد).

(الطويل)

تحل دماء المسلمين لديهم ويخرم طلع النخلة المتهدل (1)

يقول أبو رياش: "ويقال: إنهم لا يدعون أحدا يمشي بين نخله ويمسه حتى يؤدي خراجه فإن هو مسه قبل ذلك قتل". لكن الأمر أبعد من ذلك وأخطر، فقد استحلّت دماء المسلمين بعيدا عن النخل وخراجه، وما مقتل حجر بن عدي (2) -رضي الله عنه- إلا مثلا على ذلك، ناهيك عن قتل الحسين وآله -عليهم السلام-.

بل إن الكميّة ليضعهم إلى جانب الرهبان في الابتداع والابتعاد عما أنزل الله سبحانه و تعالى:

(الطويل)

كما ابتدع الرهبان ما لم يجئ به كتاب ولا وحي من الله مُنزل (3)

(الطويل)

ذلك بعدما قالها صريحة:

وعطّلت الأحكام حتى كأننا على ملّة غير التي نتنحل (4)

ويصف الكميّة حال آل البيت وكل من قال لا لذلك الظلم وأهله: (الطويل)

رضوا بفعال السوء في أهل دينهم فقد أيتّموا طورا عدا وأنكّلوا (5)

1- البيت الأربعون، الهاشمية الرابعة، ص162.

2- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ص187، ج4.

3- البيت التاسع والثلاثون، الهاشمية الرابعة ص162.

4- البيت الرابع، الهاشمية الرابعة، ص147.

5- البيت الثاني والثلاثون، الهاشمية الرابعة، ص160.

ويلخص الكميت ، وهو واحد من ضحايا فعال السوء تلك ، قُتل لا لذنب إلا لأنه قال للظلم

وأهله لا، ووقف مدافعا عن الحق منافحا عن أهله ، يلخص فعال السوء بقوله: (الطويل)

وما ضَرَبَ الأمثالَ في الجورِ قبلنا لأجورَ من حُكَّامنا المَتمثلُ (1)

وأي جور أكثر من أن تسفك دماء المسلمين ، وقتل واحد منهم فقط يخاد صاحبه في جهنم [ومن

يقتل مؤمناً مُتعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً عظيماً] (2).

1- البيت الثاني، الهاشمية الأولى، ص 12.

2- النساء، آية 93.

المشترك اللفظي

يقول السيوطي في المزهري، معرفاً المشترك اللفظي: "وقد حدّه أهل الأصول بأنه اللفظ

الواحد الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة" (1)

ويعرفه صبحي الصالح، بعد أن ذكر تعريف السيوطي قائلاً: "هو ما اتحدت صورته

واختلف معناه" (2). وحده عند علي عبد الواحد وافي: "أن يكون للكلمة الواحدة عدة معانٍ،

تُطلق على كلِّ منها، على طريق الحقيقة لا المجاز" (3). ويرى توفيق شاهين أن المشترك

اللفظي هو: "ما اتحدت صورته واختلف معناه، على عكس الترادف، أو أن يكون للكلمة الواحدة

عدة معانٍ تطلق على سبيل الحقيقة لا المجاز" (4).

وعرفه الأملي بأنه: "وضع اللفظ الواحد مادة وهيئة بإزاء معنيين متغايرين أو أكثر" (5)

أما إبراهيم أنيس فيقول هو: "... نوع من الكلمات رُويت لنا متّحدة الصورة، مختلفة المعنى،

وقد تعود القدماء أن يسموا هذا النوع من الكلمات بالمشترك اللفظي" (6).

ويرى إبراهيم أنيس، أن المشترك اللفظي يتحقق حين يعبر اللفظ الواحد عن معنيين

متباينين كل التباين؛ ذلك لأن المشترك اللفظي الحقيقي، إنما يكون حين لا نلمح أي صلة بين

المعنيين" (7). أما عند (بالمر)، الذي يسميه تعدد المعاني، فإن المشترك اللفظي يتحقق عندما

يكون للكلمة الواحدة مجموعة من المعاني المختلفة (8).

1- السيوطي، جلال الدين: المزهري، ص 217.

2- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، ص 302.

3- وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 189.

4- شاهين، توفيق: المشترك اللغوي، ص 28.

5- عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ص 158.

6- أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، ص 192.

7- ينظر: أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ص 213 و 214.

8- ينظر: بالمر: علم الدلالة، ص 116.

٤١٢، ٦
شماره اول
لغة عربية في القادسية

All Rights Reserved - Library of
University of Jordan - Center of
Thesis Deposit

وفي لسان العرب، نقرأ: " واسم مشترك: تشترك فيه معانٍ كثيرةٌ كالعين ونحوها، فإنه يجمع معاني كثيرةً "(1). أما كيف يظهر المشترك اللفظي، ويكون للفظ الواحد معانٍ متعددة، أو معنيين اثنين، فيقول السيوطي في مزهره إن ذلك ممكن إما من واضعين يضع أحدهما لفظاً لمعنى معين ثم يضع آخر نفس اللفظ لمعنى مختلف، ثم يستمر ذلك وينتشر، أو أن يكون ذلك الوضع من شخص واحد بهدف التعمية والإيهام على السامع.(2)

ويرى علي وافي، أن المشترك اللفظي في العربية، قد نشأ من عوامل كثيرة، أهمها اختلاف اللهجات العربية القديمة، والتطور الصوتي.(3) غير أن أبا علي الفارسي يرى غير ذلك، فينبغي من وجهة نظره ألا يكون اختلاف المعنيين واتفاق اللفظين مقصوداً من الواضع، بل أن يكون من لغات متعددة قد تداخلت فيما بينها أو أن تكون كلمة قد استعملت لمعنى ما ثم استعيرت لمعنى آخر حتى يشتهر ويشيع، ويصبح كالمعنى الأصلي.(4)

ويقول حسن ظاظا: " ومن الأسباب الرئيسة لوقوع المشترك في اللغة، وجود كلمة هي هي من حيث اللفظ عند أكثر من قبيلة، مع اختلاف المعنى أو الاستعمال في كل من هذه القبائل، فإذا ما حدثت وحدة بينها اكتسب اللفظ أكثر من معنى من القبائل التي كانت تستعمله"(5) ويرى فندريس أن المجاز كان السبب في خلق جزء كبير من المشترك اللفظي، لكن هذا المجاز، كما يقول، سرعان ما يُنسى ليصبح المعنى الجديد الذي كان المجاز طريقه إلى اللغة " لا يقلُّ في حقيقته عن المعنى الأول الذي كان له ".(6)

1- ابن منظور، لسان العرب، (شرك).

2- ينظر: السيوطي: المزهر، ص 217.

3- ينظر: وافي: فقه اللغة، ص 192.

4- ينظر: الصالح، صبحي: فقه اللغة، ص 303.

5- ظاظا، حسن: كلام العرب من قضايا اللغة العربية، ص 110.

6- ينظر: شاهين، توفيق: المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً، ص 58.

بينما يرى أولمان، كما يقول أحمد مختار عمر، أن للمشترك اللفظي طريقين هما التغيير في استعمال الكلمات، وشعور المتكلم بالحاجة إلى الاختصار، ويسوق مثلاً على ذلك استعمال كلمة (عملية) وأنه مما يُوجب التَّنْثُر، الحاجة إلى التتويه أنك ستعمل عملية جراحية وأنت في المستشفى، بينما نعيش نحن اليوم عكس ذلك تماماً ؛ فإذا كان أحدهم مريضاً جداً، أصبح من الحاجة الماسة أن يذكر أنه سيعمل عملية (جراحية) وليس فقط (عملية) ؛ ذلك بسبب التغيير في استعمال هذه الكلمة، أما السبب الآخر فهو المجاز واستعماله.⁽¹⁾

أما إبراهيم أنيس فيعدد جملة من الأسباب التي أدت إلى ظهور المشترك اللفظي على رأسها " الانتقال من الحقيقة إلى المجاز وهذا هو أهم العوامل ".⁽²⁾ مع أنه لا يعتبر المجاز مشتركاً لفظياً إذا " اتضح أن أحد المعنيين هو الأصل وأن الآخر مجاز له"⁽³⁾ علماً أنه يتحدث عن المجازات المنسية، وصعوبة البحث عنها، تلك المجازات التي كثر استعمالها ونُسيت مجازيتها، فأصبحت حقيقية، الأمر الذي يوحي بما في كلام إبراهيم أنيس من اختلاف بين كتابي اللهجات ودلالة الألفاظ، لذا أجدني مدفوعاً إلى التصريح بما ألاحظه من خلط في موقفه، الأمر الذي أوحى به أحمد مختار عمر.⁽⁴⁾

هذا، وقد اختلف موقف علماء اللغة من المشترك اللفظي، عنه تجاه الترادف، فقد أجمع العلماء على وجوده، رغم أن البعض قد ضيق مفهومه حين أخرج من نطاقه المجاز كابن درستويه قديماً، وإبراهيم أنيس حديثاً، الذي يقول عنه: " يقع مثل هذا في كل اللغات دون إسراف فيه، ودون أن يتجاوز ذلك عدداً ضئيلاً جداً من ألفاظه "⁽⁵⁾ ويتحدث ابن فارس فيقول: "... وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو: عين الماء وعين المال وعين السحاب"⁽⁶⁾، فهو

1- عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ص 166.

2- أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، ص 195.

3- أنيس إبراهيم: دلالة الألفاظ، ص 213.

4- ينظر: عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ص 179.

5- أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ص 212.

6- ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة، ص 96.

مُعترفٍ مُقرِّ به. وفي المزهَر يقول السيوطي: "والأكثرون أيضاً على أنه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ"⁽¹⁾ بل لقد عدّه السيوطي كما يقول أحمد مختار عمر من أعظم إعجاز القرآن الكريم⁽²⁾. ويرى فيه صبحي الصالح "مقدمة طبيعية (لثراء) كل لغة تشتمل على جملة طيبة منه"⁽³⁾. وهذا الكلام جدُّ شبيهه بكلام توفيق شاهين الذي عدّه عاملاً من عوامل تنمية العربية⁽⁴⁾.

وبعد، فلا مناص من وجود السلبية مهما كانت الإيجابيات، مما ينطبق على موضوعنا، المشترك اللفظي، إذ يعتبر أحمد مختار عمر أن الغموض الذي قد يلف المعنى ويؤثر على الإفهام، هو أخطر ما يمكن أن يؤدي إليه المشترك اللفظي مما يؤدي إلى "صراع بين المعنيين أو المعاني يحمل نتائج لغوية هامة قد تتصل بوجود الكلمة ذاتها"⁽⁵⁾

وبعد هذا التقديم، ندخل فيما وجدناه عند الشاعر من المشترك اللفظي، فقد استخدم

الكلمة أحلام بمعنيين مختلفين حين قال:

من لِقَلْبٍ مُتَيْمٍ مُسْتَهَامٍ غيرِ ماصْبُورَةٍ ولا أَحلامٍ

كما قال عن آل البيت - رضي الله عنهم وأرضاهم -: (الخفيف)

وهم الأرفون بالناس في الرأ فة والأحلمون في الأحلام⁽⁶⁾

1- السيوطي، جلال الدين: المزهَر، ص 217.

2- بنظر: عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ص 148.

3- الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص 305.

4- شاهين، توفيق: المشترك اللغوي، ص 38.

5- عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ص 183 - 184.

6- البيتان الأول والواحد والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 11 و ص 25.

فالكلمة الأولى هي ما يراه النائم، حيث يصفها الشاعر في البيت التالي لذلك البيت بقوله:
 طارقات أي قادمة ليلاً. أما الثانية فهي الحلماء لاهل الحلم والعقل والأناة، وفي لسان العرب: "
 وأحلام القوم: حلماءهم، ورجل حلم من قوم أحلام وحلماء".⁽¹⁾

كما استخدم الكميت لفظ الآرام، فقال:

(الخفيف)

طارقاتٍ ولا أدكارٍ غوانٍ واضحاتِ الخدود كالآرام

وأشئتُ بنا مصادِرُ شتى بَعْدَ نَهْجِ السَّبِيلِ ذِي الآرَامِ⁽²⁾

والأولى منهما تعني "الظباء البيض، والواحد رثم" كما يقول أبو رياش، والأخرى فسرها
 الشارح قائلاً: "الأعلام الواحد أرم".

واستعمل الكميت كذلك الوضخ وهو البياض، للتعبير عن الجمال مرة، وعن المجد

والشرف مرة أخرى، فقال:

(الخفيف)

طارقاتٍ ولا أدكارٍ غوانٍ واضحاتِ الخدود كالآرام

وقال في مقتل الحسين - عليه السلام - وأصحابه:

(المتقارب)

كان خدودهم الواضحا ت بين المجرّ إلى المسحب

وقال كذلك في آل البيت:

(الخفيف)

واضحى أوجه كريمي جدود واسطي نسبةٍ لهامٍ فهام⁽³⁾

1- ابن منظور: لسان العرب، (حلم).

2- البيتان الثاني والتاسع والستون، الهاشمية الأولى، ص12 و ص32.

3- الأبيات الثاني من الهاشمية الأولى ص12، والثلاثون من الهاشمية الخامسة، ص193، والثالث عشر من الهاشمية الأولى ص15.

حيث شرح أبو ريش فقال في الأول: " واضحات الخدود: بيضها "، وفي الثاني:
 "الواضح: الأبيض المشرق، والوضخ: البياض"، وفي الأخير: " الواضح البين، والوضخ البيان،
 ومنه وضخ النهار يعني به ضوءه"، فالتقى الشرح على البياض والوضوح، لكن العرب
 استخدمت الوضخ والبياض والبيان للتعبير - إضافة إلى الجمال - عن الشرف والمجد والرفعة.
 كما وصف الكميت الهاشميين:

(المُسرح)

زُهْرٌ أصْحَاءٌ لا حديثهم واهٍ ولا في قديمهم عَطْبُ (1)

وجاء في اللسان، تفسيراً لكلمة زُهر في البيت: " قال شمر: الأزهر من الرجال: الأبيض
 العتيق البياض النير الحسن وهو أحسن البياض كأن له بريقاً ونوراً يزهر كما يزهر النجم
 والسراج". (2) وفسر أبو ريش ذلك: " زُهرٌ: بياض، الواحد أزهر". ومدح أحدهم، فقال: صَلَّتْ
 الجبين وفي عرينه شَمَمٌ، وجاء في اللسان: " ورجل صَلَّتْ الجبين: واضِحُه" (3).

ومن كل ما سبق، يتبين بجلاء المعنى المزدوج الذي يحمله الوضوح، وبالتالي الاشتراك
 فيه. كما استخدمت صفة البياض لمعنيين، فقال يمدح
 الهاشميين:

(الخفيف)

ساذةٌ ذادَةٌ عن الخُرْدِ البِيءِ ض إذا اليومُ كان كالأيام

(المتقارب)

وقال في مقتل الحسين وآله - عليهم السلام -:

صفائحُ بِيضٌ جَلَّتْها القُيُوبُ نٌ مما تَخَيَّرن من يثرب (4)

1 - البيت الثامن والستون، الهاشمية الثالثة، ص 121.

2- ابن منظور: لسان العرب، (زهر).

3- ابن منظور: لسان العرب (صلت).

4- البيتان التاسع والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 22 و الواحد والثلاثون، الهاشمية الخامسة، ص 194.

وفسر أبو ريش البيت الثاني فقال: " يريد: صفاء خدودهم كصفاء السيوف الصَّقِيلَة " بينما لم يشير إلى كلمة البيض في البيت الأول، لكن اللسان يقول: " التَّهْذِيب: إذا قالت العرب فلان أبيض وفلانة بيضاء فالمعنى نقاء العَرَض من الدَّنَس والعيوب , ومن ذلك قول زهير يمدح رجلاً:

أَسْمُ أبيضُ فَيَاضٌ يُفَكِّكُ عن أيدي العُناةِ وعن أعناقها الرُّبُقا " (1)

ففي البيت الأول جاءت كلمة البيض للتعبير عن الشرف، بينما دلت في البيت الثاني على اللون الأبيض وهو ضد الأسود.

وجاء لفظ حديث لمعنيين مختلفين هما: حديث عكس القديم، وحديث بمعنى الكلام، فقال

الشاعر يمدح آل البيت - عليهم السلام - : (الخفيف)

أسرة الصَّادِقِ الحَدِيثِ أبي القا سم فَرَعِ القُدَامِيسِ القُدَامِ

وقال مادحاً كذلك آل بيت النبي ﷺ: (المنسرح)

زُهرٌ أصحَاءٌ لا حديثهم وإِهٍ ولا في قَدِيمِهِم عَطَبُ (2)

وفسر الشارح البيت الثاني، فقال: " يقول أولهم وآخرهم واحد في الكرم والشجاعة "، بينما لم يشرح كلمة الحديث في البيت الأول، لكن من الواضح البيّن أن المعنى هو الكلام. فالشاعر قد استخدم حديث بمعنى الكلام، وبمعنى الجديد عكس القديم.

واستخدم الكميت عَلمَ بمعنى العلامة والمنار يُهتدى به، ثم بمعنى الراية، فقال مادحاً:

(الخفيف)

أَبْطَحِيينَ أُرِيحِيينَ كالأنب جُمُ ذاتِ الرُّجومِ والأعلامِ

1- ابن منظور: لسان العرب (بيض).

2- البيتان الخامس والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26 والثامن والستون، الهاشمية الثالثة، ص 121.

إذا قَطَعْتَ أجوازَ بِيَدِ كَأَنَّمَا بأعلامها نَوْحُ المآلي المُسَلَّبِ (1)

وفي تفسيره للبيت الأول يقول أبو رياش: "... والأعلام: منها التي يُهتدى بها، يقول هم أعلام مثل الكواكب يُستهدى بهم"، ولا يفسر الأعلام الأخرى، لكن اللسان يفسر ذلك: "والعلم: المنار... والعلامة والعلم: شيء يُنصب في الفلوات تهتدي به الضلالة والعلم: العلامة" ثم يقول: "والعلم: الراية التي تجتمع إليها الجند، وقيل هو الذي يُعقد على الرُمح". (2)

ويتضح من نص البيتين، ومن التفسير، أن الأعلام هي العلامات التي يُهتدى بها، كما هي أيضاً الرايات.

وبودي أن أشير إلى "الإيقاع الخطابي" في البيت الأول، الذي يهدف الكميّة من ورائه، كما يبدو، إلى التأثير في السامع أو القارئ، هذا الهدف التقليدي المألوف لدى الخطباء، ويقرر عبد القادر القط أن مثل هذه الصيغة هي بدايات واضحة للبديع (3).

وإتماماً للفائدة لا بد من الإشارة إلى ما يبدو من ارتباط نفسي بين البيتين، فالأول منهما مديح للهاشميين، بينما الآخر يتحدث عن النّوح ومآليه، فالمدح تابع من عشق للهاشميين الذين نُكِّلَ بهم وَقُتِلُوا شرّ تقتيل، هذا التّكليل الذي يُذكَرُ بالنّائحات ومآليها، فالعلاقة واضحة بين حديثه عن الناقّة والمآلي هنا، أو الدموع الهوامل الهوامع في غير هذا الموقع، وبين حديثه عن معشوقيه الهاشميين وما حاق بهم من مأس.

1- البيتان: الواحد والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 18 والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 91.

2- ابن منظور: لسان العرب (علم).

3- ينظر: القط، عبد القادر: في الشعر الإسلامي والأموي، ص 285 و 299.

وأشرك الكميت لفظ صنيع بين صفة من صفات السيف، ثم بمعنى العمل،

(الطويل)

فقال:

وعميدٍ مُتَوَجِّحٍ حُلٌّ عنه عَقْدُ التَّاجِ بالصَّنِيعِ الحُسامِ

ثم يقول معبراً عن اعتداله في تشيعه، هذا الاعتدال الذي استمدّه من زعيمه وإمامه زيد

(الوافر)

ابن علي - عليهما السلام - (1):

فلم أبلغ بهم لعناً ولكن أساء بذاك أولهم صنيعاً (2)

ويفسر الشارح: "... والصنيع: السيف الجيد العمل"، ولا يفسر البيت الآخر، لكن اللسان يقول

مفسراً: "وسيف صنيع: مجربٌ مجلّو"، "... تقول صنّع إليه عرقاً صنّعا واصطنعه، كلاهما:

قدّمه، وصنّع به صنيعاً قبيحاً أي فعل (3). فقد جمع اللسان في تفسيره بين السيف والعمل.

وجعل الكميت من كلمة عَقْبَة مشتركا لفظياً بين السيماء والأثر وبين ما يُبقِيه مستعيرُ

القدر عند إرجاعها لأصحابها، فقال يذكر الحسين بن علي - عليهما السلام -:

(الخفيف)

يَتَعَرَّفَن حُرّاً وَجِهَ عَلَيْهِ عَقْبَةُ السَّرْوِ ظَاهِراً وَالْوَسَامِ

وقال يصف آل بيت النبوة - عليهم السلام - بالكرم والسخاء حين تشتد الأحوال بالناس

(الطويل)

وتضيق:

وَحَارَدَتِ النُّكْدُ الجِلَادُ وَلَمْ يَكُنْ لِعُقْبَةِ قَدْرِ المُسْتَعِيرِينَ مُعَقِبُ (4)

1- ينظر: ضيف، شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 282.

2- البيتان: الخامس والستون، الهاشمية الأولى، ص 30 والحادي عشر، الهاشمية السادسة، ص 197.

3- ابن منظور: لسان العرب (صنع).

4- البيتان: السادس والسبعون، الهاشمية الأولى، ص 34 والثاني والثمانون، الهاشمية الثانية، ص 77.

أما الأولى فيفسرها الشارح: " العُقْبَةُ: السِّمَاءُ والأثر "، وجاء في اللسان: "وعقبة السَّرْوِ والجمال والكرم وعُقْبَتُهُ وعُقْبَةُ: كلُّه أثره وهَيْئَتُه، وقال اللّحياني أي سيماء وعلامته، قال: والكسر أجود " (1)، أما الأخرى فيشرحها أبو ريش قائلًا: " والعقبة ما يبقى في القدر من الطبخ "، وجاء في اللسان: " والعقبة: مَرَقَةٌ تُرَدُّ في القدر المُستعارة، بضم العين، وأعقبَ الرَّجُلُ: ردَّ إليه ذلك، قال الكميت: وحاربت النُّكْدُ... البيت. وكان الفراء يُجيزها بالكسر، بمعنى البقية، ومن قال عقبة بالضم، جعله من الاعتقاب... وقرارة القدر: عُقبَتها " (2) وكانهم سموا المكان بما يبقى فيه.

واستخدم الكميت كلمة حال فعلاً، ثم اسماً، فقال متكلماً عن

(الخفيف)

الهاشميين:

ولَهَا حَالٌ دُونَ طَعْمِ الطَّعَامِ (3)

وَلَهَتْ نَفْسِي الطَّرُوبُ إِلَيْهِمْ

(المنسرح)

كما جعلها اسماً حين قال:

عنه انصراًفاً والحال ينقلبُ (4)

في مَرِنٍ ينتهي إلى مَرِنٍ

ففي البيت الأول جاءت حال فعلاً بمعنى منع وحجز، جاء في اللسان: " قال الليث: يقال

حال الشيء بين الشيئين يحول حَولاً وتحويلاً أي حَجَزَ. ويقال: حلت بينه وبين ما يريد حَولاً

وحَؤولاً. ابن سيده: وكل ما حجز بين اثنين فقد حال بينهما حَولاً " (5). ومنه قوله تعالى عن

نوح - عليه السلام - وابنه: [وحالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ] (6). أما الحال في البيت

1- ابن منظور: لسان العرب (عقب).

2- المرجع السابق.

3 - البيت الثالث والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 38.

4 - البيت الثاني والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص 117.

5 - لسان العرب، حول.

6- سورة هود، آية 43.

الآخر , فجاءت اسماً وهي كما يقول اللسان: " كينة الإنسان وهو ما كان عليه من خير أو شر , يذكر ويؤنث ... والحال: الوقت الذي أنت فيه " (1)

كما استعمل الكميّة كلمة زَوْرَ بمعنى الزائر وبمعنى الصدر , ذلك حين قال:

يَقْضِ زَوْرٌ هُنَاكَ حَقَّ مَزُورٍ — مِنْ وَيَحْبُ السَّلَامَ أَهْلَ السَّلَامِ (2)

وحيث قال كذلك يصف الناقة وسرعتها:

كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوثِقٌ تَحْتَ زَوْرِهَا يُظْفَرُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا يُنَيَّبُ (3)

وقد فسر أبو ريش فقال عن الأول: " الزور: الزائر , يقال: رجل زور ورجلان ورجال وامرأة ونساء زور ... " وعن البيت الآخر يقول: " الزور: اللبان وهو الصدر وعظامه . وفي اللسان: " والزور: الذي يزورك ... يكون للواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد؛ لأنه مصدر " وفي شرح الأخرى يقول: " الزور: الصدر , وقيل وسط الصدر وقيل أعلى الصدر , وقيل ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت ... والجمع أزوار " (4)

واستخدم الشاعر لفظ قرن لمعانٍ ثلاثة: قرن الثور , وشعاع الشمس و ناحيتها , ثم

بمعنى الفترة الزمنية , يقول الكميّة في واحدة من مقدماته الطللية: (الطويل)

وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةُ — أَمْرًا سَلِيمُ الْقَرْنِ أُمٌّ مَرًّا أَعْضِبُ (5)

1 - لسان العرب , حول.

2 - البيت الثالث بعد المئة, الهاشمية الأولى , ص 42.

3 - البيت الرابع عشر بعد المئة , الهاشمية الثانية , ص 89

4 - لسان العرب , زور.

5 - البيت الرابع , الهاشمية الثانية , ص 44.

وعن الثور وقصته يقول: (الطويل)

فباكره والشمس لم يندُ قرنُها
وقال يمدح الرسول الكريم - ﷺ - :
(المنسرح)

قرناً فقرناً تتاسخوك لك الـ
فضة منها بيضاء والذهب⁽²⁾

وعن قرن الشمس يقول اللسان: " قرن الشمس أولها عند طلوع الشمس وأعلىها , وقيل أول شعاعها , وقيل ناحيتها " أما عن الأخير , فجاء في اللسان كلام كثير أقربه إلى البيت موضوع حديثنا: " والقرن من الناس: أهل زمان واحد " (3). وقد ورد في القرآن الكريم هذا المعنى مرات عديدة وكلها تتناسب في المعنى مع تفسير اللسان سالف الذكر. كما فسرها محمد الراجعي بنفس المعنى: " قرن فقرن: أي جيل بعد جيل " حيث جاء البيت في نسخته (قرن فقرن ...) بالرفع لا بالنصب كما في نسخة أبي رياش موضوع الدراسة.

وجاء لفظ مَرْحَبٌ مرة بمعنى السعة , من الترحيب , وأخرى اسماً , فقال في بني

هاشم:

(الطويل)

خَفَضْتُ لَهُمْ مَنِي جِنَاحِي مَوْدَةٍ
إلى كَنَفِ عِطْفَاهِ أَهْلٍ وَمَرْحَبٍ⁽⁴⁾

(الطويل)

وقال يمدح الأمام علياً - عليه السلام - :

سقى جِرَاعَ الموتِ ابنَ عثمانَ بعدما
تعاوَرَهَا مِنْهُ وِلِيدٌ وَمَرْحَبٌ⁽⁵⁾

1- البيت الواحد والثلاثون بعد المئة , الهاشمية الثانية , ص 96.

2- البيت الواحد والثلاثون بعد المئة , الهاشمية الثانية , ص 96.

3 - لسان العرب , (قرن)

4- البيت الأربعون , الهاشمية الثالثة , ص 112.

5-البيت الخامس والتسعون, الهاشمية الثانية , ص 82.

أما الأولى فيقول عنها اللسان مفسرا: " وقولهم في تحية الوارد: أهلا ومرحبا أي صادفت أهلا ومرحبا ... وقولهم مرحبا أي أتيت سعة وأتيت أهلا ... " (1). ولا يفسرها أبو رياش , أما عن الأخرى فيقول أبو رياش: " وقتل عتبة بن ربيعة ومرحبا اليهودي ... " .

واستخدم الكميت كلمة آل بمعنى أهل وذوي , وبمعنى سراب , فقال مخاطبا

الهاشميين: (الطويلاً)

إليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازغ من قلبي ظمء وأنب (2)

وقال يصف سير الإبل: (المنسرح)

ترفعهم تارة وتخفضهم إذا طفوا فوق آلهما رسبوا (3)

وفسر الشارح البيت الأول قائلا: " ذوي آل النبي — صلى الله عليه وسلم — العلماء منهم وذوو الرأي ... " وفسر الأخرى فقال: " والآل السراب في آخر النهار لأنه يؤول أي يرجع ... والآل الأهل " . وفي اللسان طال الحديث فأورد الخلافات بين ماهية السراب والآل , وبين وقت كليهما , وبين ما إذا كانا واحدا لا فرق بينهما , ومما جاء: " والآل والسراب واحد , وخالفه غيره فقال: الآل من الضحى إلى زوال الشمس , والسراب بعد الزوال إلى صلاة العصر ... وقال يونس: تقول العرب الآل مُذْ غدوة إلى ارتفاع الضحى الأعلى , ثم هو سراب سائر اليوم ... الجوهرى: الآل الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وليس هو السراب ... " (4). ولا أرى ما يمنع من أن يتحد المعنيان ليعبرا عن واحد كما قال الأصمعي , فإذا كانت الأضداد قد عبرت عن معنيين متضادين , فأولى أن يتحد السراب والآل وهما ظاهرة طبيعية في الصحراء ولا

1- لسان العرب، (رحب).

2- البيت التاسع عشر، الهاشمية الثانية، ص 51.

3- البيت الثاني والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 144.

4- لسان العرب، (سرب).

فرق بينهما إلا قبل الزوال وبعده ، لذا فمن المعقول جدا أن يزول هذا الفرق ليصبحا واحداً ،
ولنا في الكميت نفسه ما يؤيد هذا المذهب ، إذ يقول:

إذا الأكامُ اكتَسَبَتْ مَالِيهَا وكانَ زَعَمُ اللّوامِعِ الكَذِبُ
بمُضْمَحِلِّ مُؤَمِّلٍ خَـادِعٍ لأرْكَبِ عَمَّا تَضَمَّنُ القَرِيبُ (1)

فهو يصف في البيت الأول ما ورد في اللسان من أن الآل الذي يرتفع عن الأرض حتى إنه
شبهه بمالي النائحات فوق الإكام ، ثم نراه يتكلم عن تلك المالي بأنها تخذع المسافرين حين
يحسبونها ماء ، وهو ما وصفه اللسان بأنه السراب ، لذلك فالكميت يتكلم عن الآل والسراب
بمعنى واحد. واستعمل الكميت المذنب من الذنب ، كما استخدمها من الذنب ، فقال في حبه
آل البيت:

فطائفةٌ قدْ أَكْفَرْتَنِي بِحُبِّكُمْ وطائفةٌ قالوا مُسِيءٌ ومُذْنِبُ (2)

وقال يمدح الهاشميين كذلك: (المتقارب)

ولا الطعنُ في أعينِ المُقْبِلينِ ولا في قفا المُدْبِرِ المُذْنِبِ (3)

ففي البيت الأول جاء اللفظ من الإساءة والذنب ، وفي البيت الآخر من الذنب على المثل ،
فالمدبر من الدبر والمذنب من الذنب ، الأول يولي دبره والآخر يولي ذنبه ، وجاء في اللسان:
"وأذئاب الأمور مآخبرها على المثل" (4)

1- البيتان الأول والثاني بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص132.

2- البيت الثاني والعشرون، الهاشمية الثانية، ص53

3- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الخامسة، ص193.

4- لسان العرب، (ذنب).

وجعل الكميت اللفظ شرع مشتركاً بين معنيين ، فاستخدمه أولاً بمعنى أظهر وبين ، ثم استعمله بمعنى وَرَدَّ وخاض على المجاز ، يقول الشاعر واصفاً حكام بني أمية: (الطويل)

إذا شرَعُوا يوماً على الغيِّ فِتْنَةً طرِبَهُمْ فِيهَا عن الحقِّ أَنْكَبُ (1)

ثم يصف مقتل الحسين — عليه السلام — على أيدي أولئك: (الطويل)

إذا شرَعَتْ فِيهِ الأَسِنَّةُ كَبَّرَتْ غَوَاتُهُمْ فِي كُلِّ أَوْبٍ وهَلَلُوا (2)

وقد فسر الشارح فقال عن الأول: " شرعوا: أظهروا ". وفي اللسان: " قال الأزهري معنى شرَعَ بَيِّنٌ وأوضح، مأخوذ من شرع الإهاب إذا شُقَّ ولم يُزَقَّقْ أي يجعل زقاً ولم يُرَجَّل ، وهذه ضروب من السلخ معروفة أوسعها وأبينها الشرع ". وفي تفسيره للبيت الآخر يقول أبو رياس: " شرعت: وردت، والشارع الوارد القاصد ". وجاء في اللسان: " وشرعتُ في هذا الأمر شروعا أي خضت... وشرع الرمح والسيف أنفسُهُما ، قال:

غداة تعاورته ثمَّ بيض شرَعْنُ إليه في الرَّهَجِ المُكِنِّ (3).

وهذا ما يناسب معنى البيت ، فإذا خاضت الأسنه في الحسين — عليه السلام — كَبَّرَ الغواة البغاة وهلّلوا لهذه الجريمة.

واستخدم الكميت كلمة بدر على معنيين: البدر القمر، وبدر المعركة المعروفة بين المسلمين وكفرة قريش التي أخذت اسمها من الماء الذي جرت عنده ، فقال عن الهاشميين:

(الطويل)

إذا ادلَّمَسَتْ ظَلَمَاءُ أمرينِ حِنْدِسَ فبَدْرٌ لهم فيها مُضِيءٌ وَكَوْكَبُ (4)

1- البيت الرابع والستون، الهاشمية الثانية، ص70.

2- البيت السابع والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص168.

3- لسان العرب، (شرع).

4- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الثانية، ص79.

وقال يذكر الإمام علياً - عليه السلام - وبطولته في معركة بدر: (الطويل)

وشَيْبَةٌ قَدِ أَثْوَى بِبَدْرِ يَنْوِشُهُ غُدَافٌ مِنَ الشُّهْبِ الْقَشَاعِمِ أَهْذُبُ (1)

واستعمل الكميت الفعل أتى مرة بمعنى فَعَلَ ، وأخرى بمعنى المجيء ، فقال متعجباً مستنكراً نبذ أولئك المرتدين كتاب الله وراء ظهورهم ، مقرراً أن قلوبهم مغلقة مقلقة دون الحق:

(الطويل)

أَلَمْ يَتَدَبَّرْ آيَةً فَتَدَلَّهُ عَلَى تَرَكَ مَا يَأْتِي أَوْ الْقَلْبُ مَقْفَلُ (2)

ثم يقول معبراً عن خط إمامه زيد بن علي - عليهما السلام - المعتدل ، الذي يرفض سبّ

الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وشتمهما: (البسيط)

الله يعلمُ ماذا يأتیان به يومَ القيامةِ منَ عُذْرٍ إذا اعتذرا (3)

وفسر اللسان ، إذ لم يفسر الشارح اللفظين ، فقال عن الكلمة الأولى: " وأتى الأمر والذنب

فَعَلَهُ " وعن الأخرى قال: " الإتيان المجيء أتَيْتَهُ أَتَيْتًا... جئته (4) " ومنه قوله تعالى: [يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَفْسِهَا] (5).

كما استعمل الشاعر النسب مشتركاً لفظياً بين النسب والكلام الرقيق في النساء ، وبين

1- البيت السادس والتسعون، الهاشمية الثانية، ص 83.

2- البيت الثلاثون، الهاشمية الرابعة، ص 159.

3- البيت الثالث، الهاشمية الثامنة، ص 202.

4- لسان العرب، (أتي).

5- سورة النحل، آية 111.

القرابة , ذلك حين قال:

(المنسرح)

هذا ثنائي على الديار وقد تأخذ مني الديار والنسب⁽¹⁾

وحين امتدح الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - قائلا: (المنسرح)

أنت المصفي المَهْدَبِ المَحْضُ في الـ نسبة أن نصر قومك النسب⁽²⁾

ويفسر الشارح فقال في البيت الأول: " النسب: يريد النسيب , يقال نسب بها ينسب نسبا " وفسر اللسان النسب فقال: " ونسب بالنساء ينسب وينسب نسبا ونسيبا ومنسبة: شَبَّبَ يهن في الشعر وتغزل " (5). وعن النسب في البيت الآخر يقول اللسان , حيث يسكت الشارح ولا يفسر " النسب نسب القرابات , وهو واحد الأنساب. ابن سيده: النسبة والنسبة والنسبة القرابة " .

واستخدم الكميت القصب على الحقيقة وعلى التشبيه , فقال: (المنسرح)

والمحرزو السبق في مواطن لا تجـ عمل غايات أهلها القصب⁽³⁾

وقال يصف القطا، حين شبه النياق بها: (المنسرح)

لم يطعن الريش في مطاعهـ منها ولم ينتعش بها القصب⁽⁴⁾

ويفسر الشارح البيت الأول فيقول: " القصب: قصب الرهان... " ويقول عن البيت الآخر: " يريد قصب الريش , يقول لم يشتد بعد , وكل عظم مجوف فهو قُصب " . وفي اللسان:

1- البيت الثاني والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص 107.

2- البيت السابع والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 111.

3- البيت السابع والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 122.

4- البيت الخامس والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 142.

" القصب كل نبات ذي أنابيب واحدها قصبه... والقصبه كل عظم ذي مخ على التشبيه بالقصبه والجمع قصب " (1).

وجاء لفظ نقضي بمعنى نحكم , وقضى من القضاء والأداء , فقال الكميّ في حكام بني أمية:

(الطويل)

أَأَهْلُ كِتَابِ نَحْنُ فِيهِ وَأَنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ نَقْضِي بِالْكِتَابِ وَنَعْدِلُ (2)

وقال في مقتل الحسين وصحبه — عليهم السلام —: (الطويل)

سِوَى عَصْبَةٍ فِيهِمْ حَبِيبٌ مَعْفَرٌ قَضَى نَحْبَهُ وَالْكَاهِلِيُّ الْمُرْمَلُ (3)

وقد فسر أبو رياش فقال في البيت الأول: " نقضي: حال، أي في قضائنا ". وفي البيت الآخر يقول مفسرا: " وقوله قضى نحبه: مات كأنه كان نذرا عليه والنذر النحب ". وفي لسان العرب: " وقضى أي حكّم , ومنه القضاء والقدر... ومثل ذلك قولهم قد قضى القاضي بين الخصوم أي قد قطع بينهم في الحكم " وفي المعنى الآخر: " يقال قضى الرجل وقضى إذا مات... وقال الفراء: كما يقال قد قضى فلان يريد قد مات ومضى " (4).

1- لسان العرب، (قصب).

2- البيت الثامن عشر، الهاشمية الرابعة، ص154.

3- البيت الثامن والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص165.

4- لسان العرب، (قضي).

الأضداد

- ومن المشترك اللفظي، الأضداد، غير أن معانيها تذهب بعيداً في الاختلاف إلى درجة التناقض، حيث يقول السيوطي في المزهرة تحت عنوان: النوع السادس والعشرون معرفة الأضداد: " هو نوع من المشترك (قال أهل الأصول) مفهوماً للفظ المشترك أن يتباينا بالآلا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد كالحيض والظهر فإنهما مفهوماً للقرء... " (1).

أما ابن فارس فقال في كتابه الصحابي: " ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو: الجون للأسود , والجون للأبيض " (2). ويقول عنه علي عبد الواحد وافي: " وهو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده كلفظ الجون الذي يطلق على الأبيض والأسود... فالتضاد نوع خاص من المشترك اللفظي " (3). وقال عنه حسن ظاظا: " إذا وصل

التباين بين معنيين مشتركين في لفظ واحد إلى درجة التناقض والتعاكس اعتبر هذا اللفظ من الأضداد " (4).

وقد تناول هذا الموضوع كذلك، إبراهيم أنيس في كتابه: في اللهجات العربية , بقوله: " لا يتم الحديث عن المشترك اللفظي إلا بالتعرض لتلك الكلمات التي رويت لنا متضادة المعاني , والتي اصطلح القدماء على تسميتها بالأضداد " ثم يقول: " والضدية نوع من العلاقة بين المعاني بل كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى... فالتضاد فرع من المشترك اللفظي " (5). يقول هذا الكلام الواضح في اعتباره التضاد من المشترك اللفظي , بينما يقول في كتابه، دلالة الألفاظ: " أما الكلمات التي تسمى بالأضداد فيقحمها بعض اللغويين في المشترك

1- السيوطي، جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ص 228.

2- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: كتاب الصحابي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، ص 97-98.

3- وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة.

4- ظاظا، حسن: كلام العرب في قضايا اللغة العربية، ص 112.

5- أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ص 204-208.

اللفظي... «(1) ويقول المبرد في كتابه، ما اتفق لفظه واختلف معناه من كلام العرب: "ومنه ما يقع على شيئين متضادين كقولهم جلت للكبير والصغير وللعظيم أيضا، والجون للأسود والأبيض...»(2).

ولهذه الظاهرة اللغوية أسبابها، ويسوق حسن ظاظا بعضا منها مثل التفاؤل بتأثير من الدين والفلكور كتسمية القافلة تيمنا وتفاؤلاً بعودتها، أو أن يكون معنى الكلمة وسطا ثم ينحاز إلى الطرفين بشكل متناقض مثل السُدفة التي كان معناها الأصلي اختلاط الضوء بالظلام ثم انحازت في قبيلة إلى الضوء، وفي أخرى إلى الظلام، فأصبحت ضدا تعني الضوء والظلام»(3). أما علي عبد الواحد وافي فيرى السبب في الأضداد اختلاف اللهجات، والتطور الصوتي، ورجوع الكلمة الواحدة إلى أصلين مثل (هجد) فمحتمل أن تكون قد انحدرت بمعنى النوم من (هدا)، وبمعنى السهر من (جد) لأن الساهر يجتهد ويجد في منع النوم(4). ويعزو صبحي الصالح الأمر إلى (المصادفات) ويسوق مثلا بالسدفة ناقلا ما قاله السيوطي في المزه من أن أصل السدفة الستر، فكأن النهار يستر الليل والليل يستر النهار فأصبحت السدفة تعني الضوء والظلام(5).

ويعلل إبراهيم أنيس الظاهرة بالأخطاء، ويضرب مثلا على ذلك بكلمة هجود التي تعني سهر ونوم، إذ إن قلة شيوعتها - كما يقول - أدى إلى فهمها بشكل مختلف في بيئة مختلفة، ثم تجذر هذا الخطأ وأصبح معترفا به في اللغة الرسمية، ويقول ما قاله صبحي الصالح عن السدفة(6). ويذكر التطير والتهكم واضعا تحت هذا البند تسمية الملدوغ بالسليم، ولا أظنه كذلك

1- أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ص 214.

2- السيوطي، جلال الدين، المزه، ص 229.

3- ينظر: ظاظا، حسن: كلام العرب من قضايا اللغة العربية، ص 112.

4- وافي، عبد الواحد: فقه اللغة، 197.

5- الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، 312.

6- ينظر: أنيس، إبراهيم: اللهجات، ص 210-215.

بل هو من باب التفاؤل ، " وكذلك لمقت الشيء بمعنى كتبتة في لهجة عقيل ، وبمعنى محوته عند قبائل قيس " (1).

هذا وقد كان التضاد موضوع خلاف بين اللغويين العرب بين منكر ومؤيد ، يقول ابن فارس في (الصحابي) : " وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده" لكنه يضيف متابعا كلامه: " هذا ليس بشيء ، وذلك أن الذين رَووا أن العرب تسمى السيف مهندا والفرس طرفاً هم الذين رَووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد " (2). فهو، من باب البداهة، يردّ رفض المنكرين لوجود هذه الظاهرة اللغوية في لغتنا. أما علي وافي فيقول ، بعد ما استعرض رأي الجانبين من مؤيد ومعارض: " وكلا الفريقين قد تتكب جادة القصد فيما ذهب إليه " (3).

وأورد توفيق شاهين أن ابن دريد قد أثبتته إذا كان من لغة لقبيلة واحدة ، وذلك على خلاف رأي الجمهور الذي رأى أن يكون من قبيلتين سمعت احداهما من الأخرى فأخذ كل منهما عن الآخر ، وكان ابن الأنباري من أصحاب هذا الاتجاه إذ قال: " إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما " (4). كما ساق المزهر مجموعة واسعة من أقوال المؤيدين للتضاد من أشهرهم المبرد وابن دريد وأبو عبيد وأبو زيد والأصمعي وغيرهم (5). على أن أهل الأصول كما يسميهم السيوطي قد اعتقدوا بهذه الظاهرة وأقروا بها (6).

1- المرجع السابق:، ص 209.

2- ابن فارس: الصحابي، ص 98.

3- وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 194.

4- ينظر: شاهين، توفيق: المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً، ص 148.

5- ينظر: السيوطي، جلال الدين: المزهر، ص 229-231.

6- المصدر السابق، ص 228.

وقد عمد المنكرون للتضاد إلى الأدلة العقلية لدعم آرائهم ومذاهبهم، وعدّوه نقصاً في اللغة العربية وفي أصحابها⁽¹⁾. كما احتج أولئك المنكرون باللبس الذي ينشأ من كون اللفظ الواحد يحمل معنيين متضادين ، لكن ابن الأنباري يرد عليهم في كتابه الأضداد: " كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ويرتبط أوله بآخره ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنه يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر"⁽²⁾. إلا أن صبحي الصالح يعده " وسيلة من وسائل التنوع في الألفاظ والأساليب ووسّع تنوع استعماله من دائرة التعبير في العربية فكان بهذا المعنى خصيصة من خصائص لغتنا في مرانيتها وطواعيتها... وهو ما ليس له في اللغات الحية نظير"⁽³⁾. وينقل (المشترك اللغوي) كلاماً على لسان ربحي كمال -وليس كمال ربحي كما جاء في الكتاب- عن مصدر بعض المتضادات في العربية ، لا بد من الوقوف عنده ، إذ يقارن بين الظرف العبري (آز) الذي يدل في العبرية على الماضي والحاضر والمستقبل ، وبين الظرفين العربيين (إذ وإذا) وهما متعاكسان كما نعرف ، فالظرف (إذ) لما مضى من الزمان ، بينما (إذا) لما يستقبل من الزمان ، وفي هذا ما فيه من الخلط والخبط⁽⁴⁾. كما يورد في معرض حديثه عن أصل الأضداد ومنشئها في رأي المستشرقين ما نصه: " على أن (جيز) يرى أن العرب قد اقترضوا الأضداد من لغات مجاورة لهم... وضرب مثالا لذلك بلفظ (جلال) الذي أخذته العربية من العبرية وهو فيها بمعنى دحرج والشيء المدحرج يكون ثقيلاً أو خفيفاً ، ومن ثم اعتمدت العربية على هذين الأيماءين المتضادين للكلمة الواحدة وأعطتها معنيين متضادين هما عظيم وحقير"⁽⁵⁾.

أما عن الأضداد في الهاشميات ، فقد استخدم الكميت ألفاظاً عديدة في هذا المضممار ، لكنه استخدم بعض الأضداد على معنى واحد دون الآخر، كمثل استخدامه لفظ الجون التي تعني

1- ينظر: عمر، أحمد مختار: علم الدلالة: ص195.

2- ابن الأنباري: الأضداد، ص2.

3- الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص313.

4- ينظر: شاهين، توفيق: المشترك اللغوي، ص143.

5- المرجع السابق، ص166.

الأسود والأبيض ، ومثل استخدامه لفظ الوثب بمعنى واحد هو القفز ، فلم يستخدمه بالمعنى الآخر وهو القعود كما في لغة حمير⁽¹⁾ ، فكلمة وثب من الأضداد كما يقول علي وافي الذي يرد التضاد فيها إلى اختلاف اللهجات، فمعناها طفر وقفز بلهجة مضر ، وقعد بلهجة حمير⁽²⁾.

واستخدم الكميت كذلك ألفاظا من الأضداد للمعنيين المتضادين ، فقال: (الخبيف)

وَلَهَتْ نَفْسِي الطَّرُوبَ إِلَيْهِمْ وَلَهَا حَالٌ دُونَ طَعْمِ الطَّعَامِ⁽³⁾

وفسر الشارح البيت فقال: " ولهت اشتاقت ، من الوكّة ، والواله الطروب المُستخَف ، والطَّرْبُ خفة تلحق الإنسان من الفرح والغم ". ولا ريب أن الطرب هنا جاء بمعنى الغم لا بمعنى الفرح ؛ فهو وكّة إلى حد حال بينه وبين الطعام ، وليس أدل على ذلك من البيت الذي ساقه الشارح:

وأراني طَرِبًا في إثرهم طَرَبَ الواله أو كالمُخْتَبِلِ

"ويفسر اللسان المختبل فيقول: "المُخْتَبِلُ: الذي اخْتَبَلَ عقله أي جُنَّ ، وقد خبله الحزن واختبله..."⁽⁴⁾

بينما استخدم الكميت الطَّرَبَ بمعنى الفرح حين قال:

(الطويل)

طَرِبْتُ وما شوقًا إلى البيضِ أطربُ ولا لَعِبًا مني أذو الشيبِ يَلْعَبُ⁽⁵⁾

فالجو هنا جوّ لعب ينأى ذو الشيب بنفسه عنه ، مما يوحي بجلاء أن معنى الطرب هنا هو الفرح وليس الغم والحزن ، ويقول أبو رياش شارحا: " لم أطرب شوقا إلى البيض ولا طربت لَعِبًا... " ولا ريب أن الشوق والوله هنا غيره هناك ؛ فهناك شوق إلى آل البيت بما أصابهم من ظلم

1- ينظر: لسان العرب، (وثب).

2- ينظر: وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 197.

3- البيت الثالث والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 38.

4- لسان العرب، (خبل).

5- البيت الأول، الهاشمية الثانية، ص 43.

وتكيل , وهنا شوق إلى النساء الجميلات , وشتان بين هذا وذاك , فالشاعر قد استخدم الطرب
بمعنييه المتضادين: غم ثم فرح.

كما استعمل الكميت لفظ النطاف لمعنيين متناقضين , فاستخدمه مرة بمعنى الماء الكثير,
وأخرى بمعنى القليل من الماء , فقال عن تهالك حكام الأمويين على الدنيا وحبهم
لها:
(الطويل)

تفرّقت الدنيا بهم وتعرّضتْ لهم بالنطافِ الآجِناتِ فأشربوا (1)

وقد فسر أبو رياش النطاف قائلا: " بالنطاف وهي الماء الكثير والقليل جميعا. ويقال للبحرنطفة "
ومما لا ريب فيه أن المعنى هنا هو الماء الكثير وليس القليل ؛ فهو الذي يناسب انفتاحالدنيا على
أولئك. أما بمعنى الماء القليل فجاء في قول الشاعر يصف حواصل القطا:

(المنسرح)

لم يجسّم الخالقَاتُ فرِيتَها ولم يَغِضْ من نِطافِها السَرَبُ (2)

فلا يمكن أن يكون الماء في حواصل القطا إلا قليلا.

واستعمل الكميت الشَّعبَ بمعنى التفريق و بمعنى التجميع , فقال يصف ضلال وهوى

(الطويل)

الضالين:

فمن أين أو أنى وكيف ضلالهم هدىً والهوى شتى بهم متشعبُ (3)

إذ فسر الشارح فقال: " والشَّت: التفريق، والشَّعبُ مثله ". وبمعنى الجمع يقول الكميت واصفا

1- البيت الثامن والستون، الهاشمية الثانية، ص 72.

2- البيت الثالث والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 141.

3- البيت الثالث والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 74.

فَهُمْ هُنَاكَ الْأَسَاءُ لِلذَّاءِ ذِي الرَّبِّ بِيَةِ وَالرَّائِبُونَ مَا شَعَبُوا (1)

وفسر أبو ريش فقال: " والرائبون: الشاعبون , يقال رأبت القَدَحَ أي شعبتَه ". وقد نص اللسان على أن الشعب ضدُّ فقال: " الشعب: الجمع والتفريق والإصلاح والإفساد: ضد... والشعب الصدع الذي يشعبه الشَّعَاب , وإصلاحه أيضا الشعب "(2)

واستخدم الشاعر الجَنَّبَ على معنيين كذلك: الابتعاد والاقتراب , فقال مخاطبا آل بيت

النبوة:

(الطويل)

فَأَبِي عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي تَكَرَّهَوْنَهُ بِقَوْلِي وَفِعْلِي مَا اسْتَطَعْتُ لِجَنَّبُ (3)

حيث قصر الشارح تفسيره على الفعل أجنب , ومما قاله: " أي أجتنب الأمر الذي تكرهونه بالقول والفعل... ويقال جنيب أي غريب ". ثم قال الكميت في قتل الإمام علي -عليه

السلام-:

(الطويل)

قَتِيلَ التَّجُوبِيِّ الَّذِي اسْتَوَارَتْ بِهِ يُسَاقُ بِهِ سَوْقًا عَنِيفًا وَيُجَنَّبُ (4)

وفسر أبو ريش فقال: " ويجنب: إلى جنبه ". وجاء في اللسان: " والجَنَّبُ في السباق , بالتحريك: أن يَجَنَّبَ فرسًا عُرْيًا عند الرهان إلى فرسه الذي يسابق عليه , فإذا فَتَرَ المركوب تحول إلى المجنوب... وَجَنَّبَ الفرس والأسير يَجَنَّبُهُ جَنَّبًا , بالتحريك , فهو مجنوب وجنيب: قاده إلى جنبه " (5). أما التجوبي الذي تكلم عليه البيت فهو قاتل الإمام علي _ عليه السلام _

1- البيت الرابع والسبعون، الهاشمية الثالثة، ص 123.

2- لسان العرب، (شعب)

3- البيت العشرون، الهاشمية الثانية، ص 52.

4- البيت الثامن والستون، الهاشمية الثانية، ص 72.

5- لسان العرب، (جنب).

منسوباً إلى قبيلة تَجُوب من حَمِير، أما الفعل: استوأرت فمعناه نَفَرَت، وهو ذات المعنى الذي ورد في قوله عن حبه للهاشميين وتعلقه بهم:

(الطويل)

ولا ابنيه عبد الله والفضل إني جَنِيبٌ بِحُبِّ الهاشميين مُصْحَبٌ (1)

ويفسر الشارح فيقول: " وجنِيب: يتبع , يقول: جنبته فهو جنِيب ومصحب ومنقاد ". وجاء في اللسان كذلك ما يثبت الضدية هنا: " وجانبه مُجانبَةٌ وجَنَابًا: صار إلى جنبه... والمجانِب المباعِد"(2). ومنه قوله تعالى على لسان إبراهيم - عليه السلام - : [واجنُبني وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُد الأصنام](3) وكما أن المَسُوقَ المَقُودَ إلى الجنب جَنِيبٌ كما مرّ , فهو كذلك الغريب: " والجنِيب الغريب " كما جاء في اللسان.

وجاء الفعل حَسِبَ وَحَسَبَ بالفتح والكسر , على معنيين متضادين , فقال الكميت مُحاجًّا

(الطويل)

من ينكر عليه حبه آل البيت:

بأيِّ كتابٍ أمْ بِأَيَّةِ سَنَةٍ تَرى حُبَّهُم عارًا عَلَيَّ وَتَحَسَبُ (4)

وقال أبو رياش مفسرًا: " وَتَحَسَبُ تَسْتَيْقِنُ , وَحَسِبْتُ وَظَنَنْتُ يَكُونان يَفِينا وَشكا " وبنفس المعنى

(المنسرح)

من اليقين يقول الشاعر مادحا الهاشميين وحكمتهم:

ولم يَقُلْ بَعْدَ زَلَّةٍ لَهُمُ كُرُوا المَعاديرَ إِنما حَسِبُوا (5)

حيث يفسر الشارح: " أي لم يخطئوا فيكروا العذر , إنما حَسِبُوا وَظَنُوا... أي يَأْتون بالحق " فهم

يتيقنون من عملهم قَبْلَ أَنْ يَفْعَلُوهُ فلا يخطئون ولا يحتاجون إلى المعاذير والاعتذار , وقد فسر

الشارح: إنما حَسِبُوا وَظَنُوا , انطلاقًا من قوله قَبْلًا: أن ظنَّ وَحَسِبَ يَأْتيان يَفِينا وَشكا.

1- البيت السادس بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 86.

2- لسان العرب، (جنب).

3- سورة إبراهيم، آية 35.

4- البيت الثالث عشر، الهاشمية الثانية، ص 49.

5- البيت التاسع والسبعون، الهاشمية الثالثة، ص 124.

ويستخدم الكميت الفعل ذاته بالمعنى المعاكس المضاد حين يصف الثور

(الطويل)

قائلا:

وَتَحْسَبُهُ ذَا بَرْقِعٍ وَكَأَنَّهُ
بِأَسْمَالِ جَيْشَانِيَّةٍ مُتَنَقِّبٍ (1)

وفسره الشارح فقال: " أي تحسب الثور ذا برقع " فالمعنى هنا جاء بالشك على عكس السابق ، فالناظر إلى الثور يظنه مبرقعا.

وبالمعنى ذاته من الشك وعدم اليقين ، استعمل الشاعر الفعل في مدح آل البيت ،

(المتقارب)

فقال:

أرى لهمُ الفضلَ والسابقاتِ ولم أتمنَّ ولم أحسبِ (2)

إذ فسر الشارح فقال: " ولم أحسب لم أشك... ولم أحسب ولم أشك ، أي قد كان "

وقد وردت التلعة بمعنيها: المنخفض من الأرض والمرتفع منها ، فقال الشاعر مادحا

(الطويل)

آل البيت:

وإن هاجَ نبتُ العِلمِ في النَّاسِ لم تزلْ
لهمُ تلعةٌ خضراءُ منهم ومذنبُ (3)

ومما قاله الشارح في تفسيره: " والتلعة مجرى الماء إلى الرياض... وشبه العلم بكثرة النبات في

هذه المواضع " ، ويوحى البيت أن المعنى الذي تحمله كلمة تلعة هنا هو المرتفع ؛ فالشاعر

يصف التلعة بالخضراء ، والشارح من جهته يقول: شبه العلم بكثرة النبات في هذه المواضع ،

بينما لسان العرب يقول: " والتلعة أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ثم يندفع منها إلى تلعة

1- البيت السادس والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص94.

2- البيت الحادي عشر، الهاشمية الخامسة، ص189.

3- البيت السادس والثمانون، الهاشمية الثانية، ص79.

أسفل منها وهي مكرمة من المنابت⁽¹⁾ وهذا كله مجتمعا يدل دلالة واضحة أن الارتفاع هو المعنى هنا وليس الانخفاض. ومثله قوله يصف حال آل البيت بين أبناء الأمة:
(الطويل)

لنا وتِلَاعِ الأَرْضِ حَوْءٌ مَرِيعةٌ سَنَامُ أَمَالَتِهِ الخَطَائِطُ أَمِيلٌ⁽²⁾

فالتلاع هنا كذلك خصبة خضراء ، فهي مرتفعة كما وصفها اللسان قبل قليل. ثم يرد المعنى المضاد في قوله:
(المنسرح)

يا بَاكِي التَّلْعَةِ القِفَارِ ولم تَبْكِ عَالِيكَ التَّلَاعُ والرَّحْبُ⁽³⁾

حيث يفسر أبو رياش فيقول: " التلعة ما ارتفع من مجاري الماء... والرحب والرحبة: المكان الواسع ومنه رحبة المسجد " ، ويبدو أن الشارح لم ينتبه إلى أن التلعة هنا قفر ، بينما هي هناك خضراء ، كما لم يلفته هنا الربط بين التلاع والرحب التي يفسرها اللسان فيقول: " والرَّحْبُ ، بالفتح ، والرحيب: الشيء الواسع... يقال بلد رحب وبلاد رحبة ، كما يقال بلد سهل وبلاد سهلة " ، كما يقول اللسان: " والتلعة ما انهبط من الأرض وقيل ما ارتفع وهو من الأضداد وقيل التلعة مثل الرحبة⁽⁴⁾ ، ويتضح من هذا كله أن المعنى هو الانخفاض.

ولا بد من الانتباه إلى ما جمعه الشاعر مع التلعة في كل بيت من الأبيات الثلاثة ، ففي البيت الأول ربطه مع المذنب ، دلالة على معنى الارتفاع ؛ إذ يفسر اللسان المذنب: " والمذنب: مسيل ما بين تلعتين... وفي حديث حذيفة ، رضي الله عنه: حتى يركبها الله بالملائكة ، فلا يمنع ذنب تلعة ، وصفه بالذل والضعف...⁽⁵⁾ " ، بينما يقول في حديثه عن التلعة: " والتلعة مجرى

1- لسان العرب، (تلع).

2- البيت العشرون، الهاشمية الرابعة، ص 154.

3- البيت التاسع عشر، الهاشمية الثالثة، ص 106

4- لسان العرب، (رحب).

5- المصدر السابق، (ذنب)

الماء من أعلى الوادي... ومن أمثال العرب: فلان لا يَمْنَعُ ذَنْبَ تَلْعَةٍ , يُضْرِبُ لِلرَّجُلِ الذَّلِيلِ الحَقِيرِ ⁽¹⁾ , مما يدل أن المذنب دلالة على الارتفاع , بينما ربطه في البيت الثاني بالرحب دلالة على الانخفاض , وربط أخيراً في البيت الثالث مع السنام وهو واضح الارتفاع , فالشاعر قد ذكر مع معنيي الارتفاع والانخفاض ما يلائم كلا منهما.

واستخدم الكميت الفعل اعتتب بمعنيين متضادين , فقال: (المنسرح)

فَاعْتَتَبَ الشُّوقُ فِي فُؤَادِي وَالـ شَعْرُ إِلَى مِنْ إِلَيْهِ مُعْتَتَبٌ ⁽²⁾

- وفسر أبو رياش فقال: " اعتتب أي انصرف , ويقال أعتب فلان إلى فلان إذا مضى إليه... قال الأموي: ذهب إلى من إليه مذهب... قال الأصمعي: اعتتب رجع " مما يدل على ضدية اللفظ اعتتب.

وقال الشاعر بالمعنى الآخر وهو الرجوع , متحدثاً عن القطا: (المنسرح)

يُوعِلُنَ بِالْأَرْكَبِ الْعِجَالِ وَيَغـ تَبِنَ بَدُونَ السِّبَاطِ إِنْ عَتَبُوا ⁽³⁾

وفسر الشارح فقال: " يوعلن: يذهبن في الأرض... وقوله يعتبن: أي يرجعن " ومن تفسير الشارح يتبين أن استخدام الشاعر للفعل جاء بالمعنيين المتضادين، وقد ورد في اللسان عن الفعل، اعتتب: " والاعتتاب: الانصراف عن الشيء. واعتتب عن الشيء: انصرف، قال الكميت: فاعتتب الشوق عن... البيت، واعتتب أي قصد... ويقال للرجل إذا قضى ساعة ثم رجع: قد اعتتب ⁽⁴⁾.

1- نفس المصدر، (تلح).

2- البيت الواحد والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص110.

3- البيت الثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص143.

4- لسان العرب، (عتب).

الفصل الثالث

الترادف

أولاً: الإنسان

ثانياً: الحيوان

ثالثاً: الحرب

رابعاً: الطبيعة

الترادف

جاء في لسان العرب تحت مادة (ردف) : " الرّدْف: ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئاً فهو رِدْفُه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف... وترادف الشيء تبع بعضه بعضاً. والترادف التتابع... والمترادف كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان... " (1).

وفي المعجم الوسيط: " الترادف: ترادف الكلمتين: أن تختلفا لفظاً وتتحددا معنى، وكذلك ترادف الكلمات " (2)، وأشار إلى أنها من المولد الذي استعمل قديماً بعد عصر الرواية.

وعرفه الفخر الرازي بقوله: " هو الألف اظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد " (3)، كما عرفه المبرد: " اختلاف اللفظين والمعنى واحد " (4)، ويستعمل الترادف بمعنى " المعنى نفسه " كما جاء في علم الدلالة لـ (بالمر) (5).

يرى إبراهيم أنيس، معللاً وجود الترادف، أن موسيقى الكلام قد شغلت أصحاب اللغة عن رعاية الفروق بين الدلالات، فأهملوها أو تناسوها، واختلطت الألفاظ ببعضها ببعض، حين انكشفت دلالاتها واقتص من أطرافها فتجمعت في خلية واحدة ومعنى واحد. (6) فعنترة مثلاً ألزمته القافية أو نظام المقاطع أن يستعمل في وصف السيف الهندي مرة، واليماني والمشرقي حيناً. لكن ماذا عن النثر الذي يخلو من المقاطع والقافية؟ ويجيب على هذا التساؤل (بالمر) بأن وظيفة الكلمات المترادفة هو التأثير على المواقف الشخصية (7).

1 - لسان العرب، (ردف).

2 - المعجم الوسيط، ص 351.

3 - السيوطي، جلال الدين: المزهري.

4 - شاهين، توفيق محمد المشترك اللغوي نظرية وتطبيق.

5 - بالمر: علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، ص 103.

6 - أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ص 122 و 217.

7 - ينظر: بالمر، علم الدلالة، ص 105.

ويجمع ابن جنى بين الحاجة الشعرية وغيرها في تعليقه ظاهرة الترادف، فيقول: " وما اجتمعت فيه لغتان أو ثلاث، أكثر من أن يحاط به. فإذا ورد شيء من ذلك فينبغي أن نتأمل حال كلامه، فإن كانت اللفظتان من كلامه متساويتين في الاستعمال، كثرتما واحدة فإن أخلق الأمر به أن تكون قبيلته قد تواضعت في ذلك المعنى على ذينك اللفظين لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها وسعة تصرف أقوالها " (1)

إن هذه الأسطر القليلة من كلام ابن جنى لا تقتصر على تعليقه للترادف والحاجة إلى استخدامه، بل إنها تحتوي على أمور ثلاثة أخرى إضافة إلى ذلك، فهو أولاً يقر بوجود الترادف، وهو كذلك يوضح شرط الترادف وهو أن يكون اللفظان متساويين في الاستعمال وكثرتما واحدة، كما أنه أخيراً يعتقد أن الترادف قد يأتي بالوضع داخل القبيلة الواحدة، وليس فقط من قبيلتين أو من لغة أخرى كما يرى بعض علماء اللغة.

ويضع السيوطي في مزهره سببين لوقوع الترادف: أولهما " أن يكون من واضعين وهو الأكثر، بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الإسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالآخرى، ثم يشتهر الوضعان " أما الآخر: " أن يكون من واضع واحد وهو الأقل " (2). ونلاحظ أن ابن جنى قد قصر كلامه على الوضع الآخر، الذي هو الأقل في نظر السيوطي.

ويرى توفيق شاهين أن سبب وجود الترادف يعود إلى الإختلاط بين العرب بسبب التنقل الدائم سعياً وراء الكلاً والماء أو في الأسواق، وقد يكون للمجاز سبب كذلك (3).

أما عن موقف علماء اللغة القدماء من الترادف، فإن المتصفح لكتب علم الدلالة يلاحظ بجلاء الجدل الذي دار حول موضوع الترادف، هذا الجدل الذي اتسم حيناً بالتعسف والتحمل،

1 - ابن جنى، أبو الفتح عثمان: الخصائص، مج 1.

2 - السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ص 241.

3 - شاهين، توفيق، المشترك اللغوي، ص 223.

وأحياناً بالواقعية والتعقل. ومن الذين اعتقدوا بالترادف ووجوده في اللغة، إضافة إلى ابن جنبي والسيوطي، الرماني في كتابه (كتاب الألفاظ المترادفة). ومنهم كذلك الفيروزآبادي في كتابه (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف) (1). وقد قسم أحمد مختار عمر هؤلاء المثبتين لظاهرة الترادف إلى قسمين: قسم توسع في اعترافه وإثباته ولم يحده بحدود، وآخر وضع القيود والشروط لحدوثه. (2).

أما المعارضون للترادف المنكرون لوجوده في اللغة، فكان من أبرزهم ثعلب الذي قال: "إن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات، إما لأن أحدهما اسم الذات والآخر اسم الصفة أو صفة الصفة" (3). وقد تابعه ابن فارس حين قال: "يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو السيف والمهند والحسام. والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير الأخرى" (4).

ومن الذين وقفوا موقفاً وسطاً من هذه القضية إبراهيم أنيس، الذي اشترط للترادف الحقيقي: الإتحاد التام في المعنى، الأمر الذي يحدده الاستعمال لا المعجمات (5). ويعتقد إبراهيم أنيس أن الترادف قد وقع بكثرة في القرآن الكريم رغم التماس بعض المفسرين للفروق بين تلك الألفاظ، وهي كما يقول فروق "خيالية لا وجود لها إلا في أذهانهم" (6). وممن عارضوا فكرة الترادف من المعاصرين بنت الشاطيء، التي أنكرت وجوده في القرآن الكريم واعتبرت في كتابها (كتاب العربية الأكبر) أن القرآن الكريم قد "حسم قضية الترادف، والتتبع الدقيق لألفاظه يرينا أنه لا ترادف بين الألفاظ" (7). ولكن أين تذهب بنت الشاطيء وتتبعها الدقيق بالحياة

1 - عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص 217.

2 - المصدر السابق نفسه.

3 - السيوطي: المزهر، ص 238.

4 - الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص 218.

5 - أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ص 213.

6 - المرجع السابق، ص 215.

7 - شاهين، توفيق: المشترك اللغوي، ص 225-226.

والثعبان، على سبيل المثال، في قصة موسى عليه السلام وعصاه، وبالتراب والثرى كذلك، فقد جاء في قصة موسى -عليه السلام- قوله تعالى: [قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى] (1)، كما جاء قوله تعالى عن العصا نفسها: [فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ] (2). وجاء قوله تعالى عن التراب: [فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا] (3). وعن الثرى ورد قوله تعالى: [لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى] (4). وفسر لسان العرب كلمة الثرى: "التراب الندي... وقوله عز وجل: وما تحت الثرى، جاء في التفسير أنه ما تحت الأرض" (5).

هذا ويعتبر توفيق شاهين الترادف وسيلة للفصاحة، فيه يمكن تخير اللفظ المناسب وصولاً إلى المعنى المطلوب لتحقيق البلاغة (6)، وبه تمكن واصل بن عطاء من ستر لثغته فتجنب نطق الراء إلى المرادفات الخالية من هذا الحرف. كما يعتقد شاهين أن الترادف ليس وفقاً على العربية (7)، وإن كان إبراهيم أنيس يذهب إلى أن كثرة الترادف خاصة بلغتنا " ولا تكاد تشركها في هذا لغة أخرى" (8).

وبعد هذه الإطلالة على عالم الترادف، وإثبات وجوده في اللغات عامة و في العربية على وجه الخصوص، نبدأ بدراسة هذه الظاهرة في هاشميات الكميت، حيث ظهر ذلك في ميادين هي: الإنسان، و الحيوان، و الحرب، و الطبيعة.

1 -سورة طه، آية 20.

2 - سورة الأعراف، آية 107.

3 -سورة البقرة، آية 264.

4 -سورة طه، آية 6.

5 -لسان العرب، (ثرا).

6- ينظر: شاهين، توفيق، المشترك اللغوي، ص 244.

7- شاهين، توفيق: المشترك اللغوي، ص 240.

8- أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ص 211.

الإنسان

(1)

استخدم الكميت مرادفين لكلمة القلب هما: الجنان، و الفؤاد، حيث استخدم كليهما غير

مرة في هاشمياته، يقول مستخدماً لفظ القلب: (الخفيف)

منن لقلوب متيم مستهام غير ما صبووة ولا أحلام⁽¹⁾

في حين ورد لفظ الجنان في قوله مخاطباً الهاشميين: (الطويل)

أنتكم على هول الجنان ولم تطع لها ناهياً مما ينن ويزحل⁽²⁾

أما كلمة الفؤاد فجاءت في قوله: (المنسرح)

فاعتتب الشوق من فؤادي والشعر إلى من إليه معتتب⁽³⁾

فالقلب والجنان والفؤاد مترادفات استخدمها الشاعر بنفس المعنى، حين عبر عن حبه للهاشميين.

(2)

ويأتي الكميت بمترادفين اثنين يصف بهما المرأة الحسناء: واضحات الخدود، البيض،

فيقول: (الخفيف)

طارقات ولا انكار غوان واضحات الخدود كالآرام⁽⁴⁾

1- البيت الأول، الهاشمية الأولى، ص 11.

2- البيت العاشر بعد المئة، الهاشمية الرابعة، ص 187.

3- البيت الحادي والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 110.

4- البيت الثاني، الهاشمية الأولى، ص 12.

ويشرح أبو رياش فيقول: " واضحات الخدود: بيضاها "، ولا ريب أن الشاعر قد أتى ببياض الخدود كمعلم جمالي بعدما ربطه ببياض الأرام، وهي الطباء البيض، لذا فهذا البياض غيره حين قال عن بني هاشم: واضحي خدود، فهذا الوضح والبياض هو الذي يقول عنه لسان العرب: " وهذا كثيرٌ في شعرهم لا يريدون به بياض اللون ولكنهم يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض من العيوب " (1).

واستخدم الكميت البيض في قوله: (الطويل)

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني أذو الشيب يلعب (2)

ومن الملحوظ أن وصف النساء هذا قد جاء في مطالع القصائد وفي مقدماته الخاصة به التي ينفي بها ميله إلى النساء، بل ميله كله وحبه مقصورٌ موقوفٌ على أهل الفضائل والنهي، على الهاشميين -عليهم السلام-.

(3)

واستمرراً للحديث عن حبه للهاشميين، يرادف الكميت بين مفردات عدة: الهوى، والحب، والمودة، والكلف، فيقول: (الخفيف)

بل هَوَايَ الَّذِي أَجِنُّ وَأَبْدِي لِبَنِي هَاشِمٍ فُرُوعِ الْأَنْبَامِ (3)

ويستعمل الشاعر مرادفاً للهوى حين يقول: (الطويل)

خَفَضْتُ لَهُمْ مَنِّي جَنَاحِي مَوْدَةٍ إِلَى كَنَفِ عِطْفَاءِ أَهْلِ وَمَرْحَبِ (4)

1- لسان العرب، (بيض).

2- البيت الأول، الهاشمية الثانية، ص 43.

3- البيت الثالث، الهاشمية الأولى، ص 12..

4- البيت الثامن، الهاشمية الثانية، ص 47..

وجاء في لسان العرب: "الود: مصدر المودة، ابن سيده: الود: الحب... " (1).

ويأتي الكميت بلفظ الحب، فيقول: (الطويل)
يَعْيِيوَنَنِي مِنْ حُبِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ . عَلَى حُبِّكُمْ بَلْ يَسْخَرُونَ وَأَعْجَبُ (2)

ويستخدم الكميت مرادفاً آخر فيقول: (المنسرح)
أُبْرِحُ بِمَنْ كَلَّفَ السِّدْيَارَ وَمَا تَزَعُمُ فِيهِ الشَّوَاحِجُ النُّعْبُ (3)

وجاء في لسان العرب قوله شارحاً: "وكلف بالشيء كلفاً و كلفةً فهو كلفٌ ومكلفٌ: لهج به.

أبو زيد كلفتُ منك أمراً كلفاً وكلف بها أشد الكلف أي أحبها" (4).

فالشاعر قد وقف هوامه ماظهر منه وما بطن لفروع الأنام وخيرهم، لبني هاشم، بعدما
انصرف شوقه وشعره إليهم، رغم ما يلاقي في هذا السبيل من عناء وعنت.

(4)

ومتابعةً لمذح آل البيت يورد الكميت مجموعة من المترادفات: الذرى، وفروع، وبادخ،
فيقول: (الخفيف)

لِلذَّرِيِّ فَالذَّرِيُّ مِنَ الحَسَبِ النَّشَا قَبِ بَيْنِ القَمَقَمِ فالقَمَقَمِ (5)

حيث يفسر أبو رياش فيقول: "ذروة كل شيء أعلاه".

1- لسان العرب، (ودد).

2- البيت الرابع والعشرون، الهاشمية الثانية، ص 53.

3- البيت العشرون، الهاشمية الثالثة، ص 106.

4- لسان العرب، (كلف).

5- البيت الرابع عشر، الهاشمية الأولى، ص 16.

وأتي الكميت بمرادف آخر حين يقول: (الخفيف)
 أسرة الصّادقِ الحديثِ أبي القّا سيم ففرع القدامس القدام (1)

ويفسر الشارح لفظ الفرع: "وفرع القدامس أعلى الشرف" كما يفسره في موضع آخر: "الفروع الأعالى، وفرع كل شيء أعلاه".

ويستخدم الكميت مرادفاً آخر ممتدحاً بني هاشم قائلاً: (المقارب)

بني هاشم فهم الأكرمون بني الباذخ الأفضل الأطيب (2)

وبالرجوع إلى لسان العرب نجد أن: "الباذخ: العالى ويجمع على بذخ" (3). وعلى ضوء إضافة الشاعر لكلمة (فرع) للقدامس، و(ذرى) للحسب فيمكننا أن نقدر أن الباذخ هي صفة للشرف أو ما شاكله، فيكون التقدير: بني الشرف الباذخ، ومنه قول ابن خفاجة: (الطويل)

وأرعن طمّاح الذؤابة باذخ يطاول أعنان السماء بغارب (4)

فبنو هاشم هم الذؤابة وهم الأعلون إذا ما انتسب الناس، ولا غرو فهم أسرة الصادق الأمين.

(5)

وفي سبيل رفعه آل بيت النبوة إلى الذروة، يستخدم الكميت مجموعة من المترادفات

للشرف الذين جعل آل البيت تاجاً لهم، فذكر الأنام، و الناس، وبني آدم، وبني حواء، والبرية، و

1- البيت الخامس والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.

2- البيت الثامن الهاشمية الخامسة، ص 189.

3- لسان العرب، (بذخ).

4- ديوان ابن خفاجة، ص 43.

خلق، يقول مادحاً بني هاشم: (الخفيف)

بَلْ هَوَايَ الَّذِي أَجِنُّ وَأَبْدِي لِبَنِي هَاشِمٍ فُرُوعَ الْأَمَامِ⁽¹⁾

ويقول في القصيدة ذاتها مادحاً الهاشميين:

والمُصِيبِينَ بِسَابِ مَا أَخْطَأَ النَّاسُ وَمُرْسِي قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ⁽²⁾

حيث لوحظ كثرة استخدام الشاعر لكلمة الناس في هاشمياته.

و يتابع بمرادف آخر في مدح الرسول، فيقول: (الخفيف)

خَيْرَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ مِنْ بَنِي آدَمَ طُرّاً مَأْمُومِهِمُ وَالْإِمَامِ⁽³⁾

وفي البيت التالي نجده قد أتى بمرادف آخر حين يقول: (الخفيف)

كَانَ مَيِّتاً جِنَازَةً خَيْرَ مَيِّتٍ غَيِّبَةً حَفَائِرِ الْأَقْوَامِ⁽⁴⁾

وكما نسب الرسول إلى بني آدم، ينسب الكميّ الهاشميين هذه المرة إلى بني حواء قائلاً:

(الطويل)

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يطلب⁽⁵⁾

ومن الملاحظ أن استخدام (بني حواء) غير مألوف، بل المشهور هو استخدام (بني آدم).

وإذا كان الكميّ قد وصف الرسول الكريم أنه خير بني آدم من الأحياء والأموات، وخير ميّتٍ ضمته القبور، فإنه يصف عالياً بالقدرة على تقويم البشرية وتصحيح مسارها،

1- البيت الثالث، الهاشمية الأولى، ص 12.

2- البيت الخامس، الهاشمية الأولى، ص 12.

3- البيت السادس والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.

4- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.

5- البيت الخامس، الهاشمية الثانية، ص 45.

لكنه يستخدم هذه المرة مرادفاً آخر قائلاً:

(الوافر)

وليثاً في المشاهد غير نكس لتقويم البرية مسـتطيعاً (1)

وجدير بالذكر أن (البرية) تعبير قرآني، حيث ورد في قوله تعالى: "أولئك هم خير البرية" (2). و أخيراً يضم الكميت كل أولئك من بني آدم إلى البرية والأقوام والناس، يضمهم جميعاً تحت ما يجمعهم وهو انهم خلق الله تعالى، فيقول عن علي -عليه السلام- وعن ولايته:

(البسيط)

في موقف أوقف الله النبي به لم يُعْطِه قبله من خلقه بشراً (3)

فالشاعر يعتقد في هذا البيت أن الرسول أعطى راية الولاية بعده لعلي عليه السلام، وما كان هذا الموقف إلا من الله تعالى، بوحى منه سبحانه زيادة في التوكيد أن الولاية لعلي كانت بأمر من الله تعالى فلا مبرر لتجاوزها والقفز عليها.

(6)

ويرادف الكميت بين الجور، والإهتزام، والبغي، والميل، في مواطن عدة، نافيةً هذه الصفات عن آل البيت، وملصقاً إياها بأهلها والجديرين بها، أهل الردة العربية الثانية، فيقول واصفاً آل النبي:

(الخفيف)

لا معازيل في الحرب تتابيل ولا رائمين بـواً اهتضام (4)

1- البيت التاسع عشر، الهاشمية السادسة، ص 199.

2- سورة البينة، الآية 7.

3- البيت الخامس، الهاشمية الثامنة، ص 202.

4- البيت الحادي والثلاثون، الهاشمية الأولى، ص 22..

ويُفسر الشارح، فيقول: "والاهتضام: الظلم، والذل، يقال فلان مهتضم أي مظلوم ذليل، والهضم
الذل"، وجاء في اللسان: "وهضمه بهضمه هضمًا واهتضمه وتهضمه: ظلمه وغصبه
وقهره"⁽¹⁾. ويصف الشاعر ملوك بني أمية وظلمهم قائلاً:

(الطويل)

وإن زوجوا أمرين جوراً وبدعةً أناخوا لأخرى ذات ودقين تخطب⁽²⁾

ويكمل الكميت الثناء والمديح لبني هاشم، فيأتي بمراد آخر للظلم:

(الخفيف)

بسطوا أيدي النّوال وكفّوا أيدي البغي عنهم والعُرام⁽³⁾

ونجد مرادفاً آخر للظلم حين يتكلم الشاعر على الفئة الباغية وسوء حال الأمة تحت

حكمها فيقول:

(الطويل)

فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو أن ذا الميل يعدل⁽⁴⁾

ويُفسر الشارح فيقول: "والميل الجور والميل في اللقضاء"، وجاء في اللسان: "ومال عن الحق
ومال عليه، في الظلم"⁽⁵⁾.

قال النبي ليسوا أهل جبنٍ إذا ما شمّرت الحرب عن ساقها، ولا يرأمون الذل، حتى إن
الشاعر ليتمنى أن يعدل أصحاب هذا الميل فيكفوا عن ظلمهم.

1- لسان العرب (هضم).

2- البيت السادس والستون، الهاشمية الثانية، ص 71.

3- البيت الثاني والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 25.

4- البيت الثالث، الهاشمية الرابعة، ص 147.

5- لسان العرب، (ميل).

وللتعبير عن ذلك الضلال والزلل الذي تمثل بأبشع صور الظلم الذي مورس على آل بيت النبوة، وكل من وقف إلى جانب الحق الذي مثله ودافعوا عنه، يستخدم الكميت بضعاً من المفردات المترادفة للتعبير عن الخطأ والزلل: الخطأ، ومخطئين، وضلال، وضلاً، والغبي، وأزلوا، فيقول واصفاً آل هاشم:

(الخفيف)

والمصيبين باب ما أخطأ النا سٌ ومرسي قواعد الإسلام (1)

وكما وصف آل البيت بانهم يصيبون ما أخطأ الناس، فإن الشاعر يصف الخوارج بأنهم مخطئون، فيقول:

(الخفيف)

في مُريدين مُخطئين هدى اللـه —هـ ومستقسمين بالأزلام (2)

ونلاحظ تأثر الشاعر بالقرآن الكريم إذ استخدم (مستقسمين بالأزلام) وهو من قوله تعالى: [وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ] (3). ثم يردف الكميت مخاطباً بني هاشم، ومنندداً بالأمويين، فيقول:

(الطويل)

يَعْيِبُونَنِي مِنْ خُبْنِهِمْ وَضَلَالِهِمْ عَلَى حُبِّكُمْ بَلْ يَسْخَرُونَ وَأَعْجَبُ (4)

وفي الهاشمية السابعة يستعمل الشاعر مرادفاً آخر قريباً من اللفظ الوارد في البيت السابق، إذ يقول في مقدمة طللية:

(البسيط)

وَلَا تَقِفْ بِدِيَارِ الْحَيِّ تَسْأَلُهَا تَبْكِي مَعَارِفَهَا ضَلَالاً بَتَّضْأَلِيلِ (5)

1- البيت الخامس، الهاشمية الأولى، ص 12..

2- البيت الحادي والسبعون، الهاشمية الأولى، ص 33.

3- سورة المائدة، آية 3.

4- البيت الرابع والعشرون، الهاشمية الثانية، ص 53.

5- البيت الثاني، الهاشمية السابعة، ص 200.

ويُفسر أبو رياش قائلاً: "الضل والضلال واحد، والتضليل تفعيل منه".

وفي هاشميته الثانية، وبعد أن استخدم كلمة الضلال، يستعمل الـكـمـيـت لفظاً آخر مرادفاً،

حيث يصف طواغيت بني أمية بقوله: (الطويل)

إذا شرعوا يوماً على الغي فتنةً طريقتهم فيها عن الحق أنكب (1)

ويبدو أثر القرآن الكريم في الشاعر هنا أيضاً، ذلك باستخدامه لفظ (الغي) الذي ورد في قوله تعالى: [قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ] (2).

وفي معرض حديثه عن بدع حكام بني أمية، وضلالات أهل الضلّ والتضليل، يقول الـكـمـيـت مستخدماً مرادفاً جديداً للضلال: (الطويل)

لهم كل عام بدعةٌ يُحدثونها أزلّوا بها أتباعهم ثم أوحلوا (3)
وقد جاء في لسان العرب: "وزلّ في رأيه ودينه يزلّ زلاً وزللاً وزلواً وزليلاً، تُمَدُّ وتُقَصَّرُ عن اللحياني، وأزله هو واستزله غيره... (4)".

(8)

ثم يأتي شاعر الهاشميين بطائفة جديدة من المترادفات، ومترادفات في الدفع والذّيات عما

تتبعي حمايته، فنكر: حماة، وحمامي، ويزود، ومذيب، يقول شاعر آل البيت مادحاً بني

هاشم: (الخفيف)

والحمّاة الكفاة في الحرب إن لف ضراماً وقودها بضرار (5)

1- البيت الرابع والستون، الهاشمية الثانية، ص 70.

2- سورة البقرة، آية 256.

3- البيت السابع والثلاثون، الهاشمية الرابعة، ص 161.

4- لسان العرب، (زل).

5- البيت السادس، الهاشمية الأولى، ص 13.

ويُفسر الشارح أبو ريش قائلًا: "الحماة: جمع حام وهو الذاب عن الحرم، الذي يحمي ما يحق عليه". ثم يخصص شاعر الهاشميين بمدحه حمزة فيقول:

ذو الجناحين وابن هالة منهم أسد الله والكمي المحامي (1)

وكما استخدمها الكمي هنا اسم فاعل، فقد استعملها في الهاشمية الثانية فعلاً، ذلك حين

قال يصف الثور:

فكان ادراكاً واعتراكاً كأنه على دبر يحميه غيران مؤاب (2)

وفي البيت التالي لهذا البيت يرادف الشاعر فيقول:

يذود بسخماويه من ضارياتها مدايقع لم يغتث عليهن مكسب (3)

ويُفسر الشارح: "يذود: يمنع، والذواد المنع".

وعلى حين استخدم الكمي الفعل يذود منسوباً إلى الثور، فقد استخدم اسم الفاعل منه

حين امتدح بيت النبوة الشريف:

سادة ذادة عن الخرد البيـ ض إذا اليوم كان كالأيام (4)

ويُفسر أبو ريش قائلًا: "وذادة جمع ذائد وهو الذي يذود ويحمي عن أهله... والذائد المانع والمدود هو الممنوع".

وفي آخر هاشميته الثانية يأتي الكمي بمرادف جديد في ثنايا حزنه وأساه على مقتل

الحسين، فيقول:

1- البيت الثامن والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 29.

2- البيت الثالث والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 97.

3- البيت الرابع والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 97.

4- البيت التاسع والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 22.

(الطويل)

قَتِيلٌ بِجَنْبِ الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَيَا لَكَ لِحْمًا لَيْسَ عَنْهُ مُذَبِّبٌ⁽¹⁾

وجاء في اللسان: " الذَّبُّ: الدفع والمنع... وَذَبَّ عَنْهُ يَذُبُّ ذَبًّا: دفع ومنع. وفلان يَذُبُّ عَنْ حريمه ذباً أي يدفع عنهم ".⁽²⁾

وفي البيت الأخير من الهاشمية السادسة، يستخدم الشاعر الفعل يذب، بعدما أخذ منه

(الوافر)

اسم الفاعل في البيت السابق، فيقول:

يَقِيمُ أُمُورَهَا وَيَذُبُّ عَنْهَا وَيَتْرُكُ جَدْبَهَا أَبْدًا مَرِيْعًا⁽³⁾

فالهاشميون يحمون ما تجب حمايته، ويدفعون عن الحسان، لكنهم مع ذلك لم يجدوا من يذب عنهم أو يذود، حتى قتل رجالهم بل وأطفالهم وسبيت نساؤهم!.

(9)

ولم ينسَ الكميت، وهو يرسخ أسس النظرية الزيدية أن يشير إلى الداء العضال الذي ألمّ بالأمة، مشيراً إلى الدواء الناجع له، وهو آل البيت وعلى رأسهم علي -عليه السلام-، فرادف بين الداء والسقم، حيث جاء كلاهما على وجه المجاز ما خلا مرة، يقول الكميت:

(الخفيف)

والأساةُ الشُّفَاةُ لِلدَّاءِ ذِي الرِّئِـ بة والمُدْرِكِينَ بِالْأَوْغَامِ⁽⁴⁾

1- البيت الثاني بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 85.

2- لسان العرب، (ذب).

3- البيت العشرون، الهاشمية السادسة، ص 199.

4- البيت التاسع، الهاشمية الأولى، ص 14.

وإذا كان المجاز يبدو قوياً في استعمال كلمة الداء هنا، فهو أقوى وأوضح في قوله واصفاً علياً -كرم الله وجهه-:

(الطويل)

لِنِعْمَ طَبِيبِ الدَّاءِ مِنْ أَمْرِ أُمَّةٍ تَوَاكَلَهَا ذُو الطَّبِّبِ وَالمُتَطَبِّبِ (1)

فهو الطبيب لعيب هذه الأمة التي أوكل أمرها المتطبيب طالب الطب والشفاء، والطبيب المداوي كلاهما للأخر، فالاستعمال المجازي لكلمة داء هنا أوضح وأقوى، جاء في اللسان: "ومنه قول المرأة: كل داء له داء، أرادت كل عيب في الرجال فهو فيه... وفي الحديث الشريف: وأي داء أدوى من البخل، أي أي عيب أفتح منه" (2). فالمعجم يقرر أن من معاني الداء: العيب، وهو المعنى الذي يرجحه نص البيت ومعناه العام، فالمريض هو الأمة، لا شخصاً بعينه، والداء والمرض والسقم في الأمة سيكون عيباً يعتورها وتتوء تحت وطأته، وليس مرضاً بالمعنى الحقيقي، وهل المرض إلا عيب ينال الجسم ويطاله؟

وكما وصف الداء بأنه (ذي الريبة) حين مدح آل البيت، فقد وصفه الكميّت بالمريب

عندما تكلم على حكام بني أمية ومعاملتهم للهاشميين:

(الطويل)

وَنَضَخِي إِيَّاهُ النَّقِيَّاتِ مِنْهُمْ أَدَاجِي عَلَى الدَّاءِ المُرِيبِ وَأَنْمُلُ (3)

وقد جاء في اللسان: "الريبة والريب: الشك" وورد أيضاً: "رابني أمره يريبي أي أدخل عليّ شراً وخوفاً... " (4). ومن ذلك نستطيع أن نفسر الداء ذا الريبة أو المريب، بأنه الداء الذي يزعج ويدخل الخوف والشر والسوء على صاحبه أو من يهمله أمره، وإن كان أبو رياش يفسر الداء (ذي الريبة) بأنه الداء الذي لا يُدرى كيف علاجه، وذلك في شرحه للبيت الرابع والسبعين من الهاشمية الثالثة. ومنه قوله في بيت سابق:

1- البيت الثالث والتسعون، الهاشمية الثانية، ص 82.

2- لسان العرب: (دوا).

3- البيت الرابع بعد المئة، الهاشمية الرابعة، ص 185.

4- لسان العرب، (ريب).

(الطويل)

على أنني في ما يُريب عدوهم من العَرَضِ الأدنى أَسْمُ وأَسْمَلُ (1)

فهو يصلح ما أفسده أولئك من أمور دنياه، حتى إذا ما بلغ السيل الزبي من شرورهم وإساءاتهم كان مستعداً لخوض غمارها في بيت تال. وواضح هنا كذلك الاستعمال المجازي للفظ الداء، فالشاعر يداجي ويدامل ويداري ما يعتمل في نفسه من السوء والانزعاج من الظلمة وأعمالهم، جاء في لسان العرب: " دامل الرجل: داراه ليصلح ما بينه وبينه... أدمل القوم أي أطويهم على ما فيهم " (2).

أما السقم وهو المرض كذلك، فيقول الكميت مرادفاً للداء: (الخفيف)

وأبو الفضل إن ذكرهم الخلو — وَبِئْسَ الشِّفَاءُ لِلْأَسْقَامِ (3)

وكما أن ذكر آل البيت شفاء للأمراض والأدواء والأسقام، فإن هموماً تدخل قلب الشاعر فتثير وتهيج تلك الأسقام، فيقول مستخدماً المفرد، هذه المرة: (الوافر)

دَخِيلٌ فِي الْفُؤَادِ يَهِيحُ سُقْمًا وَحُزْنًا كَانَ مِنْ جَدَلٍ مَنوعاً (4)

إن حب الهاشميين الذي عمر قلب الكميت جعله يشعر وبحق أن آل البيت هم الشفاء لأدواء الحياة ومصاعبها، يقول ذلك على الرغم مما رآه من أمراض وأسقام نهشت قلبه وهو يرى الحق يهضم، ولا دافع عنه.

1- البيت المئة، الهاشمية الرابعة، ص 184.

2- لسان العرب، (دمل).

3- البيت التاسع والسبعون، الهاشمية الأولى، ص 35.

4- البيت الثاني، الهاشمية السادسة، ص 195.

وبما أن الشاعر يتحدث عن السقم والمرض و الداء، فلا بد أن يتحدث عن شفي هذه

الأدواء، فاستخدم الأساءة، والشفاء، والطبيب، فيقول في الهاشميين: (المنسرح)

فهم هناك الأساءة للداء ذي الرِّ . يَبْسَةَ والرَّائِبُونَ مَا شَعَبُوا (1)

ويفسر الشارح فيقول: " الأساءة: الأطباء الواحد آسٍ، والرائبون: الشاعبون، يقال: رأبت القَدَحَ، أي شعبتَه " بمعنى أصلحته، فهم هنا أساءة أطباء فحسب، ويرأبون ويصلحون ما عمدوا إلى إصلاحه. ولكنهم في موضع آخر أساءة شفاة، يشفون ما يأسون ويطببون، وذلك حين يقول:

(الخفيف)

والأساءة الشُّفَاةُ للداءِ ذي الرِّيبِ —————ة والمُدْرِكِينَ بالأَوْغَامِ (2)

فهم هنا أطباء يشفون الداء الذي يقصدون إلى مداواته، فلا يفشلون ولا يخيبون، تماماً كما يشعبون ويصلحون ويرأبون ما يريدون رأبه وإصلاحه، وهم كذلك يدركون الثأر إذا ما قصدوا إلى ذلك سبيلاً.

ويرادف الكميت بين الأساءة والطبيب، ذلك حين يصف علياً، بقوله: (الطويل)

لِنِعْمَ طَبِيبُ الدَّاءِ مِنْ أَمْرِ أُمَّةٍ تَوَاكَلَهَا ذُو الطَّبِّبِ وَالْمُتَطَبِّبِ (3)

وفسر أبو ريش فقال: " والطب: العالم. والمتطبب الذي يطلب علم الطب، ولعل الشارح أراد أن يقول ذو الطب، ليكون معناه العالم. أما لسان العرب فقد خالف أبا ريش بعض الشيء حين قال: "الطبيب في الأصل: الحاذق بالأمور، العارف بها، وبه سُميَ الطبيب الذي يعالج المرض... ورجلٌ طَبٌّ وطبيبٌ عالمٌ بالطب... والطَّبُّ والطبيب الحاذق من الرجال الماهر بعمله... وكل

1- البيت الرابع والسبعون، الهاشمية الثالثة، ص 123.

2- البيت التاسع، الهاشمية الأولى، ص 14.

3- البيت الثالث والتسعون، الهاشمية الثانية، ص 82.

حاذق بعمله طبيباً عند العرب " أما المتطبيب فيقول عنه اللسان: " الذي يتعاطى علم الطب... والمتطبيب: الذي يعاني الطب ولا يعرفه معرفة جيدة"⁽¹⁾.

وقد استخدم الكميت الطَّبَّ بمعنى الحاذق الماهر فقال يصف آل بيت النبوة: (الخفيف)
راجحي الوزنِ كاملي العدل في السيرةِ طَبَّينِ بالأُمورِ الجِشَامِ⁽²⁾
حيث فسرها أبو رياش بقوله: "الطَّبَّ: الرقيق الحاذق... ويقال ما أطب فلاناً: أي ما أحذقه بالأُمور".

(11)

وكما تحدثت الكميت على أسقام الجسم، على سبيل الحقيقة وعلى وجه المجاز، فقد تكلم كذلك على أمراض النفس من أحقادٍ وطلبٍ للنَّارِ فرادف بين مجموعة أخرى من

المفردات: أوغام، وذحول، وأوتار، يقول: (الخفيف)
والأساءَةُ الشَّفَاةُ للذَّاءِ ذي الرِّيبِ
ة والمـدركين بالأوغام⁽³⁾

ويفسر الشارح الأوغام قائلاً: "وقوله الأوغام أي الأوتار واحدها وغم، والأوتار جمع وتر، والترة مثل الوتر، يقال فلان موتور في قومه أي لم يأخذ طائفة المقتول"، وفي اللسان: "والوغم: الذَّحْلُ والترة، والأوغام الترات"⁽⁴⁾.

وفي الذحول يقول الكميت مادحاً الهاشميين:

1- لسان العرب، (طبيب).

2- البيت الخامس عشر، الهاشمية الأولى، ص 16.

3- البيت التاسع، الهاشمية الأولى، ص 14.

4- لسان العرب، (وغم).

(الخفيف)

ومَدَارِيكَ لِلذَّحُولِ مَدَارِي_____ كُ وَإِنْ أَحْفِظُوا لِعُورِ الْكَلَامِ (1)

وقد فسر أبو ريش قائلًا: "مداريك للذحول: أي يدركونها حتى لا يفوتهم ذحلٌ ولا يتعذر عليهم أخذ الطائفة، والذحل واحد الذحول، وهي الأحقاد"، أما اللسان فيقول مفسراً للذحول: "الذحل الثأر، وقيل طلب مكافأة بجنابة جنيت عليك أو عداوة أتيت إليك... وجمعه أذحال وذحول وهو الترة... والذحل الوتر" (2).

(الطويل)

ويستخدم الشاعر لفظ الوتر فيقول:

على الجُرد من آل الوجيه ولاحقٍ تُذَكِّرُنَا أوتارنا حين تصنهل (3)

ويقول أبو ريش مفسراً: "والأوتار الذحول، الواحد وتر". بينما يقول اللسان: "والوتر والوتر والوتر والوتر والوتر: الظلم في الذحل، وقيل هو الذحل عامة... والموتور الذي قُتل له قتيل فلم يدرك بدمه"، وجديرٌ بالإشارة أن اللسان ذكر قبل هذا: "الوتر والوتر: الفرد أو مالم يتشفع من العدد... قال اللحياني: أهل الحجاز يسمون الفرد الوتر، وأهل نجد يكسرون الواو وهي صلاة الوتر والوتر لأهل الحجاز" (4). إنهم قادرون على إدراك ما عزموا على إدراكه من ذحول وثارات، لا يتصفون بالعجز ولا يتسمون بقلة الحيلة، ولكنهم من الحكمة والحلم على قدر يؤهلهم لتترك ما استطاعوا إدراكه إذا ما أرادوا ذلك.

1- البيت التاسع عشر، الهاشمية الأولى، ص 17.

2- لسان العرب، (ذحل).

3- البيت السادس والستون، الهاشمية الرابعة، ص 172.

4- لسان العرب، (وتر).

ثم يعبر الكميّ عن الإدراك والظفر بمجموعة من المترادفات، توزعت بين إدراك هابطٍ للوابطين، وظفرٍ متفردٍ بأطراف المجد وحذافيره لدى آل البيت -عليهم السلام-، فاستخدم: مدركين، و نيل، وفاز، و افتلجوا، وأحرز، وظفر، يقول الشاعر ذاماً الفئة الباغية: (المنسرح) وأدركوا دونه أحاطي في حيث مدى الوابطين إذ لغبوا⁽¹⁾

ويفسر الشارح قائلاً: "أدركوا يعني بني أمية دون مجد بني هاشم. والهاء تعود على المجد، وقال الأموي أدركوا دون حظوظ لبني هاشم في لغوب من بني أمية وضعف". وفسر الشارح كلمة الوابطين فقال: "هم الضعفاء، الواحد وابط".

وبالمقابل لإدراك بني أمية ذلك، يصف الكميّ إدراك الهاشميين للمجد، هذا الإدراك

الذي لم يشاركهم فيه مشارك، فيقول: (المنسرح)

فازوا به لا مشاركين كما أحرز صفو النهاب منتهب⁽²⁾

وفسر الشارح فقال: "فازوا به أي بالمجد"، ونلاحظ أن الشاعر قد رادف بين فاز وأحرز في

هذا البيت، كما استخدم الإحراز في بيت سابق حين قال: (المنسرح)

والمحرزو السبق في مواطن لا تجعل غايات أهلها القصب⁽³⁾

فهم يحرزون السبق والفوز على غيرهم، ويفسر أبو رياش قائلاً: "القصب: قصب الرهان، يقول ذلك في الدين، أي سبقهم في الدين لا في سبق الخيل"، وجاء في اللسان حول قصب الرهان: "وقيل للسابق أحرز القصب، لأن الغاية التي يسبق إليها تُدرع بالقصب، وتُركز تلك القصب عند منتهى الغاية، فمن سبق إليها حازها واستحق الخطر. ويقال حاز قصب السبق أي استولى على

1- البيت الثامن والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 127.

2- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 126.

3- البيت السبعون، الهاشمية الثالثة، ص 122.

الأمد " وجاء في اللسان كذلك: "والسبق والسابقة: القُدْمة " أما عن الخطر فيقول اللسان: "وفي التهذيب: الذي يوضع في النَّضال" (1) والنُّضالُ هو المباراة والسباق في الرمي، كما يقول اللسان (نضل، وسبق). ونلاحظ الاستخدام الحقيقي لا المجازي للفوز بالقُدْمة والريادة، وإن وضع الشاعر ذلك في أجواء التسابق والتراهن وما فيه من قصبٍ وخطرٍ فالغاية هنا والهدف ليس القصب، بل أعظم من ذلك كثيراً وأبعد إنه الدين وميدانه.

وفي مرادف آخر يقول الكميت: (الطويل)
وقد دَرَسُوا الْقِرَانَ وَافْتَلَجُوا بِهِ فَكَلَّهُمْ رَاضٍ بِهِ مُتَحَزِّبٌ (2)

ويفسر أبو ريش قائلًا: "وافتلجوا به: من الفلج أي ظفروا بما يريدون"، وبالرجوع إلى اللسان نجد أن الفلج: "الظفر والفوز وقد فلج الرجل على خصمه يفلج فلجاً" (3)، أي أن اللسان يُسَكِّن اللام في الفلج، بينما الشارح يحركها بالفتح، الفلج. علماً أن اللسان يقول عن الفلج، بالفتح: "الفحج في الساقين... والفلج تباعد القدمين أخراً... والفلج في الأسنان تباعد ما بين الثنايا والرباعيات خِلقة" (4).

ويتابع الكميت مرادفاً بين مفردات الفوز، فيقول في مقتل الحسين: (الطويل)
فَمَا ظَفِرَ الْمُجْرَى إِلَيْهِمْ بِرَأْسِهِ وَلَا عَدَلَ الْبَاكِي عَلَيْهِ الْمُؤَلُولُ (5)

وقد ورد في اللسان شرحٌ للظفر، إذ يقول: "الظفر، بالفتح: الفوز بالمطلوب. الليث: الظفر الفوز بما طلبت، والفلج على من خاصمته" (6).

1- لسان العرب، (قصب) و (سبق).

2- البيت الثاني والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 74.

3- لسان العرب، (فلج).

4- المرجع السابق.

5- البيت الثامن والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص 169.

6- لسان العرب (ظفر).

ويأتي الكميت بمرادفٍ أخيرٍ للظفر والفوز، فيقول: (المنسرح)

إلى مَزورينَ في زيارتهم نَيْلُ التُّقى واستُتِمَتِ الحِسْبُ (1)

وبالرجوع إلى لسان العرب نجد: "ويجوز أن يقال نَوَّلَني فتَوَّلَني فتَوَّلَني أي أخذت... " (2)

ويؤيد ما جاء في اللسان قول الكميت في بيتٍ آخر: (المتقارب)

أُوْمَلُ عَدْلًا عسى أن أنا ل ما بين شرقٍ إلى مغرب (3)

فالنوال هنا يعني ما أراده في البيت السابق، وهو إصابة الخير وأخذه والفوز به.

لكن الكميت يستعمل النوال بمعنى آخر حين يقول عن قتل الإمام علي: (الخفيف)

نَالْنَا فَقَدَهُ ونال سِوانا باجْتِدَاعٍ مِنَ الْأَنْوَفِ اصْطِلَامِ (4)

فنال هنا تعني، مثل سابقتها، أصاب، لكنها هنا تختلف عنها هناك، فهي هنا تعني الإصابة بالسوء وليس إصابة الخير والفوز به.

وقريبٌ من هذا المعنى ما جاء في قوله: (المنسرح)

ونالَ منها الشَّوى نوافِذَ كالألـ خاصِيفٍ أوْهَى نِعَالَهُ النَّقَبِ (5)

إذ يفسر أبو رياش فيقول: "والمعنى: نال منها الثور نوافذ في موضع الشوى وهي الأطراف"، فقد أصاب الثور الكلاب بتقوبٍ ونوافذٍ في أماكن أطرافها.

ويرادف الكميت الإصابة بالمعنى الآخر، فيقول مادحاً بني هاشم:

1- البيت الثالث والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 144.

2- لسان العرب، (نيل).

3- البيت الثاني والثلاثون، الهاشمية الخامسة، ص 194.

4- البيت الثامن والستون، الهاشمية الأولى، ص 31.

5- البيت الخامس عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 138.

(الطويل)

إلى النَّفْرِ البَيْضِ الَّذِينَ حُبَّبَهُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ⁽¹⁾

ويفسر أبو رياش: "وقوله فيما نابني أتقرب، يريد الذين بحبهم والتقرب إليهم والميل إليهم"، وهو تفسير لا أراه وافياً؛ فالذين بحبهم والتقرب إليهم والميل إليهم... ماذا؟ وأرى أن التفسير هو: الذين بسبب حبي لهم فإنني أتقرب إلى الله تعالى فيما يصيبني وينوبني من عذابات وشدة وسوء، جاء في اللسان: "والنوبة، بالضم: الاسم من قولك نابه أمر، وانتابه أي أصابه"⁽²⁾

وشبيهة بذلك هذه الأبيات التي يشيد فيها الكميث بالهاشميين، وهي أبيات أربعة كلها تبدأ

بالقول: فإنهم، وإنهم للناس فيما ينوبهم، وأولها:

فإنهم للناس فيما ينوبهم غِيُوثٌ حَيًّا يَنْفِي بِهِ الْمَحَلَّ مُنْجِلُ⁽³⁾

إذ يفسر أبو رياش ذلك: "ينوبهم أي ينزل بهم من الجذب والقحط والفقر، يعني أنهم يغِيثون الفقير ويعطون السائل"، وهو تفسير لا أراه قد أصاب الحقيقة كاملة؛ فالبيت لم يحدد ما ينزل بانه الجذب والقحط والفقر، بل قد عمم ولم يحدد ما يصيب الناس ويحل بهم من مصاعب وشدائد، فهم للناس بما يواجهون من المصاعب والشدائد، كالخصب الذي يواجه القحط وينفي الجذب. وقبل هذه المجموعة الرباعية من الأبيات، أتى الشاعر بمرادف لما ينوب الناس حين قال:

(الطويل)

وإن نزلت بالناس عمياء لم يكن لَهُمْ بَصْرٌ إِلَّا بِهِمْ حِينَ تُشَكِّلُ⁽⁴⁾

1- البيت السادس، الهاشمية الثانية، ص 45.

2- لسان العرب (نوب).

3- البيت الثامن والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص 177..

4- البيت الخامس والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص 176.

ويشرح اللسان الفعل، نزل، فيقول: "ونزل به الأمر: حلَّ" (1). فيكون تفسير البيت: إن حَلَّتْ بالناس عمياء وأمرٌ مشكل مبهم، فبهم أي بني هاشم يكون الإبصار وإزالة الإبهام والغموض والإشكال. وإذا كان الكميت قد عبر عن الإصابة بـ نال وناب، فقد استخدمها بلفظها حين قال:

(الوافر)

يَعزُّ على أحمد بالذي أصاب ابنه أمس من يوسف (2)

فالهاشميون قد نجحوا في الوصول إلى ذرى المجد، على عكس أولئك الذين نالوا الماجدين بألوان شتى من الظلم والتكيل وصلت بهم إلى التقتيل.

(13)

كما استخدم الكميت جملة من الألفاظ المترادفة، كلها تعني العظمة والكبر، وهي:

العظام، و الجشام، واللهم، والمفطع، والجلال، يقول: (الخفيف)

والرؤايا التي بها يحملُ النا سٌ وسوقَ المُطَبَّعاتِ العِظامِ (3)

وجاء في اللسان: "والعِظْمُ خلاف الصَّعْر. عَظْمٌ يَعْظُمُ عِظْماً وَعِظَامَةٌ: كَبِيرٌ وَهُوَ عَظِيمٌ وَعِظَامٌ" (4).

أما الجشام فضمنها الكميت في قوله: (الخفيف)

راجحي الوزن كاملي العدل في السيرة طبَّين بالأمور الجشام (5)

1- لسان العرب، (نزل).

2- البيت الأول، الهاشمية العاشرة، ص 203.

3- البيت العاشر، الهاشمية الأولى، ص 14.

4- لسان العرب، (عظم).

5- البيت الخامس عشر، الهاشمية الأولى، ص 16.

ولم يفسر أبو ريش لفظ الجِشام، وكأنني به قد عدتها من البداهة حتى أنها لا تحتاج لذلك، ولكن بالرجوع إلى اللسان نجد: "ورمى عليه جِشَمَه و جِشَمَه أي ثقله. والجِشِمُ الغليظ" (1) ويبدو أن الجِشام هي جمع جِشَم، فتعني العظيم الثقيل، وقد فسر اللسان الغلظ فقال: "الغلظ: ضد الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك" (2)، وهذا هو المعنى الذي استخدمه الشاعر، فالأمور تكون عظيمة بهذا المعنى وهو الثقل المعنوي، لا الثقل المادي.

وجاءت المرادفة الثالثة، اللهم، في قوله: (الخفيف)

مُسْتَعْفِينَ مُفْضِلِينَ مَسَامِيحًا ————— ح مراجيح في الخميس اللّهام (3)

وفسر الشارح فقال: "واللّهام: الذي يلتهم كل شيء أي يبتلعه"، وفي اللسان: "وجيش لّهام: كثير يلتهم كل شيء ويغتمر من دخل فيه أي يُغَيِّبُه ويستغرقه. واللّهام الجيش الكثير كأنه يلتهم كل شيء" (4).

وضمن الكميت المرادفة الرابعة، حين قال: (المنسرح)

والكاشفو المُفْطِيعُ المُهَمُّ إِذَا ————— تَفَّ بِتَصْنِيدِ أَهْلِهَا الْحَقَّابِ (5)

ومما قاله أبو ريش مفسراً: "المفطع: العظيم"، وفي اللسان: "فَطَعَ الأمر، بالضم، يَفْطَعُ فِطَاعَةً، بالضم، فهو فَطِيعٌ وَفَطِيعٌ... أَفْطَعَ الأمر: اشتدَّ وَشَنَعُ وَجَاوَزَ الْمَقْدَارَ وَبَرَّحَ، فهو مُفْطِيعٌ... (6)"

أما المرادفة الأخيرة، الجلل، فجاءت في بيتين متتاليين: (الطويل)

وْغَابَ نَبِيُّ اللَّهِ عَنْهُمْ وَفَقَدَهُ ————— عَلَى النَّاسِ رُزْءٌ مَا هُنَاكَ مُجَلَّلٌ

1- لسان العرب، (جشم).

2- لسان العرب، (غلظ).

3- البيت الثامن عشر، الهاشمية الأولى، ص 17.

4- لسان العرب، (لهم).

5- البيت الواحد و السبعون، الهاشمية الثالثة، ص 122.

6- لسان العرب، (فطع).

فلم أرَ مَخْذولاً أَجَلٌ مُصِيبَةً و أوجبَ منه نُصْرَةً حينَ يُخْذَلُ (1)

إذ يقول الشارح أبو رياش في البيت الأول: "والمُجَلَّل: المُعْظَم"، ومن الواضح أن الكمية قد استخدم الجلل بأحد معنييه وهو العظيم، إذ إن الجلل "من الأضداد يكون للحقير وللعظيم" (2)

(14)

وكانني بشاعر آل البيت المنافع عنهم، المجالد عن حقهم المُضَيِّع، قد تذكر العطش الذي ذاقه الحسين وآله -عليهم السلام-، على أيدي أولئك، فقال لينبه على هذه المفارقة المؤلمة، حين يعاني حرَّ الظمأ من بهم يُكشَف غليل العطش، فاستخدم مترادفاتٍ للعطش في أبياتٍ ثلاثة، حيث استخدم في بيتٍ واحدٍ منها ثلاثة مترادفاتٍ هي: الحِرَّة، و الغليل، والأوام، فيقول مادحاً الهاشميين:

والبحورُ التي بها تُكشَف الحِرَّةُ ةُ والذَّاءُ من غَلِيلِ الأوامِ (3)

ويقول أبو رياش مفسراً: "الحِرَّة: العطش، والحرارة أوار العطش".

وفي اللسان: "والحِرَّة والحرارة: العطش، وقيل شدته... ورجلٌ حرَّان: عطشان" (4). أما عن الغليل فيقول الشارح: "والغَلَّة أيضاً العطش، ومثله الغليل"، أما اللسان فيفسر قائلاً: "الغُلُّ والغَلَّة والغَلُّ والغَلِيل، كله شدة العطش وحرارته قلَّ أو كثر... وبغيرٍ غالٌ وغلان، بالفتح: عطشان شديد العطش" (5)، ويفسر أبو رياش الأوام فيقول: "الأوام الحرُّ من العطش"، أما اللسان فيقول:

1- البيتان الثالث والخمسون والرابع والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص 167.

2- لسان العرب، (جلل).

3- البيت الحادي عشر، الهاشمية الأولى، ص 15.

4- لسان العرب، (حرر).

5- المرجع السابق، (غلل).

"الأوام، بالضم: العطش، وقيل حره، وقيل شدة العطش، وأن يضح العطشان"⁽¹⁾. إذن، فالكلمات الثلاث تلتقي على العطش وشدته، فهي مترادفات كلها.

أما الكلمة، ظماً، فجاءت في قوله: (الطويل)
إليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازغ من قلبي ظمَاءً وألب (2)

ومما قاله الشارح في تفسيره: "ظماء: عطاش إلى محبتكم"، وقد علق لسان العرب على الاستعمال المجازي للظماً في البيت حين أورده مستشهداً به فقال: "استعار الظماً للنوازغ وإن لم تكن أشخاصاً"⁽³⁾.

ثم يستخدم الكميت المترادفة الثالثة، الصادي، فيقول: (المتقارب)
وردت مياههم صادياً بحائمٍ وردت مسـ تعذب (4)

إذ فسرهما أبو ريش فقال: "الصادي: العطشان، والصدى العطش"، ومن الواضح أن الاستعمال هنا قد جاء مجازياً كذلك.

وقد رأى الكميت أن يشارك أحبائه تلك المحنة فنسب الظماً إلى نفسه، فمرة وصف نوازغ قلبه ظمأى إلى حبه، ومرة تعطش هو إلى مياههم، فما حلأوه ولا منعوه، كما فعل حكّام بني أمية مع سيده وآله -عليهم السلام-.

1- نفس المرجع، (أوم).

2- البيت التاسع عشر، الهاشمية الثانية، ص 51.

3- لسان العرب، (ظماً).

4- البيت التاسع عشر، الهاشمية الخامسة، ص 191.

وتمشياً مع تلك الرحمة عند الماء، يكمل الكميت الصورة بمجموعة من المفردات عن

الرحمة واللين: مُسَجِّح، وهَيِّن، و سُرُح، فيقول في مدح الإمام علي: (الخفيف)

رَاعِيَا كَان مُسَجِّحاً قَدْنَا هُ وَفَقَدُ الْمُسِيمِ هُلك السَّوَامِ (1)

وقال أبو ريش مفسراً: "المسجج: الرفيق السهل، ومنه: فلان ذو خلق سَجِج، أي لين موطأ سهل"، وكذا في اللسان: "وخلق سَجِج: لين سهل، وكذلك المشية بغير هاء... وورد في حديث علي-عليه السلام- يحرّض أصحابه على القتال: وامشوا إلى الموت مشية سَجِجاً" (2).

ثم يستعمل الكميت مرادفتين تنتين للفظ، مسجج، بقوله: (المنسرح)

هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ فِي بِيوتِهِمْ سِنَخُ التَّقَى وَالْفَضَائِلِ الرَّثْبِ (3)

وجاء في كشف الخفاء: "المؤمنون هينون لينون" (4)، رواه البيهقي والقضاعي والعسكري عن ابن عمر مرفوعاً. وجاء في اللسان: "هان يهين مثل لان يلين" أما عن اللين فيقول: "اللين ضد الخشونة... وفي الحديث الشريف: يتلون كتاب الله ليئناً، أي سهلاً على ألسنتهم" (5)، ونلاحظ الترادف بين مُسَجِّح، وهَيِّن، ولَيِّن، فقد فسر السَجِج باللين السهل، كما فسر اللين في البيت الثاني بالسهل أيضاً. ويصف الكميت الناقة بذات الصفة، فهي سُرُح سهلة وذلك حين يقول:

(المنسرح)

هُجَاءٌ كَالْفَحْلِ هُوَجَلَّ سُرُحٌ تَتَشَقُّ عَنْهَا هَوَاجِرُ الذُّؤْبِ (6)

1- البيت السابع والستون، الهاشمية الأولى، ص 31.

2- لسان العرب، (سجج).

3- البيت الخامس والستون، الهاشمية الثالثة، ص 121.

4- البيهقي: كشف الخفاء، ص 291.

5- لسان العرب، (هين)، (لين).

6- البيت المئة، الهاشمية الثالثة، ص 132.

وقد فسر الشارح كلمة سُرُح قائلاً: "والسرح التي تعطيك ما عندها عفواً". لكن اللسان يقول: "السُرُح: السهل، وإذا سَهَلت ولادة المرأة قيل ولَدت سُرُحاً"⁽¹⁾. ويبدو أن العرب قد ربطت السهولة والليونة بالسرعة فقالوا: "وأمرٌ سَرِيحٌ: مُعَجَّلٌ، والاسم منه السَّرَاح، والعرب تقول: إن خيرك لفي سَرِيحٍ، وإن خيرك لسَرِيحٍ، وهو ضد البطيء... وخيلٌ سُرُحٌ وناقةٌ سُرُحٌ ومنسَرِحَةٌ في سيرها أي سريعة"⁽²⁾. وهو ما فعله الشاعر حين جمع في الناقة بين السرعة (هُوَجَل) وبين السراح.

لقد أشرب الشاعر أخلاق بيت النبوة، حيث الرحمة واللين، فمد ذلك ليطال حتى البهيم، فالناقة سهلة تعطي ما عندها عفواً.

(16)

ولا ريب في أن من أوضح معالم الرحمة واللين، الأريحية، فيصف الكميت الهاشميين بجملة من الألفاظ الدالة على ذلك: كرام، ومساميح، وأريحيين، ومواهيب، وخضمين، و مطاعيم، وخضارم، ومسهب، وجود، ونائل، وندى، كما عبر عن الكرم بأبيات كاملة يفيد معناها العام بالكرم والوجود، وغني عن الإشارة أن هذا الاستخدام جاء كله في سياق المدح والثناء على بيت النبوة وآل النبي، يقول الكميت:

لَكثِيرِينَ طَيِّبِينَ مِنَ النَّا سِ وَبَرِّينَ صَادِقِينَ كِرَامِ⁽³⁾

وفيه يعبر الشاعر عن المعنى باللفظ المألوف الشائع، الكرم، وهم كذلك بررة أبرار، وهي صفة أوسع من الكرم؛ فهي تعني الخير عامة "خير الدنيا والآخرة"⁽⁴⁾.

1- لسان العرب، (سرح).

2- المصدر السابق.

3- البيت الثاني عشر، الهاشمية الأولى، ص 15.

4- لسان العرب، (برر).

كما قال في وصفهم:

(الخفيف)

مُسْتَعْفِينٌ مُفْضِلِينَ مَسَامِيحًا ————— حُ مَرَايِحُ فِي الْخَمِيسِ اللَّهُام (1)

وقد فسر أبو ريش المساميح بالأجواد. وترد صفة مساميح في بيت آخر يمتدح فيه الهاشميين فيقول:

(المتقارب)

مَسَامِيحُ بَيْضِ كِرَامِ الْجُدُودِ ————— مَرَايِحُ فِي الرَّهَجِ الْأَصْنَبِ (2)

(الخفيف)

ويقول مستخدماً لفظاً آخر من هذه المترادفات:

أَبْطَحِيينَ أُرِيحِيينَ كَالْأُنْ ————— جُمُ ذَاتِ الرُّجُومِ وَالْأَعْلَامِ (3)

إذ يفسر أبو ريش فيقول: "الأريحي: السخي الذي يرتاح للمعروف"، وفي اللسان: "الأريحي: الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف" (4).

(الخفيف)

ويورد الكميت مجموعة من المترادفات في بيت يقول:

مُسْتَفِيدِينَ مُتَلْفِينَ مَوَاهِبًا ————— بُ مَطَاعِيمُ غَيْرُ مَا أَبْرَامِ (5)

فالأوصاف: متلفين، ومواهب، ومطاعيم، وغير ما أبرام، كلها تصب في ذات المعنى وهو الكرم والسخاء، فهم يتلفون وينفقون ما يستفيدونه ويجنونه، ويهبون ويطعمون، وهم أخيراً غير أبرام بل كرماء أسخياء. ويقول أبو ريش في تفسيره البيت: "يستفيدون ويتلفون، أي يعطون الناس ما يستفيدون ويهبون، والبرم الذي لا يأخذ مع القوم اللحم في الميسر ولا يدخل في قمارهم، ولا يهدي حين يهدى إليه"، وفي اللسان: "وفي حديث مذحج: كرام غير أبرام... ومنه

1- البيت الثامن عشر، الهاشمية الأولى، ص 17.

2- البيت الثاني عشر، الهاشمية الخامسة، ص 189.

3- البيت الحادي والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 18.

4- لسان العرب، (ريج).

5- البيت السابع عشر، الهاشمية الأولى ن ص 16.

حديث عمرو بن معد يكرب: قال لعمر: أبراّم بنو المغيرة؟ قال: ولم؟ قال: نزلت فيهم فما قرّوني غير قوسٍ وثورٍ وكعب، فقال عمر: إن في ذلك لشبعا، والقوس ما يبقى في الجلة من التمر، والثور: قطعة عظيمة من الأقط، والكعب: قطعة من السمن⁽¹⁾. ومن جملة هذه الأقوال يتضح أن البرم هو البخيل غير الكريم، فهو لا يُهدي حين يُهدى إليه، وهو عكس الكريم، وهو كذلك لا يقري الضيف، كما قال عمرو.

ويستخدم الكميّ الوصفين مطاعيم، ومواهب في أبياتٍ أخرى، وذلك في سياق وصف

(المتقارب)

الهاشميين بالكرم، يقول:

مطاعيمٍ حين تروخ الشمالُ	بشفاًنٍ قطّطها الأشهب
مواهبٍ للمنفس المستزاد	لأمثالِه حين لاموَهَب
أكارمٍ غرّ حسان الوجوه	مطاعيمٍ للطّارق الأجناب
مقاريٍ للضيف تحت الظلام	موارِيٍ للقيادحِ المُتقِيب ⁽²⁾

فهم يقرون الضيف إذا ما طرقتهم ليلاً، وهم كذلك يوقدون النار في ذلك الظلام لأجل الضيف، سواءً لهدايته إليهم، أو لإطعامه بعدما يصل، وهذا كله ليس في أوقات الرخاء والرفاه، بل إذا ضاقت الحال بالناس فلم يوقدوا ناراً ولم يُعقبوا القدور:

(المتقارب)

إذا المرخ لم يُور تحت العقارِ	و ضُننٌ بقدرٍ فلم تُعقب ⁽³⁾
-------------------------------	--

(الخفيف)

وفي مرادفٍ آخر يقول الكميّ:

ومُصَفِّينَ في المناسِبِ مخضِبِ	من خضمِّينَ كالقرومِ السَّوامِ ⁽⁴⁾
---------------------------------	---

1- لسان العرب، (برم)

2- الأبيات من الرابع عشر حتى السابع عشر، الهاشمية الخامسة، ص 191

3- البيت الثامن عشر، الهاشمية الخامسة، ص 191.

4- البيت الثالث والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 19.

حيث يفسر أبو رياش الخِضَمَ بالسُخِي المِعْطَاء، وفي اللسان: "والخِضَم، على وزن الهِجَف: السيد الحمول الجواد المِعْطَاء الكثير المعروف، والعطية ولا توصف به المرأة، والجمع

خِضَمُونَ، ولا يُكْسَرُ"⁽¹⁾. وفي بيتٍ آخر يستخدم لهاميم:

(الطويل)

خِضَمُونَ أَشْرَافٌ لِهَامِيمٍ سَادَةٌ مَطَاعِيمٌ أَيْسَارٌ إِذَا النَّاسُ أَجْدَبُوا⁽²⁾

وفسر أبو رياش فقال: "ولهاميم: أيضاً السادة الواحد لهموم"، ولكن بالرجوع إلى اللسان لم نجد معنى السيادة، بل معنى الجود والكرم: "الجوهري: اللهموم: الجواد من الناس والخيل... وفي حديث علي: وأنتم لهاميم العرب، جمع لهموم، الجواد من الناس والخيل" ⁽³⁾. وربما قصد الشاعر بالخِضَم: البحر، استعارةً للكرم والسخاء، وهو امرٌ مألوفٌ عند العرب، فالكُميت نفسه قال في البيت الحادي عشر من الهاشمية الأولى:

(الخفيف)

والبحور التي بهـا تكشـفُ الحـرَّ ة والـسـدَاءُ من غـلـيلِ الأوام

كما ورد قول أحدهم في لسان العرب، في معرض تفسيره للخِضَم: "والخِضَم: البحر لكثرة مائه وخيره، وبحرٌ خِضَمٌ: " ⁽⁴⁾. وسواءً أكان الكُميت قد استخدم لفظ الخِضَم من باب الحقيقة أم من قبيل الاستعارة، فقد استعمل كذلك كلمة الخِضَمِ التي تُفيد ذات المعنى على الحقيقة، يقول الشاعر:

(الوافر)

لِفَقْدَانِ الخِضَارِمِ من قُرَيْشٍ وخيرِ الشافعين معاً شفيحاً⁽⁵⁾

ومما فسر الشارح قوله: "الخضارم: السادات، الواحد خِضْرَم، والخِضْرَم البحر، وإنما شبه السيد بالبحر لكثرة المنافع"، أما اللسان فيشرح قائلاً: "والخِضْرَم، بالكسر: الجواد الكثير العطية مشبه

1- لسان العرب، (خضم).

2- البيت الثمانون، الهاشمية الثانية، ص 76.

3- لسان العرب، (لهم).

4 - لسان العرب (خضم).

5- البيت الخامس، الهاشمية السادسة، ص 196.

بالبحر الخِضْرِم وهو الكثير الماء، وأنكر الأصمعيّ الخِضْرِم في وصف البحر، وقيل السيد الحمول⁽¹⁾. ولا فرق سواء أتى بها الشاعر على وجه الحقيقة أم على سبيل الاستعارة؛ فالمعنى والمدلول في النهاية واحدٌ هو إفادة الكرم والسخاء.

وفي موضع آخر نقرأ نعتاً لبني هاشم يفسر في معنى الأبيات السالفة، وهو الكرم والإسراع إليه، يقول الشاعر:

مَسَامِيحُ مِنْهُمْ قَائِلُونَ وَفَاعِلٌ وَسَبَّاقُ غَايَاتٍ إِلَى الْخَيْرِ مُسْهَبٌ⁽²⁾

وفسر أبو رياش المسهب بالجواد، بيد أن اللسان يشرح فيقول: "السَّهْبُ وَالْمُسْهَبُ وَالْمُسْهَبُ: الشديد الجري، البطيء العرق من الخيل" كما يقول: المسهب: الغالب المكثّر في عطائه⁽³⁾.

ولا أرى فرقاً في المعنى بين أن يسرع الممدوح إلى الخير كما تُسرع الفرس في جريها، أو أن يكون مكثراً في عطائه، فهما قريبٌ من قريب. وإذا كان الأمر قد أشكل في معنى المسهب أهو الجود أم لا، فقد استخدم الكميّ الجود صراحةً:

وَحَزْمٌ وَجُودٌ فِي عَفَافٍ وَنَائِلٍ إِلَى مَنْصِبٍ مَا مِثْلُهُ مَنْصِبٌ⁽⁴⁾

ونلاحظ ان البيت قد حوى مرادفاً آخر للكرم هو، نائل، إذ يُفسره اللسان فيقول: "الجوهري: النوال: العطاء، والنائل مثله"⁽⁵⁾.

ويظهر معنى السخاء والكرم في عجز بيت آخر يقول:

وَإِنَّهُمْ لِلنَّاسِ فِيمَا يَنْوِبُهُمْ أَكْفٌ نَدَى تُجْدِي عَلَيْهِمْ وَتُفْضِلُ⁽⁶⁾

1- لسان العرب، (خضرم).

2- البيت الثامن والثمانون، الهاشمية الثانية، ص 80.

3- لسان العرب، (سهب).

4- البيت المئة، الهاشمية الثانية، ص 84.

5- لسان العرب، (نول).

6- البيت التاسع والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص 177.

إذ يُفسره أبو ريش: "تُجدي: أي تعطي، والجدا العطية، يريد أكفاً معتادة للعطاء، وتُفضّل: أي على العطاء"، فهم أكفُّ اعتادت العطاء والسخاء، بل والزيادة والتفضل في ذلك.

وكما ضمّن الكميت معاني الكرم والسخاء في مفردات، فقد ضمّنها في أبيات تعبر عن

المعنى ذاته، يقول مادحا الهاشميين:

وردتُ ميَاههم صَادِيَاً بِحَائِمِيَّةٍ وِرْدٍ مُسْتَعَذِبِ
فما حلأتني عِصِي السُّقَاة وَلَا قَيْلَ يَا أَبَعَدَ وَلَا يَا اغْرُبِ
ولكن بِجَاجَاةِ الأَكْرَمِينِ بِحِظِّي فِي الأَكْرَمِ الأَطْيَبِ⁽¹⁾

وهو كما نرى تعبيرٌ مجازيٌّ عن كرمهم وجودهم، فلم يطردوه حين ورد ماءهم ولم يصدّوه، بل على العكس استقبلوه بالترحاب وجأجأوا به ودعوه للشرب، يقول اللسان في شرح الجأجأة: "جيءجيء: أمرٌ للإبل بورود الماء وهي على الحوض... وقد جأجأ الإبل وجأجأ بها: دعاها إلى الشرب وقال جيءجيء".⁽²⁾، ويتوسع لسان العرب في هذا فيقول في مكانٍ متقدم تحت فصل السين المهملة: "سأسأ: أبو عمرو: السأسأة زجر الحمار، قال الليث: السأسأة من قولك: سأسأت بالحمار إذا زجرته ليمضي قلت: سأسأ. غيره: سأسأ: زجر الحمار ليحتبس أو يشرب" ولكن أبا منصور يجمع بينهما: "قال أبو منصور: والأصل في (سأ) زجرٌ وتحريكٌ للمضي كأنه يحركه ليشرب إن كان له حاجة في الماء مخافة أن يصدره وبه بقية الظمأ"⁽³⁾.

وكما استخدم الكميت المجاز في التعبير عن كرم بني هاشم عند وروده ماءهم، فقد

استعمل المعنى ذاته على سبيل الحقيقة هذه المرة حين قال:

أَنَسَّ إِذَا وَرَدَتْ بِحَرِّهِمْ صَوَادِي الغَرَائِبِ لَمْ تُضْرَبِ⁽⁴⁾

1- الأبيات التاسع عشر والعشرون والواحد والعشرون، الهاشمية الخامسة، ص 191-192.

2- لسان العرب (جأجأ).

3- المصدر السابق، (سأسأ).

4- البيت الرابع والعشرون، الهاشمية الخامسة، ص 192.

إنه عنوان الكرم والرحمة، وقد لَخَصَّ الشاعر وكثف المعنى كله في هذا البيت، فهُم، لكرمهم لا يمنعون حتى الإبل الغربية عن مائهم إذا ما وردت، كما لم يمنعوا البشر، وفي هذا علامة ما بعدها علامة على الكرم وعلى الرأفة والرحمة كذلك.

(17)

ثم يمتدح الكميت آل بيت النبوة بمجموعة جديدة من الصفات التي تليق بهم و بمكانتهم السامقة السامية، فوصفهم بالشرف والسيادة، بعدما مدحهم بالكرم والجود والرحمة، وعبر عن ذلك بمترادفات عدة: قمقام، و سادة، و شريف، وقدامس، و بهاليل، وعميد، وعير، ومجد، يقول شاعر الهاشميين مادحاً:

لِلذُرَى فَالذُرَى مِنَ الحَسَبِ الثَّأِ قَبِ بَيْنَ القَمَقَامِ فَالقَمَقَامِ (1)

وفسر أبو رياش فقال: "وقوله القمقام: فإنه السيد، وهو البحر يُشَبَّهُ به الرجل"، لكن لسان العرب يقرر أن للقمقام معنى السيد على سبيل الحقيقة لا المجاز، إضافة إلى معنى البحر، فيقول: "والقمقام و القمقام من الرجال: السيد الكثير الخير الواسع الفضل. ويقال: سيد قمقام، بالضم لكثرة خيره... والقمقام البحر" (2).

ويقول الشاعر مادحاً باستخدام مرادف جديد للشرف والسيادة:

واضحٍ أوجُه كَرِيمِي جُودٍ واسِطِي نِسْبَةٍ لِهَامِ فَهَامِ (3)

1- البيت الرابع عشر، الهاشمية الاولى، ص 16.

2- لسان العرب، (قمم).

3- البيت الثالث عشر، الهاشمية الاولى، ص 15.

فهم ذوو الأصل الكريم والنسب العالي، أما ما فسره أبو رياش من واسطي نسبة حين قال: "واسطي نسبة: أي لا في العلو ولا في الدنو" ففيه نظر؛ إذ كيف تكون النسبة متوسطة بهذا المعنى و الشاعر يقول: لهام فهام، وفي البيت التالي: للذرى فالذرى من الحسب الثاقب، كيف يتناسب الهام والذرى مع الوسطية كما فسرها الشارح، ثم كيف يتسق هذا التفسير مع قول الشاعر: مصفّين في المناسيب، وقوله: أنت المصفّى المهدّب المخضّ في النسبة⁽¹⁾، وقد جاء في لسان العرب: "واعلم ان الوسط قد يأتي صفةً وإن كان أصله أن يكون اسماً، من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها

لتمكن الراكب...⁽²⁾. ولا ننسى قول الكميت نفسه: (المنسرح)

نَبَعَتْهُمْ مِنَ النَّضَارِ وَاسِطَةً أَحْرَزَهَا الْعَيْصُ عَيْصُهَا الْأَشْبُ⁽³⁾

والذي يفسره الشارح بقوله: "والعيص: الشجر الملتف. والأشب: مثله واسطة بين الشجر فهو أروى وأغض... يريد أن أصلهم أكرم الأصول".

وتوضيحاً وتفصيلاً لكرم الجدود، يقول مذكراً بأجدادهم: (الخفيف)

غَالِبِينَ هَاشِمِيَّينَ فِي الْعِلْمِ — مَرَبِّوْا مِنْ عَطِيَّةِ الْعَلَامِ⁽⁴⁾

وقد فسره أبو رياش فقال: "غالبين: يعني أولاد غالب بن فهر بن مالك، وهاشميين: أولاد هاشم بن عبد مناف". ومرادفاً (لكريمي جدود) يقول شاعر آل البيت في موطن آخر:

كرام الجدود: (المقارب)

مَسَامِيحُ بَيْضٍ كِرَامُ الْجُدُودِ مَرَّاجِيحُ فِي الرَّهَجِ الْأَضْمَهَبِ⁽⁵⁾

1- البيتان الثالث والعشرون من الهاشمية الأولى، ص 19، والسابع والثلاثون من الهاشمية الثالثة، ص 111.

2- لسان العرب، (وسط).

3- البيت الثالث والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 126.

4- البيت الثاني والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 19.

5- البيت الثاني عشر، الهاشمية الخامسة، ص 189.

ومرادفاً لكرم الجدود وطيب الأصل الذي انماز به الهاشميون، يقول الكميت، خاصاً

هذه المرة الرسول: (الخفيف)

طَيِّبُ الْأَصْلِ طَيِّبُ الْعُودِ فِي الْبَيْتِ —————
سَمِ الْفَرْعِ يَثْرِبِي تَهَامِي (1)

فبعد أن وصف الهاشميين بكرم الجدود، يصف الرسول بطيب الأصل والفرع.

ثم يذكر الكميت مرادفاً آخر من مترادفات الشرف، فيقول: (الخفيف)

أَسْرَةُ الصَّادِقِ الْحَدِيثِ أَبِي الْقَا —————
سَمِ فَرْعِ الْقُدَامِسِ الْقُدَامِ (2)

ويفسرُ الشارح قائلًا: "والقُدَامِسُ: الشرف، ورجلٌ قُدْموسٌ أي شريف، وفرع القُدَامِسِ: أعلى

الشرف". ويأتي الكميت بمرادفٍ آخر قائلًا: (الخفيف)

غَيْرَ ذُنْيَا مُحَالِفًا وَاسْمَ صِدْقٍ —————
بَاقِيًا مَجْدُهُ بِقَاءِ السَّلَامِ (3)

وفي تفسيره يقول الشارح: "والمجدُ الشرف، والمجدُ الشريف".

كما استخدم الكميت مع المجد مرادفاً آخر هو السناء: (الطويل)

حَيَاتِكَ كَانَتْ مَجْدَنَا وَسِنَاءَنَا —————
وَمَوْتُكَ جَذَعٌ لِلْعَرَانِينَ مُوعَبٌ (4)

ويقول أبو ريش مفسراً: "المجد: الشرف، والسناء بالمد: الرفعة". وفي اللسان: "السناء من المجد

و الشرف... (5). ويستخدم الكميت مرادفاً للشرف فيقول:

1- البيت الثالث والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 28.

2- البيت الخامس والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.

3- البيت السابع والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 28.

4- البيت الثاني والأربعون، الهاشمية الثانية، ص 60.

5- لسان العرب، (سنا).

(الخفيف)

يتعرّفن حُرَّ وجهٍ عليه عُقْبَةُ السَّرْوِ ظاهراً والوسام (1)

والسَرْو، يقول لسان العرب: "المروءة والشرف، سَرُو يسرُو سراوَةً وسَرَاواً أي صار سريراً" (2)
أما أبو ريش فلا يفسرُها.

وإذا كان المَجْدُ مرادفاً للشرف، والماجد هو الشريف، فإن الكميّة قد جاء بالشريف

ولكن ليس في مدح آل البيت هذه المرة، يقول:

(الخفيف)

ورأيتُ الشريفَ في أعين القو م وَضِيْعاً وَقَلَّ مِنْهُ احتشامي (3)

ويرادف الكميّة ببيتٍ آخر فيه مترادفان مما نحن بصدده:

(الخفيف)

عَيْرَاتُ الفِعَالِ والحَسَبِ العَو د إليهم محطوطة الأعكام (4)

ويكتفي الشارح بذكر مفرد العيرات دون أن يشرح معناها، أما اللسان، فيقول: "والعَيْر السيد والملك. وعَيْر القوم سيدهم" (5). ونلاحظ في البيت ملاحظتين، أولاهما: المجاز والصورة، فالشاعر يصف الأعمال الماجدة والحسب القديم أحمالاً تنتهي عند آل البيت، والأخرى: التقديم والتأخير في البيت، فالكميّة أراد أن يقول: فعال العيرَات، لكنه قلبها، كما فعلَ في قوله:

(الطويل)

إذا قطعتُ أجواز بيدي كأنما بأعلامها نوحُ المآلي المُسَلَّب (6)

1- البيت السادس والسبعون، الهاشمية الأولى، ص 34.

2- لسان العرب (سرا).

3- البيت الثالث والثمانون، الهاشمية الأولى، ص 83.

4- البيت الرابع والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.

5- لسان العرب، (عير).

6- البيت العشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 91.

إذ فسر أبو رياش هذا البيت بقوله: "وأراد مآلي النوح، فقلّبه".
ويذكر الشاعر مرادفاً لسيد القوم فيقول:

(الخفيف)

وعميدٍ متّوجّحٍ حُلٌّ عنه عَقْدُ التَّاجِ بالصَّنِيعِ الحُسامِ (1)

ومما قال الشارح في تفسيره: "العميد السيد الذي يُعتمد عليه في الملمات، يُقال فلان عميدُ قومه إذا كان سيدهم". (2).

ويصف الكميت الهاشميين في غير موضع بالبهاليل، يقول:

(الطويل)

كان حُسيناً والبهاليلَ حوله لأسـيافِهم ما يَخْتلي المُتَبَقِّل (3)

ويُصّر أبو رياش على تفسير البهاليل بالضحوك، علماً أن لها تفسيرين آخرين أكثر مناسبة للمقام من ذلك الذي اختاره الشارح، إذ يقول: "البهاليل جمع بُهلول وهو الضحوك"، إلا أن اللسان يذكر إضافة إلى هذا التفسير، تفسيرين آخرين كلاهما أفضل وأنسب: "والبهلول: العزيز الجامع لكل خير، عن السيرافي، والبُهلول: الحيّ الكريم" (4).

ويحشد الكميت مجموعة من ألفاظ الشرف والمجد حين يقول:

(الطويل)

خِضْمُونَ أَشْرَافٌ لِهَامِيمٍ سَادَةٌ مَطَاعِيمٌ أَيْسَارٌ إِذَا النَّاسُ أَجْدَبُوا (5)

ويفسر الشارح الخِضْمَ هنا بالسيد فيقول: "خِضْمُونَ: سادة الواحد خِضْمٌ"، مع أنه قد فسرها قبلاً بالسخي المعطاء.

1- البيت الخامس والستون، الهاشمية الأولى، ص 30.

2- عن اللسان، (عمد).

3- البيت الواحد والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص 166..

4- لسان العرب، (بهل).

5- البيت الثمانون، الهاشمية الثانية، ص 76.

إن هذا الشرف العظيم الذي تسنمه آل البيت لم يمنع حكام بني أمية من تقديهم والتكيل بهم، فكان حكام الأمويين كأنهم المتبقلون المختلون، والحسين وآله -عليهم السلام - الخلى يخلونَه ويَجزونه.

(18)

ومن دواعي الشرف والسيادة التي تكلم عليها الشاعر، ومن علاماتها كذلك، الحلم والوقار، وعدم التسرع والإنجرار وراء التافه من أسباب النزاع والخلاف، فینعت الكميت آل البيت -عليهم السلام- بطائفة من النعوت المترادفة التي تدور بجملتها حول هذا المعنى، فيصفهم براجحي الوزن وأحلمون، كما يصفهم بالمحافظة على هدوئهم، فلا يحلون حبواتهم عند الشغب

أو السب يقول: (الخفيف)

راجحي الوزن كاملِي العدل في السيرة طَبَّينَ بالأمور الجِشام (1)

فهم لا يتصفون بالخفة والطيش، ولا يشيلون في كفة الميزان، فهم رزينون حلماء.

ويصفهم بالحلم بمرادف آخر هو مراجيح: (الخفيف)

مسْتَعْفِين مَفْضِلِينَ مَسَامِيحَ حَ مَرَايِحَ فِي الْخَمِيسِ الْهُمَامِ (2)

لكن أبا رياش يقصُر تفسيره لهذا اللفظ بالقول: "وقال: ولا واحد للمراجيح" مع أنه يقول في تفسيره للبيت الثاني عشر من الهاشمية الخامسة: "والمراجيح: الواحد مِرْجَحٌ" ولا يفسرها كذلك، لكن لسان العرب يقول: "ورجح في مجلسه يَرْجَحُ: ثَقُلَ فلم يَخِفْ، وهو مثلٌ. والرجاحة:

1- البيت الخامس عشر، الهاشمية الأولى، ص 16.

2- البيت الثامن عشر، الهاشمية الأولى، ص 17.

الحلم، على المثل أيضاً. وقومٌ رَجَّحَ ورُجِّحَ ومراجيح ومراجيح: حلماء⁽¹⁾. كما يصفهم بأنهم الأكثر حلماً، فيقول:

(الخفيف)

وَهُمُ الْأَرْفَاقُونَ بِالنَّاسِ فِي الرَّأْفَةِ وَالْأَحْلَامُونَ فِي الْأَحْلَامِ⁽²⁾

ويفسر اللسان الأحلام بالحلماء "وأحلام القوم: حلمائهم، ورجلٌ حليمٌ من قوم أحلام"⁽³⁾.

ويعبر الكميت عن المعنى ذاته من الرجاحة في بيت:

(الخفيف)

لَا حُبَاهُمْ تَحُلُّ لِلْمَنْطِقِ الشَّغْبَ سَبَّ وَلَا لِلطَّامِ يَوْمَ اللَّطَامِ⁽⁴⁾

فهم محافظون على هدوئهم ووقارهم إذا ما شغّب الناس أو تسابوا.

ويصفهم بجملة من الصفات الدالة على الحلم فيقول:

(المتقارب)

وَلَيْسَ التَّفْحُشُ مِنْ شَأْنِهِمْ وَلَا طَيْرَةُ الْغَضَبِ الْمَغْضِيبِ
وَلَا الطَّعْنُ فِي أَغْيُنِ الْمُقْبِلِينَ وَلَا فِي قَفَا الْمُدْبِرِ الْمُذْنِبِ⁽⁵⁾

نعم، فليس القبيح من قولٍ أو فعلٍ من صفاتهم، ولا سرعة الغضب أو الإساءة للآخرين في حضورهم أو غيابهم. ويفسرُ الشارح التفحُّشَ بالكِبْر: "والتفحُّشُ من شأنهم: يريد الكِبْرُ" أما لسان العرب فيفسر غير ذلك فيقول: "الفحُّشُ والفحشاءُ والفاحِشَةُ القبيح من القول والفعل وجمعها الفواحش. وأفحشَ عليه في المنطق أي قال: الفحش... والتفحُّش الذي يتكلف سب الناس ويتعمده"⁽⁶⁾.

1- لسان العرب، (رجح).

2- البيت الواحد والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 25.

3- لسان العرب، (حلم).

4- البيت العشرون، الهاشمية الأولى، ص 17.

5- البيتان الخامس والعشرون والسادس والعشرون، الهاشمية الخامسة، ص 193.

6- لسان العرب، (فحش).

إن آل البيت ليرفعون عن تلك الصفات، إنهم من بيتٍ جل عن تلك الأخلاق، إنهم أهل
الحلم والوقار، حتى إذا ما أنتهكت حرمان الله هبوا يُنافحون ويدفَعون

(19)

وبضدها تَمَيِّز الأشياء، فإذا كان الحديث عن الحلم، فلا بأس من التعرض لما ينتفي به
ذلك حيث ساق الكميت بعضاً من الألفاظ التي تناقض التَّحَلُّم وهي: عور الكلام، و اللَّطَام،
واللَّحَاء، والصَّخْب، وعوراء، والخنا، والتفحش، يقول:

ومداريك للذُّحول متارىبُ _____
كُ وإن أحفِظوا العُور الكلام (1)

ويُفسر الشارح فيقول: "و عور الكلام قبيحه، ومنه الكلمة العوراء، وهي واحدة العور، وكأنه
أعور من الكلام القبيح"، وجاء في اللسان: "والعوراء: الكلمة القبيحة، أو الفعلة القبيحة... قال
أبو الهيثم: يقال للكلمة القبيحة عوراء وللکلمة الحسناء عيناء" (2).

وفي بيتٍ آخر يفرد الكميت العور بعدما جمع، فيقول:

(الطويل)

فما ساءني قولٌ امرئٍ ذي عداوةٍ _____
بعوراءَ فيهم يَجْتَدِيني فيجْدُبُ (3)

ويرادف الكميت بلفظٍ آخر للكلام السيء وهو، الخنا، فيقول:

(المنسرح)

لا شُهدَ للخِنا ومنطِقِه _____
ولا عن الحليم والنُهَى غَيْبُ (4)

ويُفسر أبو رياش الخنا بالكلام القبيح.

1- البيت التاسع عشر، الهاشمية الأولى، ص 17.

2- لسان العرب، (عور).

3- البيت الحادي عشر، الهاشمية الثانية، ص 48.

4- البيت الخامس والسبعون، الهاشمية الثالثة، ص 123.

ثم يرادف الشاعر بلفظ آخر هو، التفحش، قائلاً:

(المتقارب)

وليس التَّفَحُّشُ من شأنهم ولا طَيْرَةُ الغَضِبِ المُغْضِبِ (1)

لكن الشارح يفسر التفحش، كما مر قبل قليل بالكبير، بينما يفسره اللسان بالقبيح من القول والفعل.

ويصف الكميت الحرب بمرادف آخر، اللّحاء، فيقول:

(المنسرح)

إِذَا بَدَتِ بَعْدَ كَاعِيبِ رَوْدٍ شِمطَاءَ مِنْهَا اللَّحَاءُ وَالصَّخَبَ (2)

ومما يقول الشارح مفسراً: " واللّحاء: الشتم والملاحاة... واللّحاء والصخب واحدٌ "، لكن اللسان يفرق بينهما في المعنى، فيقول في اللحاء: " واللحاء، ممدود: الملاحاة كالسباب... ولاحي الرجل ملاحاةً ولحاءً: شاتمَةٌ " (3). وهو ذات المعنى الذي ذهب إليه الشارح، لكن الأمر يختلف عند الصخب، إذ يفسره اللسان: "الصخب: الصياح والجلبة وشدة الصوت واختلاطه " (4)، وكما يبدو فلا علاقة بين المعنى هنا والمعنى في تفسير الشارح.

وأخيراً يأتي الكميت بهذا المرادف في هذا الحقل حين يقول مبيناً واحداً من مرتكزات

(البسيط)

نظرية الزيدية، وهو الإمامة ووراثتها الشرعية (5):

إِن الْوَلِيِّ عَلَيَّ غَيْرَ مَا هَجَرَا (6)

إِن الرَّسُولَ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَنَا

1- البيت الخامس والعشرون، الهاشمية الخامسة، ص 193.

2- البيت الواحد والتسعون، الهاشمية الثالثة، ص 128.

3- لسان العرب، (لحا).

4- لسان العرب، (صخب).

5- ينظر: ضيف، شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 288.

6- البيت الرابع، الهاشمية الثامنة، ص 202.

الدائرة حول معنى الاصطفاء والاختيار، يقول:

(الخفيف)

وَمُصَفِّينَ فِي الْمَنَاسِبِ مَحْضِيًّا — نَ خِضَمِّينَ كَالْقُرُومِ السَّوَامِي (1)

حيث يفسر الشارح قائلاً: "مصفيين من الدغل والدنس والشبه. والمحض: الخالص وهو اللبني الذي ذهب رغوته فلم يمزج بماءٍ وخلص من القذى"، ويقول اللسان مفسراً: "وصفوة كل شيء: خالصه من صفوة المال وصفوة الإخاء... واستصفييت الشيء إذا استخلصته" (2) أما المحض فإن اللسان لا يقصره على اللبن إذ يقول: "والمحض من كل شيء: الخالص. الأزهري: كل شيء خالص حتى لا يشوبه شيء يخالطه، فهو محض" (3).

ويجمع الكميت مترادفات أربع في بيت، وهي: مصفون، ومحضون، وقد استخدمهما في

البيت السابق، وصريح، ومهذب:

(الطويل)

مُصَفِّونَ فِي الْأَحْسَابِ مَحْضُونَ نَجْرُهُمْ هُمُ الْمَحْضُ مِنَ الصَّرِيحِ الْمُهْذَبِ (4)

إذ يفسر الشارح قائلاً: "والمحض: الخالص وكذلك الصريح... والمهذب: الذي لا خلط فيه نقي من المعايير"، ويفسر اللسان، المهذب، فيقول: "التّهذيب كالتنقية... والمهذب من الرجال: المخلص النقي من العيوم، ورجل مهذب أي مطهر الأخلاق" (5).

وثمة اثنتان من المترادفات هما: خالصاً، والمتنخل، يستعملهما الشاعر في بيت إذ

يقول في آل البيت:

(الطويل)

لَهُمْ مِنْ هَوَايَ الصَّفْوُ مَا عَشْتُ خَالِصاً وَمِنْ شِعْرِي الْمَخْزُونُ وَالْمُتَّخَلُّ (6)

1- البيت الثالث والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 19.

2- لسان العرب، (صفا).

3- لسان العرب، (محض).

4- البيت التاسع والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 76.

5- لسان العرب، (هذب).

6- البيت الثالث والثمانون، الهاشمية الرابعة، ص 178.

ويقول الشارح مفسراً: "والمُتَخَلُّ: المختار" أما اللسان فيفسر الخالص فيقول: "وأخْلِصَةً وخالِصَهُ و أخلص الله دينه: أمَحَضَهُ. وأخلص الشيء اختاره"⁽¹⁾. ومن ذلك قوله تعالى: "قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالِصَةً يوم القيامة"⁽²⁾. وعن المُتَخَلُّ يقول اللسان: "تَخَلَّ الشيء ينخُلُه نخلاً و تتخَلَّه وانتخَلَه: صفاه واختاره، وكل ما صُفِيَ لِيُعزَل لِبأبِه فقد انتخَل وتُتخَلَّ"⁽³⁾. فالصفو والخالص والمُتَخَلُّ واحدة مترادفات.

ويستخدم الكميت كلمة الصفو مفردة حين يقول:

(المنسرح)

فازوا به لا مُشَارِكِينَ كما أحرزَ صَفْوَ النَّهَابِ مُنْتَهَبٌ⁽⁴⁾

ومنه قول الكميت في موطن آخر:

(المنسرح)

وإصِيلة أخيراً بأولِهَا تنخَلُوا صَفْوَهَا وما خَشَبُوا⁽⁵⁾

ويستخدم الصفو، فعلاً، مُضِيفاً إليه مرادفاً آخر هو، اختيار:

(الوافر)

وأصفاه النبيُّ على اختيارٍ بما أعيى الرِّفُوضَ له المُذِيعا⁽⁶⁾

إذ يشرح أبو رياش فيقول: "أصفاه: اختاره". وفي بيتٍ آخر يستخدم الشاعر كلمة، تخيرن مرادفةً لما سبق في هذا المعنى:

(المتقارب)

صَفَائِحُ بِيضٍ جَلَّتْهَا القِيُو نُ مما تُخَيِّرُنَ مِنْ يَثْرِبِ⁽⁷⁾

1- لسان العرب، (خلص).

2- سورة الأعراف، آية 32.

3- لسان العرب، (نخل).

4- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 126.

5- البيت الواحد والستون، الهاشمية الثالثة، ص 119.

6- البيت الثامن، الهاشمية السادسة، ص 197.

7- البيت الواحد والثلاثون، الهاشمية الخامسة، ص 194.

لقد محضهم الله تعالى شرف النسب، فكانوا في الذؤابة، لذا فقد استحقوا أن نمحضهم الهوى لا مشاركين به، وقد روي عن رسول الله قوله: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"⁽¹⁾.

(22)

وقد أورد الكميّ للشجاعة مترادفات هي: الشجاع، والهمام، والكمي، والهؤاس، فقال:

(الخفيف)

وإذا الحرب أومضت بسنا البرق
وسار الهمام نحو الهمام⁽²⁾

لكن أبا ريش يبتعد في تفسيره عن المعنى الذي وضع له اللفظ فجاء بما لا يناسب السياق إذ قال: "والهمام الملك، وإنما سمي هماماً لبعده همته، والهمام الأسد"، أما التفسير المناسب للسياق فلا يأتي عليه، كما فعل في تفسيره للبهلول، ويقول اللسان مفسراً للفظ الهمام: "الملك العظيم الهمة... وقيل: الهمام: السيد الشجاع السخي، ولا يكون ذلك في النساء والهمام: الأسد على التشبيه"⁽³⁾.

(الخفيف)

ثم يقول مستخدماً الكميّ مرادفاً للهمام:

ذو الجناحين وابن هالة منهم
أسد الله والكميّ المحامي⁽⁴⁾

ولا يفسرها أبو ريش، أما اللسان فيقول: "والكمي الشجاع المتكمي في سلاحه لأنه كمي نفسه أي سترها بالدرع والبيضة"⁽⁵⁾.

1- الجزائري، أبو بكر: منهاج المسلم، ص 80.

2- البيت الرابع والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 19.

3- لسان العرب، (همم).

4- البيت الثامن والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 29.

5- لسان العرب، (كمي).

أما لفظ، الهواس، فيوردها الشاعر في سياق هجائه الطغمة الظالمة:

(الطويل)

هو الأَضْبَطُ الهَوَّاسُ فِينَا شَجَاعَةٌ وَفِيْمَنْ يُعَادِيهِ الْهَجِيفُ الْمُتَّقِلُ (1)

ويفسر أبو ريش مرة أخرى بعيداً عن معنى السياق، إذ يقول: "والهواس الذي يجيء ويذهب بالليل"، أما في اللسان: "هاس يهوس هوساً: طاف بالليل في جراءة. وأسدّ هواس وكذلك النمر... ورجلٌ هواس وهواسة: شجاع مجرب... والهواس الأسد، قال الكميت: هو الأضببط... البيت. والهوس: المشي الذي يعتمد فيه صاحبه على الأرض اعتماداً شديداً، ومنه سمي الأسد الهواس" (2). أما الأضببط فيفسرها الشارح بقوله: "والأضببط الشديد يعني الأسد... والأضببط: هو الذي يعمل بكلتا يديه"، أما اللسان فيفسر: "ورجلٌ أضببط: يعمل بيديه جميعاً، وأسد أضببط يعمل ببساره كعمله بيمينه" (3)، ومما سبق يمكن أن نأخذ الأضببط والهواس على التشبيه، فنفسرهما بالأسد، وكذلك بالإمكان أن ننظر إليهما بالمعنى الآخر وهو الشدة والشجاعة، وكلا التفسيرين يناسب المعنى في البيت.

(23)

وكما وصفهم الكميت بالشجاعة، فإن الهاشميين كذلك أهل عقلٍ وحكمة، بعيدين عن الحمق، على العكس من أولئك النوك، وقد استخدم الكميت طائفة من المترادفات للحمق والغباء: أقدام، و ألف، وأنوك، وخرقاء، يقول:

(الخفيف)

أَسْدُ حَرْبٍ، غُبُوثٌ جَدْبٍ، بَهَالِيٍّ لُ، مَقَاوِيلُ، غَيْرُ مَا أَقْدَامُ (4)

1- البيت الثامن والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 159.

2- لسان العرب، (هيس).

3- المصدر السابق، (ضبط).

4- البيت السابع والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 21.

ومما قاله الشارح مفسراً: "وأفدام جمع فذم وهو الثقيل الغبي"، بينما يفسر اللسان: "الفذم من الناس العيبي عن الحجة والكلام مع ثقلٍ ورخاوةٍ وقلة فهم، وهو أيضاً الغليظ السمين الأحمق الجافي، والجمع فِدام... قال الليث: والجمع فُذم" (1).

ويحشد الشاعر ثلاثة ألفاظ مترادفة في هذا المعنى، يقول:

ولَايَةُ سِلْغَدٍ أَلْفٌ كَأَنَّهُ من الرَّهَقِ الْمَخْلُوطِ بِالنُّوكِ أَثُولٌ (2)

وقد فسر الشارح فقال: "السَّغْدُ: الذنْبُ. والألْفُ: الأحمق. والنُّوكُ: الحمق. والسَلْغَدُ: الأحمق المضطرب"، بينما يفسر الأثول بالمجنون، وفي اللسان: "والسَلْغَدُ: الأحمق، ويقال الذنْبُ، قال الكميّت يهجو بعض الولاة: ولاية سلغد... البيت" (3)، ويوحى ترتيب التفسير في اللسان أن السلغد في بيت الكميّت تعني الأحمق، بينما يوحى ترتيب أبي ريش أن المعنى هو الذنْبُ، لكنني لا أرى مانعاً أن يكون المعنى ولاية ذنْبٍ ويصفه بالحمق، أو أن يكون القصد ولاية أحمق ثم يضيف باقي الصفات. أما، خرقاء، فجاءت في وصف ناقته:

تَصِلُ السُّهْبُ بِالسُّهوبِ إِلَيْهِمْ وَصَلَّ خَرْقَاءَ رِمَّةً فِي رِمَامٍ (4)

حيث يفسر الشارح فيقول: "والخرقاء التي لا تحسن العمل"، أما اللسان فيقول: "وخرق بالشيء يخرق جهله ولم يحسن عمله... وقال المازني في قوله: أطافت به خرقاء: امرأة غير صنّاع ولا لها رفق... الخرق: الحمق، خرق خرقاً فهو أخرق والأنتى خرقاء، وفي المثل: لا تعدم الخرقاء علة" (5).

1- لسان العرب، (فدم).

2- البيت السابع والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 158.

3- لسان العرب، (سلغد).

4- البيت السابع والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 39.

5- لسان العرب، (خرق).

ومن علامات الخرق والغباء، كثرة الكلام في غير حاجة، وقد نفى الكميت عن

الهاشميين تلك الصفة فرادف بين مهاذير و مكائير، فقال: (الخفيف)

لا مهاذيرَ في النَّديِّ مكائيرَ — رَ ولا مُصنَمَتينَ بالإفحام (1)

لقد جمع آل البيت عليهم السلام الشرف من أطرافه وحذافيره كافة، فهم فوق هذا

وذاك، أهل قدرة على التكلم دون أن يتجاوزوا المعقول، ليصبحوا مهاذير، كما لم يقصروا

فِيصنَمَتُوا وَيُقَحِّمُوا.

(24)

هذا، وقد رادف الكميت بين طائفة من المترادفات بمعنى الذم والشتم والعيب، وزعها

بين مدح آل البيت ووصفه حبه لهم، وما تعرض له بسبب ذلك، وبين ذم اعداءهم، فاستخدم:

ذام، و ذمٌ، و عيب، و عار، و أقصَب، و أجذب، و خزيان، و أودى، و أؤنب، و عنف، و تلب، يقول

واصفاً حبه آل البيت: (الطويل)

وكنتُ لَهُمُ من هَوْلَاكٍ وهَوْلَا مِجَنّاً على أني أذَمُّ وأقصَب (2)

ويفسر أبو رياش فيقول: "وأقصب: أي أشتم، ويقال: قصبت الرجل أقصبه قصباً وجديته أجديه

جدياً وهو مقصوب ومجدوب أي مشتوم...". ويقول اللسان مفسراً: "... وقصبه يقصبه قصباً

وقصَّبَه: شتمه وعابه ووقع فيه" (3).

1- البيت الثامن والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 21.

2- البيت التاسع، الهاشمية الثانية، ص 47.

3 لسان العرب، (قصب).

ويمتدح الشاعر آل بيت النبي قائلاً:
(الخفيف)
فَهُمُ الْأَقْرَبُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَهُمْ الْأَبْعَدُونَ مِنْ كُلِّ ذَامٍ (1)
ويُفسر الشارح: "الذام: العيب، يقال: ذمته أي عيبه".

ويستخدم شاعر آل البيت لفظ العيب نفسه فعلاً لا مصدرًا حين يقول:
(الطويل)
يَعِيبُونَنِي مِنْ خُبْتِهِمْ وَضَلَالِهِمْ عَلَى خُبِّكُمْ بَلْ يَسْخَرُونَ وَأَعْجَبُ (2)

وفي البيت السابق لهذا البيت يستعمل الشاعر العيب مصدرًا، فيقول:
(الطويل)
فَمَا سَاءَنِي تَكْفِيرُ هَاتِيكَ مِنْهُمْ وَلَا عَيْبُ هَاتِيكَ الَّتِي هِيَ أَعِيبُ (3)

ويُفسر اللسان: ".. وعاب الشيء والحائط: صار ذا عيب، وعيبه أنا، وعابه عيباً وعاباً وعَيْبَهُ وَتَعَيْبَهُ: نسبه إلى العيب وجعله ذا عيب" (4).

واستعمل الشاعر مرادفاً لمعنى العيب والذم حين خاطب الرسول قال:
(المنسرح)
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنْتَ الـ أَرْضُ وَإِنْ عَابَ قَوْلِي الْعَيْبُ (5)

فالشاعر لا يلقي بالاً لنجاح النابحين العائنين له على حبه لآل البيت وعلى رأسهم الرسول.

ويطرق الشاعر المعنى ذاته مستخدماً مرادفاً آخر:
(المنسرح)
وَقِيلَ أَفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَآو عَنَّقَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ تَلَّبُوا (6)

1- البيت الأربعون، الهاشمية الأولى، ص 25.

2- البيت الرابع والعشرون، الهاشمية الثانية، ص 53.

3- البيت الثالث والعشرون، الهاشمية الثانية، ص 53.

4- لسان العرب، (عيب).

5- البيت الخامس والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 111.

6- البيت الرابع والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 111.

حيث يفسر أبو رياش قائلاً: "وتلبوا: عابوا".

ويذكر الكميت مرادفاً آخر هو، يجذب: (الطويل)

فما ساءني قولُ امرئٍ ذي عداوةٍ بعِوراءٍ فيهم يجتديني فيجذب (1)

ويفسر أبو رياش فيقول: " فيجذب أي يعيب ". ويستخدم الكميت مرادفاً آخر، متخذاً القرآن

الكريم والسنة المطهرة حجة له في جدله: (الطويل)

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حُبهم عاراً عليّ وتحسب (2)

ويختصر شاعر الهاشميين كل ذلك الذم والعيب وعدم الرضا من أولئك، لحبه وتعلقه

لآل البيت، بلفظين اثنين: الضجيج واللَّجْب فيقول مخاطباً الرسول: (المنسرح)

لجَّ بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج واللَّجْب (3)

ومقابل حبه آل البيت، يحاجُّ الكميت هذه الفئة في عداوتها وبُغضها لآل البيت مذكراً إياهم بيوم

تشخص فيه الأبصار فيقول مستخدماً مرادفاً آخر للعار: (الطويل)

ستقرغ منها سن خزيان نادم إذا اليوم ضمَّ الناكثين العصبصب (4)

ومن تفسير أبي رياش: "خزيان: مستحي، يقال: خزي يخرى خزاية"، لكن السياق الشعري في

هذا البيت، بل في الأبيات قبله كذلك، لا يتفق مع هذا التفسير؛ فالخزي الذي يتحدث عنه

الشاعر ليس هو الاستحياء، بل إنه العار والهوان، لينطبق على أولئك الحكام قوله تعالى: [سوف

تعلمون من يأتيه عذابٌ يُخزيه ومن هو كاذبٌ] (5)، وقوله تعالى كذلك: [وأسرّوا الندامة لما رأوا

1- البيت الحادي عشر، الهاشمية الثانية، 48.

2- البيت الثالث عشر، الهاشمية الثانية، ص 49.

3- البيت السادس والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 111.

4- البيت التاسع، الهاشمية الثانية، ص 47.

5- سورة هود، آية 93.

العذاب وتقطعت بهم الأسباب] (1). ويقول لسان العرب مفسراً الخزي: "خزي الرجل يخزي خزيًا وخزى، الأخيرة عن سيبويه: وقع في بلية وشرٍ وشهرة فذلَّ بذلك وهان... (2)".

(25)

ومن ذلك وصفهم -عليهم السلام- بأصحاب الأحلام والنهي، مقابل ما وصمَّ به حكام الأمويين قبلاً من خرقٍ ونوكٍ، ويرادف الكمية بين ثلاثة ألفاظ تدل على العقول: الأحلام، والنهي، والألباب، يقول مادحاً آل البيت:

(الخفيف)

وَهُمُ الْأَرْأَفُونَ بِالنَّاسِ فِي الرَّأْفَةِ وَالْأَحْلَمُونَ فِي الْأَحْلَامِ (3)

أما النهي فجاءت في قوله مادحاً كذلك:

(الطويل)

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطلب (4)

وقد فسر أبو ريش فقال: "والنهي: العقول، واحداً نُهيةً".

واستخدم الشاعر لفظ الألباب واصفاً تعلقه بآل النبي:

(الطويل)

إليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازغ من قلبي ظمَاء وألب (5)

وفسر الشارح فقال: "وألب جمع لب في العدد القليل وهو العقل".

وكيف لا تظماً الألباب والقلوب إلى هؤلاء الصفة من الخلق؟!.

1- سورة يونس، آية 54.

2- لسان العرب، (خزا).

3- البيت الواحد والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 25.

4- البيت الخامس، الهاشمية الثانية، ص 45.

5- البيت التاسع عشر، الهاشمية الثانية، ص 51.

ومن الصفات التي اتسم بها الهاشميون كذلك الكرم والعلم الذي حباهم الله تعالى، وقد

رادف الكميت بين ألفاظ تدور حول هذا المعنى فاستخدم: عطاء، وعطية، و النوال، ونائل،
وندى، ويجديني، يقول مادحاً: (الخفيف)

غَالِبِينَ هَاشِمِينَ فِي الْعِلْمِ ————— م رَبَّوْا مِنْ عَطِيَّةِ الْعَلَامِ (1)

فهم قد عظم علمهم عطيةً ومنّةً من الله العليم العلام تبارك وتعالى.

ثم يستخدم الشاعر ما يفيد طلب العطية، يجتديني: (الطويل)

فَمَا سَأَنِي قَوْلُ امْرِئٍ ذِي عَدَاوَةٍ بِعَوْرَاءِ فِيهِمْ يَجْتَدِينِي فَيَجْذُبُ (2)

حيث فسر أبو رياش قائلاً: "يجتديني: أي يجينني ويسأل الجداء وهي العطية".

وقريب من العطية، العطاء، إذ يقول: (المنسرح)

لَا مِنْ بِلَادٍ وَلَا تُرَاثِ أَبٍ إِلَّا عَطَاءَ الَّذِي لَهُ غَضِبُوا (3)

ومرادف للعطاء، النوال، يقول في كرم الهاشميين: (الخفيف)

بَسَطُوا أَيْدِيَ النَّوَالِ وَكَفُّوا أَيْدِيَ الْبَغْيِ عَنْهُمْ وَالْعُرَامِ (4)

ويفسرها أبو رياش: "النوال: العطاء". وكما النوال، النائل حيث يخاطب الكميت الرسول،
فيقول:

1- البيت الثاني والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 19.

2- البيت الحادي عشر، الهاشمية الثانية، ص 48.

3- البيت السادس والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص 118.

4- البيت الثاني والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 25.

(الطويل)

لقد غيَّبوا برأ وصدقاً ونائلاً عَشِيَّةً وَاَرَآكَ الصَّسْفِيحُ الْمُتَّصِبَ (1)

التي يفسرها الشارح فيقول: " والنائل: العطية ". ويمتدح الكميت الهاشميين وأصفاً إياهم بالكرم
كواحد من شروط الإمامة عند الزيدية مستخدماً، الندى:

وإِنَّهُمْ لِلنَّاسِ فِيمَا يُنُوبُهُمْ أَكْفُ نَدَى تُجْدِي عَلَيْهِمْ وَتُقْضِلُ (2)

ويفسر اللسان الندي فيقول: " والندى على وجوه: ندى الماء، وندى الخير، وندى الشر، وندى
الصوت... وما نَدَيْني منه شيءٌ أي ما نالني... وأندى الرجل كثر نداءه أي عطاؤه" (3) فالندى
هنا صوتٌ ومرادفٌ للنوال والعطاء.

إن هذا الشرف قد بوأهم الله تعالى، فما هو من ميراث وصلهم من الآباء، بل إنها النبوة
وكفى، لذلك نجد الشاعر لا يلقى بالاً لذوي العداوات وسمومهم التي ينفثونها.

(27)

ولأن نور النبوة هو هاديهم وحاديهم فقد كان الهاشميون أهل الاستقامة في زمن
الانحراف الذي عبر عنه الكميت حين رادف بين لفظين للجهل: العرام، و العمى، يقول في
مدح آل البيت:

بَسَطُوا أَيْدِيَ النَّوَالِ وَكَفَّوْا أَيْدِيَ الْبَغْيِ عَنْهُمْ وَالْعُرَامَ (4)

1- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الثانية، ص62.

2- البيت التاسع والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص177.

3- لسان العرب، (ندي).

4- البيت الثاني والأربعون، الهاشمية الأولى، ص25.

ويُفسر أبو ريش العرام فيقول: "والعُرام: الجهل، ورجلٌ عارمٌ أي جاهلٌ"، لكن اللسان يتوسع في التفسير، فكان مما قال: "ابن الأعرابي: العَرَمُ: الجاهل، وقد عَرَمَ يَعْرُمُ و عَرَمَ وَعَرِمَ. وقال الفراء: العُرامِيُّ من العُرام وهو الجهل. والعُرام: الأذى"⁽¹⁾. وإني لأميل إلى معنى الأذى أكثر من معنى الجهل، وإن كان الجهل هو طريق الأذى وسببه، لكن الأذى أقرب إلى البُغي، التي وردت في البيت، من الجهل.

أما العمى فقد استخدمه ليعبر به عن الجهل على سبيل المجاز، من باب أن الجهل بالأمر هو عمى عنه، يقول الكميّ، مستهلاً هاشميته الرابعة:

(الطويل)

ألا هل عمّ في رأيه متأملاً وهل مُذنبٌ بعد الاساءة مُقبِلٌ⁽²⁾

ويشرح أبو ريش مفسراً: "يقول: هل من يجهل في رأيه متأملاً... يقال قد عمي يَعْمَى عمى فهو عم إذا جهل"، ويستشهد ببيت زهير:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

(الطويل)

ويؤيد هذا الاتجاه في التفسير قول الكميّ في موطنٍ آخر:

لأهل العمى فيهم شفاء من العمى مع النصيح لو أن النصيحة تُقبَل⁽³⁾

إذ يفسر الشارح العمى بالجهل.

إن آل البيت شفاء لمن أراد الله به الخير، شفاءً من عمى الجهل وعمى القلوب التي تتبّه في زحمة الأهواء، إذا ما رضي أهل العمى نصحتهم وأصاخوا لهم السمع، كيف لا ونور النبوة يسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

1- لسان العرب، (عرم).

2- البيت الأول، الهاشمية الرابعة، ص146.

3- البيت الثاني والثمانون، الهاشمية الرابعة، ص178.

ولأن نور النبوة هو الهادي، فقد كان الهاشميون أهل الاستقامة في زمن الانحراف

الذي عبر عنه الكميّ بمرادفات هي: مال، و أنكب، و جُنْحاً، يقول شاعر آل البيت مادحاً الهاشميين:

(الخفيف)

أَخَذُوا الْقَصْدَ وَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ حِينَ مَالَتْ زَوَامِلُ الْأَثَامِ (1)

ويستخدمها الشاعر هنا بمعنى الانحراف عن الطريق المستقيم. وشيبه بذلك قوله عن حكام بني أمية:

(الطويل)

إِذَا قِيلَ هَذَا الْحَقُّ لَا مَيْلَ دُونَهُ فَأَنْقَاضُهُمْ فِي الْغَيِّ حَسْرَى وَنُغْبُ (2)

ويستخدم الشاعر الفعل، أمال بمعنى الميل نحو السقوط، وليس الميل عن الطريق كما

(الخفيف)

في البيت السابق، يقول في مقتل الإمام علي-عليه السلام:-

وَالْوَصِيِّ الَّذِي أَمَالَ التَّجْوُ بِيْ بِهِ عَرْشَ أُمَّةٍ لِانْهِيَادِمْ (3)

(الطويل)

ويعبر الشاعر بمرادف آخر، أنكب:

إِذَا شَرَعُوا يَوْمًا عَلَى الْغَيِّ فِتْنَةً طَرِيقَهُمْ فِيهَا عَنِ الْحَقِّ أَنْكَبُ (4)

ويفسره الشارح بقوله: "وأنكب: مائل، والجمع نكب". ثم يستخدم الكميّ الجنوح للتعبير عن الميل فيقول واصفاً سير الناقة:

(الطويل)

عَرَضْنَا لَيْلَ فِي الْعَرَضَاتِ جُنْحًا أَمَامَ رِجَالِ خَلْفِ تَيْكَ وَأَرْكُوبِ (5)

1- البيت الثالث والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 25.

2- البيت السبعون، الهاشمية الثانية، ص 73.

3- البيت الستون، الهاشمية الأولى، ص 29.

4- البيت الرابع والستون، الهاشمية الثانية، ص 70.

5- البيت التاسع والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 99.

ومما فسر به الشارح قوله: "وَجَنَحًا: مُيَّلاً فِي السَّيْرِ، وَالْجَانِحُ الْمَائِلُ".

إن آل البيت -عليهم السلام- عنوان الاستقامة والهداية، كما أن أولئك هم أهل الانحراف والميل والتكبر عن سواء السبيل.

(29)

وفي هاشميته الأولى يورد الكميت ثلاثة أبيات يكرسها لنسبة الفضل القديم للهاشميين ففضلهم تالذ عن تالذ، لا مجد طارئ جديد، ويرادف الكميت بين ألفاظ ثلاثة لهذا المعنى:

قَدَامٌ، وَ عَوْدٌ، وَ قَدِيمٌ، يَقُولُ الْكَمَيْتُ مَا دَحَاً: (الخفيف)
فَضَّلُوا النَّاسَ فِي الْحَدِيثِ حَدِيثاً وَقَدِيماً فِي أَوَّلِ الْقُدَامِ (1)

ومثل القديم القدام، يقول الكميت:
أَسْرَةُ الصَّادِقِ الْحَدِيثِ أَبِي الْقَا سِمِ فَرَعِ الْقُدَامِ (2) (الخفيف)

ويفسرها أبو ريش بالقديم. أما العود فيضمنها في قوله:
عَيْرَاتُ الْفِعَالِ وَالْحَسَبِ الْعَوْدِ دِ إِلَيْهِمْ مَخْطُوطَةُ الْأَعْكَامِ (3) (الخفيف)

وقد فسر أبو ريش العود بالقديم كذلك. ومنه قول الطرماح معاصر الكميت و صاحبه، رغم ما بينهما من اختلافات كما يقول الجاحظ والأصفهاني⁽⁴⁾:

1- البيت السادس عشر، الهاشمية الأولى، ص 16.

2- البيت الخامس والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.

3- البيت الرابع والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.

4- ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 39، الأصفهاني: الأغاني، ج 16، ص 328.

هل المجدُّ إلا السؤدُّ العودُ والنديُّ ورأبُ الثأبي والصبرُ عندَ المَواطنِ (1)

إن مجد آل البيت لم يكن طارئاً حادثاً، ولكنه قديمٌ أصيلٌ فيهم، كيف لا وهو عطية من

الله العلام.

(30)

ولكن هل المجد والسناء سيقفان في وجه الموت؟ لا، ف[كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ] (2)

[وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلدَ أفانٍ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ] كما قال تعالى (3)، فالقبر هو مال كل حي، وقد عبر الكمييت عن القبر بثلاثة ألفاظ: حفائر، وقبر، وتُرب.

فقال مادحاً الرسول: (الخفيف)

كان مَيِّتاً جِنَازَةً خَيْرَ مَيِّتٍ غَيَّبَتْهُ حَقَّائِرُ الْأَقْـوَامِ (4)

ويمتدح الشاعر الرسول مستخدماً لفظ القبر: (الطويل)

وبوركِ قَبْرٌ أَنْتَ فِيهِ وَبُورِكْتِ بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ لَذِكْ يَثْرِبِ (5)

وقد عبّر الكمييت عن المعنى ذاته بصورة أخرى، فقال: (المنسرح)

نَفْسِي فَذَتِ أَعْظَمًا تَضَمَّنَهَا قَبْرُكَ فِيهِ الْعَقَافُ وَالْحَسَبِ (6)

1- ديوان الطرمّاح، ص 282.

2- سورة آل عمران، آية 185.

3- سورة الأنبياء، آية 34.

4- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.

5- البيت السادس والأربعون، الهاشمية الثانية، ص 61.

6- البيت الثامن والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص 118.

ثم استعمل الكميت، التُّرب، تعبيراً عن القبر، فقال: (الطويل)

وما ضرَّها أن كان في التُّربِ ثاوياً زُهَيْرٌ وأودى ذو القُروحِ وجِرْوَلٌ (1)

وجاء في اللسان: "وتربة الإنسان: رسمه" كما فسر اللسان الرسم بالقبر حين قال: "ويقال لما يُحَثَّى من التراب على القبر: رسم، والقبر نفسه: رسم... ابن سيده: الرسم القبر، والجمع

أرماس ورُموس" (2). وقبل أن يبتعد بنا المكان، لابد من الإشارة إلى أن الشاعر استخدم جمعاً

آخر لكلمة أعظم الواردة قبل قليل، وهو عِظام، ذلك حين قال عن الرسول: (الخفيف)
لو فدى الحيُّ ميّناً قُلتَ نَفسي وبنيّ الفِدي لَتلك العِظام (3)

لا لن يَفديَ أحدٌ أحداً إذا ما أُرِفَت ساعة الرحيل وأن يُحمل المرء على آلة حدياء إلى رسمه.

(31)

وإذا ما ذكر القبر بأسمائه المختلفة، تذكرنا ما يسبق القبر: القتل والصراع اللذين رادف الشاعر بينهما فجمعهما مرة في بيت واحد، ثم ذكر كلاهما في بيت آخر منفرد إذ يقول: (الخفيف)

كَم لَهُ ثم كَم لَهُ من قَتيلٍ وصَرِيحٍ تحت السَّنابِكِ دَامِي (4)

ثم استعمل الفعل من قَتيل: نُقِّلَهُم متحدثاً عن الخوارج: (الطويل)

نُقِّلَهُم جِيلاً فجيلاً نَراهُم شعائرَ قُربانٍ بهم يُنقِرُّ رَبُّ (5)

1- البيت الأخير، الهاشمية الرابعة، ص 187.

2- لسان العرب، (ترب)، (رسم).

3- البيت الثاني والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 27.

4- البيت الثالث والستون، الهاشمية الأولى، ص 30.

5- البيت التاسع والخمسون، الهاشمية الثانية، ص 67.

أما الصريع فاستعملها الشاعر بلفظها في حديثه عن الثور: (المنسرح)

فردّها بالصَّرِيعِ ذِي الرَّمَقِ الـ كَارِبٍ يَدْمِي حَسَاهُ وَالْقُرْبُ (1)

وعبر كذلك عن الموت بمرادفٍ آخر: مُجَحَّلٌ، فقال: (الطويل)

ومال أبو الشعثاء أشعت دامياً وإنَّ أبا حَجَلٍ قَتِيلٌ مُجَحَّلٌ (2)

وفسر أبو ريش المُجَحَّلُ بالمصروع، وكذا اللسان، مستشهداً بالبيت نفسه (3).

(32)

وثمة فرقٌ بين القتل والموت [أفان ماتَ أو قُتِلَ انْقَلَبَتْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ] (4) حيث استخدم الكميّة للدلالة على الموت ألفاظاً عدة: هلك، وشاط، وشجب، وفاض، وقضى نحبّه، ومات، وأودى، ومال، يقول شاعر آل البيت، مصوراً الحال التي نَجَمَتْ عن قتل الإمام علي -عليه السلام-:

(الخفيف)

رَاعِيًا كَانَ مُسْجِحًا فَقَدْنَا هُوَ وَقَدَّ الْمُسِيمِ هُنَاكَ السَّوَامِ (5)

ويفسر الشارح قائلاً: "يقول: فقد الراعي هلاك الإبل السائمة". وفي اللسان: "هَلَاكَ يَهْلِكُ هَلَاكًا وَهَلَاكًا وَهَلَاكًا: مات" (6)، ومنه قوله تعالى على لسان المؤمن من آل فرعون: [حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ

1- البيت الرابع عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 137.

2- البيت التاسع والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص 166.

3- ينظر: لسان العرب، (حجل).

4- سورة آل عمران آية 144.

5- البيت السابع والستون، الهاشمية الأولى، ص 31.

6- لسان العرب، (هلك).

قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا⁽¹⁾. ثم يناقش الكميت ويحتج، مستخدماً كلمة شجب اسم تفضيل فيقول:

(الطويل)

أَسْلَمُ مَا تَأْتِي بِهِ مِنْ عَدَاوَةٍ وَبُغْضِ لِهِمْ لَا حَيْرَ بَلْ هُوَ أَشْجَبُ⁽²⁾

ويُفسر الشارح فيقول: "أشجب: أعطب وأهلك، يقال شَجَبَ يَشْجِبُ شَجْباً وَأَشْجَبَهُ اللهُ"، وفي اللسان: "وَشَجَبَهُ اللهُ يَشْجِبُهُ شَجْباً أَي أَهْلَكَ"⁽³⁾. ويضمن الشاعر لفظ، شاط، في مجال حديثه عن

عدوٍ آخر لهم هو الخوارج:

(الطويل)

وَشَاطَ عَلَى أَرْمَاجِنَا بَادِعَائِهَا وَتَحْوِيلِهَا عَنكُمْ شَبِيبٌ وَقَعْنَبُ⁽⁴⁾

ويفسر أبو ريش فقال: "وشاط: هلك وهدر دمه"، وفي اللسان: "الإشاطة: الإهلاك."⁽⁵⁾

ومرادف آخر للموت: قضى نحبه، في قوله:

(الطويل)

سَوَى عَصَبَةٍ فِيهِمْ حَبِيبٌ مُعَفَّرٌ قَضَى نَحْبَهُ وَالْكَاهِلِيُّ الْمُزْمَلُ⁽⁶⁾

ثم يستعمل الشاعر مترادفين آخرين في بيتين متتاليين، استخدم في الأول منهما كلمة

مال بمعنى مات، فقال:

(الطويل)

وَمَالَ أَبُو الشُّعْثَاءِ أَشَعَتْ دَامِيَاً وَإِنَّ أَبَا حَجَلٍ قَتِيلٌ مُجَحَّلٌ

وفي البيت الآخر استخدم كلمة فاض:

(الطويل)

وَشَيْخُ بَنِي الصَّيْدَاءِ قَدْ فَاضَ قَبْلَهُمْ وَإِنَّ أَبَا مُوسَى أَسِيرٌ مُكَبَّلُ⁽¹⁾

1- سورة غافر، آية 34.

2- البيت الرابع عشر، الهاشمية الثانية، ص 49.

3- لسان العرب، (شجب).

4- البيت الثامن والخمسون، الهاشمية الثانية، ص 67.

5- لسان العرب، (شيط).

6- البيت الثامن والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص 165.

ويستعمل الشاعر لفظ مات في قوله: (الطويل)

أموتاً على الحقّ كما مات منهم أبو جَعْقَرٍ دون الذي كنت تأمل (2)

ويعبر عن الموت بالإقامة في القبر، كما بلفظ أودى فيقول: (الطويل)

وما ضرّها إن كان في التُّربِ ثاوياً زهير وأودى ذو القُروح وجَزول (3)

ويفسر اللسان كلمة أودى فيقول: "وأودى الرجل: هلك وأودى به المنون أي أهلكه" (4) أما الشارح فلا يفسرها.

وإذا كان الكميت قد رادف بين ألفاظ عدة بمعنى الموت فعلاً، من مثل: مات، وقضى نحبّه، فقد رادف كذلك بين كلمات عدة بمعنى الموت اسماً هي: الحمام، و الردى، والمنيّة، يقول الشاعر معبراً عن شوقه لآل البيت:

ليت شعري هل ثم هل أتينهم أم يحولنّ دون ذاك حمّامي (5)

ويفسر الشارح: "الحمام: القدر، ويقال حُم له ذلك: أي قدّر له"، أما لسان العرب فيفسر: "الحمام: قضاء الموت وقدره... وفي الحديث ذكر الحمام كثيراً وهو الموت" (6). أما الردى

فجاءت في حديث شاعر آل البيت عن تلك الفئة: (الطويل)

همُ خوقونا بالعمى هوة الردى كما شبّ نارَ الخالفين المهول (7)

1- البيتان التاسع والأربعون والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص 166.

2- البيت الرابع والتسعون، الهاشمية الرابعة، ص 182.

3- البيت الحادي عشر بعد المئة، الهاشمية الرابعة، ص 187.

4- لسان العرب، (ودي).

5- البيت الرابع والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 38.

6- لسان العرب، (حمم).

7- البيت السادس والثلاثون، الهاشمية الرابعة، ص 161.

ويقول أبو رياش مفسراً: "والردى: الهلاك"، والهلاك هو الموت كذلك كما جاء في اللسان⁽¹⁾.
وكما جاء لفظ الردى في البيت السابق على وجه الحقيقة، فقد استخدمه الشاعر على سبيل
المجاز، إذ قال:

(الطويل)

لنبا عارضٌ ذو وابلٍ أطلقت له وكاء ردى الأبطال عزلاءً تسجل⁽²⁾

أما لفظ المنية فجاء في معرض ندم الكميث لعدم خروجه مع زيد بن علي، إمامه، ذلك لأنه
يعرف طبع أهل الكوفة بعدم الالتزام بنصرته⁽³⁾، إذ يقول:

(الوافر)

حِذَارَ مَنِيَّةٍ لا بُدَّ مِنْهَا وهَلْ دُونَ الْمَنِيَّةِ مِنْ طَرِيقٍ⁽⁴⁾

(33)

ويتسبب الموت بنتيجة يذكرها الشاعر معبراً عن ذلك بجذع الأنوف مستخدماً في ذلك

(الخفيف)

الأنوف مرة والعرائين في الأخرى، يقول:

نَأْتِنَا فَقَدُهُ وَنَالِ سِوَانَا باجْتِدَاعٍ مِنْ "الْأُنُوفِ اصْطِطَامِ"⁽⁵⁾

وفسر أبو رياش فقال: "واصطلام: استيعاب القطع واستنصاله". أما التعبير الآخر فجاء في قوله
مخاطباً الرسول:

(الطويل)

حَيَاتُكَ كَانَتْ مَجْدَنَا وَسَنَاءَنَا وموتك جذع للعرائين موعب⁽⁶⁾

1- لسان العرب، (هلك).

2- البيت الرابع والستون، الهاشمية الرابعة، ص 171.

3- ينظر: ضيف، شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 274.

4- البيت الثاني، الهاشمية العاشرة، ص 204.

5- البيت الثامن والستون، الهاشمية الأولى، ص 31.

6- البيت الثاني والأربعون، الهاشمية الثانية، ص 60.

وفسر الشارح قائلاً: "وأوعبتُ: استأصلتُ، والموعب المستأصل". وواضح أن الشاعر قد رادف في البيتين بين لفظي اصطلام وموعب إضافة إلى المرادفة بين الأنف والعرينين.

لقد أحس الكميت بعظم المصيبة حين رأى الحق يُجدع بعدما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى، فنال الأمة كلها ما نالها.

(34)

ولقطع غير الأنوف، كاللحم أو النباتات، أفعال أخرى من أفعال التقطيع استخدمها الكميت: تتقضَّب، و الملحَّب، والمرعبل، ويختلي، مترادفات لمعنى القطع، فقال يصف حال الأمة تحت

(الطويل)

حكم الفئة الباغية:

فيا لكَ أمراً قد أُشِيتتْ أموره وذيلاً أرى أسبابها تتقضَّب (1)

وفسرها الشارح بقوله: "وتتقضَّب: تتقطع، والقضَّبُ القطع". وكما استخدم الشاعر الفعل تتقضَّب على سبيل المجاز، فقد استعمل لفظ الملحَّب استعمالاً حقيقياً، حين تكلم عن الجريمة

(الطويل)

البشعة: قتل الحسين -عليه السلام-:

ومن أكبر الأحداث كانت مُصيبةً علينا قَتيلُ الأدياءِ الملحَّب (2)

وفسر أبو رياش الملحَّب بالمقطع بالسيف.

أما المرعبل ف جاءت في وصفه الحياة التي يعيشها آل البيت -عليهم السلام- تحت حكم

(الطويل)

الأمويين فقال مصوراً ذلك العيش:

فأصبَحَ باقي عيشنا وكأنه لوأصِفُه هذمُ الخبَاءِ المرعبل (3)

1- البيت الثاني والستون، الهاشمية الثانية، ص 69.

2- البيت الاول بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 84.

3- البيت الحادي عشر، الهاشمية الرابعة، ص 150.

وفسرها أبو رياش فقال: "وقوله المرعب المقطع المشقق"، أما اللسان فيقول: "ورعب اللحم رعبلة: قطعه لتصل النار إليه فتتضح والقطعة الواحدة رعبولة. ورعب الثوب فترعب مزقه فتمزق. والرعبول الخرقة المتمزقة"⁽¹⁾.

واستعمل الكميت يختلي في صورة معبرة يصف فيها قتل العصاة

الخارجين للحسين ومن معه -عليهم السلام-: (الطويل)

كَأَنَّ حُسَيْنًا وَبِهَالِيلَ حَوْلَهُ لِأَسْيَافِهِمْ مَا يَخْتَلِي الْمُتَبَقِّلَ⁽²⁾
 وفسر الشارح فقال: "وقوله ما يختلي المتبقل، شبههم بالخلى وهو الرطب يجزه المتبقل وهو الذي يأخذ البقل".

(35)

لقد كان نشئت وفرقة فجاء الإسلام واستبدل بها وحدة تحت راية التوحيد، ولكن ما لبثت الحال أن عادت سيرتها الأولى من الفرقة والنشئت، وقد استخدم الكميت لهذا المعنى مترادفات هي: تفرقت، وأشتت، وينشق، ويرفض، وشتى، وفرقة، ومتشعب، يقول

الكميت عن حال الأمة تحت حكم بني أمية: (الخفيف)

وَأَشِيتَتْ بِنَا مَصَادِرُ شَتَى بَعْدَ نَهْجِ السَّبِيلِ ذِي الْأَرَامِ⁽³⁾

ويفسر أبو رياش: "أشتت: فرقت، والنشيت التفريق".

وفي مدحه للرسول، يستخدم، فرقة، فيقول: (الطويل)

بِكَ اجْتَمَعَتْ أَنْسَابُنَا بَعْدَ فُرْقَةٍ فَحَنُّ بَنُو الْإِسْلَامِ نُدَعَى وَنُنْسَبُ⁽⁴⁾

1- لسان العرب، (رعبل).

2- البيت الواحد والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص166.

3- البيت التاسع والستون، الهاشمية الأولى، ص32.

4- البيت الواحد والأربعون، الهاشمية الثانية، ص60.

وبالمقابل، وفي حديثه عن أولئك، يستخدم الكميت الفعل، تفرقت،

فيقول: (الطويل)

تَفَرَّقَتِ الدُّنْيَا بِهِمْ وَتَعَرَّضْتُ لَهُمْ بِالنُّطَافِ الأَجْنَاتِ فَأَشْرَبُوا (1)

ثم يستعمل في سياق حديثه عن أولئك أيضاً مترادفين في بيتٍ يقول: (الطويل)

فَمَنْ أَيْسَنُ أَوْ أُنَى وَكَيْفَ ضَلَّالِهِمْ هُدَى وَالهوى شَتَى بِهِمْ مُتَشَعِبٌ (2)

ومما قال أبو ريش مفسراً: "والشتت: التفرق، والشعب مثله".

وفي حديثه عن الناقة نجد مرادفاً آخر، يرفض: (الطويل)

تَرَى المَرَوَ وَالكِذَّانَ يَرْفُضُ تَحْتَهَا كَمَا ارْفُضُ قَيْضُ الأَفْرُخِ المُتَقَوِّبِ (3)

ويفسر الشارح: "يرفض: يتفرق". ومرادفاً آخر يعبر عن التفرق، نجده في سياق مدح الكميت

للسول: (المنسرح)

يَنْشَقُّ عَن حَدِّهَا الأَتَى كَمَا شُقَّتْ مَآلِي المِائِمِ القُشْبِ (4)

هذا هو السبب إذن "والهوى شتى بهم متشعب"، إنها الأهواء التي لا تمتُ إلى الدين بسبب،

تعصف بالأمة ووحدها.

1- البيت الثامن والستون، الهاشمية الثانية، ص72.

2- البيت الثالث والسبعون، الهاشمية الثانية، ص74.

3- البيت الثامن عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص90.

4- البيت الثاني والأربعون، الهاشمية الثالثة، ص113.

ولا بد أن يورد هذا الواقع إلى الذهن الرعي والرعاء، حين نرى ما حل بالأمة عندما رعاها من لم يكن مهمم إلا أنفسهم فحل بالأمة ما حل بها من الضياع، وقد استخدم الكميّت للراعي مترادفات أربع: راعي، و مُسيم، ورعاء، و مُترخل، ويجمع الكميّت في بيت بين الراعي والمُسيم فيقول في مدح الإمام علي -كرم الله وجهه-:

(الخفيف)

راعيّاً كان مُسججاً ففقدنا هُ وَّفَقَّدُ المُسِيمِ هُلْكَ السَّوَامِ (1)

ويفسر الشارح المسيم فيقول: "والمسيم هو الراعي، ويقال: أسام إبله أي أرسلها تسوم أي ترعى". ثم يجمع كلمة راعٍ على رعاء، كما في قوله تعالى في قصة موسى -عليه السلام- في مدين: [... حتى يُصدِرَ الرِّعاء]⁽²⁾، إذ يقول:

(الطويل)

أَتَتْ غَنَمًا ضَاعَتْ وَغَابَ رِعاؤُهَا لها فُرْعُلٌ فيها شَرِيكٌ وفُرْعُلٌ (3)

ونلاحظ أن الشاعر يرادف كذلك بين فقد المُسيم، وغاب رعاؤها.

ويستمر الكميّت في التصوير الذي بدأه، فيشبه ضياع الأمة بضياع السوام بيدي راعٍ ظالمٍ جشعٍ لا يهتمه إلا نتاج هذا القطيع دون أن يُعنى به، فيقول مستخدماً كلمة مُترخل:

(الطويل)

وَلَوْ وُلِّيَ الهُوجُ النَّوائِجُ بالذي وُلِينا بِهِ ما دَغَدَعُ المُتَرخِلُ (4)

وقال الشارح مفسراً: " المُترخل: صاحب الرِّخال، الواحدة رِخْلٌ"، ويضيف اللسان:

1- البيت السابع والستون، الهاشمية الأولى، ص 31.

2- سورة القصص، من آية 23.

3- البيت الثالث والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 156.

4- البيت الخامس والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 157.

" الرُّخْل والرُّخْل: الأنتى من أولاد الضأن والذكر حَمَل، والجمع أرْخُل ورِخال و رُخال" ثم يذكر بيت الكميت مستبدلاً بالثوائج السوائح ومعقباً بقوله: "يريد صاحب الرِخال التي يرببها"⁽¹⁾.

ونلاحظ المقارنة التي عقدها الكميت بين رعاية الإمام علي وآله للأمة، وبين رعاية الذئاب، فقد هلك السوام وضاعت الأمة بعدما وليها الذئاب.

(37)

استخدم الكميت كلمات عدة لمعنى الإبانة والإظهار: ظاهراً، ومُبدياً، ويبدو، ومعلناً، وأبان، وشرع، ونص، وعَرَضَ، وأظْهَرَ، وبدت، فقال عن

الحسين - ~~عليه السلام~~ - ومقتله: (الخفيف)

يَتَعَرَّفُن حُرَّ وَجْهِ عَلَيْهِ عَقَبَةُ السَّرْوِ ظَاهِرًا وَالْوَسَامِ⁽²⁾

ثم يستخدم شاعر الهاشميين معنى الإعلان، مستعملاً إياه اسم فاعل، معلناً ومبدياً في بيتين متتاليين:

مُعْلِنًا لِلْمُعَالِنِينَ مُسِيرًا لِلْمُسِيرِينَ غَيْرَ دَخْضِ الْمُقَامِ
مُبدياً صَفَحَتِي عَلَى الْمَرْقَبِ الْمُعْ لِمِ بَالِ اللَّهِ قُوتِي وَاعْتِصَامِي⁽³⁾

ثم يستخدم الفعل، أبدت، في صورة معبرة للحرب:

إِذَا بَدَدَتْ بَعْدَ كَاعِبِ رَوْدٍ شَمِطَاءَ مِنْهَا اللَّحَاءُ وَالصَّخَبِ⁽⁴⁾

1- لسان العرب، (رخل).

2- البيت السادس والسبعون، الهاشمية الأولى، ص34.

3- البيتان الرابع والثمانون والخامس والثمانون، الهاشمية الأولى، ص36.

4- البيت الواحد والتسعون، الهاشمية الثالثة، ص128.

ويستخدم الشاعر الفعل، يبدو، استخداماً حقيقياً في قصة الثور مع الكلاب والكلاب

فيقول: (الطويل)

فَبَاكَرَهُ وَالشَّمْسُ لَمْ يَبْدُ قَرْنُهَا بِأَحْدَانِهِ الْمُسْتَوْلِغَاتِ الْمُكَلَّبِ (1)

ومرادف آخر هو: شرع، ورد في سياق الحديث الطويل للكميت عن ضلال الضالين

وطريقهم الأنكب، حيث قال: (الطويل)

إِذَا شَرَعُوا يَوْمًا عَلَى الْغَيِّ فِتْنَةٌ طَرِيقَهُمْ فِيهَا عَنِ الْحَقِّ أَنْكَبِ (2)

ومما قال الشارح مفسراً: "شرعوا: أظهروا، ومنه قوله تعالى: [شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ] (3)، وأضاف اللسان: "قال الأزهري: معنى شرع: بيّن و أوضح مأخوذاً من شرع الإهاب إذا شقّ ولم يُزَقّق أي يجعل زقاً ولم يُرَجَل" (4). ومتمماً حديثه عن ذلك الضلال والانحراف عن شرع الله تعالى، وفي سياق احتجاجه ونقاشه وتبينه لبعده عن جادة الصواب، يورد الكميّ مرادفاً آخر، عرضت، فهناك هم يشرعون الفتنة ويظهرونها، وهنا لا يوفرون الضلال إذا ما عرض وظهر فسرعان ما يغرقون فيه، يقول: (الطويل)

وَإِنْ عَرَضَتْ دُونَ الضَّلَالَةِ حَوْمَةٌ أَخَاضُوا إِلَيْهَا طَائِعِينَ وَأَوْثَبُوا (5)

ويفسر أبو رياش: "عرضت: ظهرت". ثم يأتي بالفعل، أظهر، بدلاً من ظهر، لكنه

بمرادف آخر هو، استخرج، فيقول: (الطويل)

فَقَدْ طَالَ هَذَا النَّوْمُ وَاسْتَخْرَجَ الْكَرَى مَسَاوِيَهُمْ لَوْ أَنَّ ذَا الْمَيْلِ يَعْدِلُ (6)

1- البيت الواحد والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص96.

2- البيت الرابع والستون، الهاشمية الثانية، ص70.

3- سورة الشورى، آية 13.

4- لسان العرب، (شرع).

5- البيت الواحد والسبعون، الهاشمية الثانية، ص73.

6- البيت الثالث، الهاشمية الرابعة، ص 147.

وفسر الشارح: "يقول قد طال تغميضهم فاستخرج ذلك عيوبهم أي أظهر مساوئهم" وفي معرض حديثه بل تنظيره وحججه دعماً للمقالة الزيدية يقر حق علي -عليه السلام- بالخلافة بناءً على وصية الرسول له يوم غدير خم، في معرض هذا الخضم السياسي الفكري يأتي الكميت بمرادف آخر،

أبان، ذلك حين يقول:

(الوافر)

ويومَ الدَّوْحِ دَوْحَ غَدِيرِ خُمٍ أبانَ له الوِلايَةَ لو أطيعا (1)

(38)

ويذكر الكميت الخسّة والهبوط فينفيهما عن الأنصار، ويستخدم لهذا المعنى: وضيع،

وأذلّ، ووابط، وواغل، يقول عن علاقته بحكام بني أمية:

(الخفيف)

ورأيتُ الشَّرِيفَ في أعينِ القَوِّ م وَضِيعاً وَقَلَّ مِنْهُ احتشامي (2)

وقال اللسان مفسراً: "الوضيع: الدنيا من الناس... الضعة: الذل والهوان والدناءة" (3).

أما الذلّ فجاء في قوله:

(المنسرح)

ولا دَوَادٍ أَذِلَّ لِل_____ _____ وولَدَةَ ما جَرَّرُوا وما سَخَبُوا (4)

وإذا كانت الذلّة في الدوادي على سبيل المجاز، فقد جاءت على وجه الحقيقة حين تكلم

على الأنصار، فقال:

(الطويل)

وما كانت الأنصارُ فيها أذِلَّةً ولا غِيْباً عنها إذا النَّاسُ غُيِّب (1)

1- البيت التاسع، الهاشمية السادسة، ص 197.

2- البيت الثالث والثمانون، الهاشمية الأولى، ص 35.

3- لسان العرب (وضع).

4- البيت الثالث عشر، الهاشمية الثالثة، ص 104.

أما لفظ، الوابط، فقد وردَ في حديث الكميت عن مجد الأمويين الذي لم يزد عن مجد

الوابطين المتعبين أعيامهم السعي دون أن يوصلهم إلى شيء منه: (المنسرح)

وأدركوا دُونَهُ أَحَاطِي فِي حَيْثُ مَدَى الْوَابِطِينَ إِذْ لَغَبُوا (2)

فلم يزد مجدهم عن مدى ومستوى الوابطين الخسيسين، ويفسر الشارح ذلك فيقول: " في حيث غاية الوابطين وهم الضعفاء، و الواحد وابط وهو الضعيف"، ويضيف اللسان موضعاً: " والوابط الخسيس. ووبطَ حظه وبتطاً: أخسّه ووضع من قدره. ووبطتُ الرجل: وضعت من قدره (3). وجاء لفظ، الواغل، في قوله: (المنسرح)

وَأَحْتَضَرَ الْمُوقِدُونَ إِذْ عَزَلَ الْـ — وَوَاغَلَ مِنْهَا النَّفَّارَ وَالزَّبَّابَ (4)

ويشرحه أبو ريش فيقول: " الواغل: الضعيف، وهو الداخل على القوم وهم يشربون ولم يُدعَ لضعفه"، وفي اللسان: "الوَغْلُ مِنَ الرِّجَالِ: النَّذْلُ الضَّعِيفِ السَّاقِطِ الْمُقْصِرِ فِي الْأَشْيَاءِ وَالْجَمْعُ أَوْغَالٌ" (5).

(39)

وعبر الكميت عن أحوال الناس في ظل الحكم الأموي بثلاثة مترادفات: عيشنا، و أمور

الناس ودينانا، يقول مصوراً العيش تحت نيرِ الظلم: (الطويل)

فَأَصْبَحَ بَاقِي عَيْشِنَا وَكَأَنَّهُ لِيُوصِفِهِ هِدْمُ الْخِيَاءِ الْمُرْعَبَلِ (6)

1- البيت الثاني والخمسون، الهاشمية الثانية، ص 64.

2- البيت الثامن والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 127.

3- لسان العرب، (وبط).

4- البيت الثالث والتسعون، الهاشمية الثالثة، ص 129.

5- لسان العرب، (وغل).

6- البيت الحادي عشر، الهاشمية الرابعة، ص 150.

- وَيَصْرُوها تَصْوِيرًا آخِرَ حِينِ يَقُولُ: (الطويل)
- فَتَلِكْ أُمُورُ النَّاسِ أَضْحَتْ كَأَنَّها أُمُورُ مُضِيْعِ آثَرِ النَّوْمِ بُهْل (1)
- ثم يستنتج في حوار ه ومناظرته بعد تلك المقدمات، ويقول: (الطويل)
- أَتَصْلِحُ دُنْيَانَا جَمِيعًا وَدِينَنَا عَلى ما بِهِ ضَاعَ السَّوَامُ الْمُؤَبَّل (2)

(40)

ولا ينتهي الحديث عن سوء حال الأمة تحت حكم تلك الفئة، كما أن حديث الشاعر عن حبه لآل البيت ذو شجون ولا يكاد ينتهي، وللتعبير عن هذا وذاك مع حديثه عن الثور ومعركته يسمي الشاعر الجنبَ بأسماء مترادفة هي: صفحة، و قُرْب، وجانب، و عِطْف، وجناح، فقال:

(الخفيف)

- مُبدِياً صَفْحَتِي عَلى المَرَقَبِ المَعْدِ لَمْ بِاللهِ قَوَّتِي وَاَعْتَصَمِي (3)
- ويتكلم عن آل البيت مورداً مترادفين اثنين، فيقول: (الطويل)
- خَفَضْتُ لَهُم مَنِي جَنَاحِي مَوَدَّةٍ إِلى كَتْفِ عِطْفَاهِ أَهْلِ وَ مَرْحَبِ (4)

حيث يفسر أبو رياش: " أي لئننت لهم جانبي... وعِطْفَاهُ: ناحيتاه الواحد عِطْفٍ ".

(المنسرح)

- وعند حديثه عن الثور يستخدم الكمية العِطْف منفرداً:
- فَجَالَ فِي رَوْعَةِ الفُجَاءَةِ مُنْئِ نَوْنِي عِطْفِ وَالْقَلْبِ مُنْتَخَبِ (5)

1- البيت الثالث عشر، الهاشمية الرابعة، ص 151.

2- البيت الرابع والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 156.

3- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الأولى، ص 36.

4- البيت الثامن، الهاشمية الثانية، ص 47.

5- البيت الثاني عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 137.

ونلاحظ تأثر الشاعر بالقرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: [ثَانِي عَطْفِهِ] (1). وجاء في لسان العرب: "وعِطفا الرَّجُل والدابة: جانِباه عن يمين وشِمال وشِقَاه من لَدُن رأسه إلى وِرْكِهِ والجمع أَعْطَافٌ وَعِطَافٌ وَعُطُوفٌ" (2). ويذكر الشاعر نتيجة المعركة بين الثور والكلاب فيستخدم مرادفاً آخر للجنب:

فَرَدَّهَا بِالصَّرِيحِ ذِي الرَّمَقِ الـ كَارِبٍ يَذْمِي حَسَاهُ وَالقُرْبُ (3)

ويفسر أبو رياش فيقول: "والقرب: الجنب وهما قُرْبَان، والأقربُ الجمع"، وفي اللسان: "وقيل القُربُ والقُربُ من لدن الشاكِلة إلى مِراقِّ البطن، مثل عُسْرٍ وعُسْرٍ، وكذلك من لدن الرُفْعِ إلى الإبطِ قُربُ من كل جانب" (4).

ومرادف آخر أورده الكميّ في حديثه عن حال الأمة في صورة مُعبّرة عن السوء الذي

تعيشه: (الطويل)

إِذَا حِصَّ مِنْهُ جَانِبٌ رَاعَ جَانِبٌ بَفْتَقَيْنِ يَضْحَى فِيهِمَا الْمُتَظَلِّلُ (5)

ثم جانبٌ آخر معنوي هو الناحية والجهة لكنه جانبٌ وبنفس المعنى كما قال تعالى: [وما

كُنْتَ بِجَانِبِ الغَرَبِيِّ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ] (6)، يقول الشاعر في

مقتل الحسين - عليه السلام -: (الطويل)

إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ الأَسِنَّةُ كَبَّرْتُ غَوَاتَهُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَهَلُّوا (7)

1- سورة الحج، آية 9.

2- لسان العرب، (عطف).

3- البيت الرابع عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 137.

4- لسان العرب، (قرب).

5- البيت الثاني عشر، الهاشمية الرابعة، ص 151.

6- سورة القصص، آية 44.

7- البيت السابع والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص 168.

ويُفسر أبو رِيَاشٍ فيقول: "وقوله من كل أوب أي من كل وجهٍ وناحية".

لقد مزقت الأسنه جسد الحسين و آله -عليهم السلام-، كما مزقت أسنة الظلم الأمة
فوصلت إلى حالٍ أعيت على الإصلاح والترقيع.

(41)

وأي حديثٍ أحق بالذکر بعد ذلك الوصف للقوة العُشوم و آثارها، هل شيءٌ أحق أن يُذكر
قبل القوة، في محاولة نفسية على الأقل لخلق توازنٍ مع ذلك الظلم وأهله، لقد رادف الكميت بين
الفاظٍ عدة دلت على معنى القوة: قوی، و قوة، و لوث، و عنتریس، و شهب، و جِلاَد، يقول
الكميت:

(الخفيف)

مُبدِياً صَفَحَتِي على المَرَقَبِ المَعْمَ — أَمَ باللهِ قُوَّتِي وَاَعْتِصَامِي (1)

ويستعمل الشاعر كلمة: قوی، جمعاً، في حديثه عن حكام بني أمية و فشلهم في بلوغ المجد الذي

تسَنَّمه بنو هاشم، فيقول:

(المنسرح)

صَعَدَهُمْ فِي كَوُودِهِ الرَّبُوتُو تَو — هِينُ قُوِّي وَالسُّعَاةُ لَا الوَثَبُ (2)

ويفسر أبو رِيَاشٍ القوی جمع قوة. وفي كلامه عن الناقة نراه يستخدم المرادفين: عنتریس و لوث،

في بيت يقول:

(الخفيف)

عَنْتَرِيسٌ شِمْلَةٌ ذَاتُ لَوِثٍ — هَوَجَلٌ مَيْلَعٌ كَتَمُومُ البُغَامِ (3)

1- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الأولى، ص 36.

2- البيت السابع والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 127.

3- البيت السادس والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 39.

ويُفسر الشارح عنتريس بالشديدة، أما اللسان فيقول: "والعنتريس: الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجريئة، وقد يوصف به الفرس" (1) أما اللوث فيقول الشارح مفسراً: "ذات لوث أي ذات قوة، واللوث القوة".

وقد استعمل الشاعر لفظاً من ألفاظ الألوان للدلالة على القوة: (الطويل)

وَشَيْبَةٌ قَدْ أَتَوَى بِبَدْرِ يَنْوُشُهُ غُدَافٌ مِنَ الشُّهْبِ الْقَسَاعِمِ أَهْدَبُ (2)

ويُفسر الشارح فيقول: "والقشعم: الكبير من النسور، والنسر إذا كبر أبيض"، ويُفهم من هذا أن الشارح يفسر الشهب باللون الأبيض، إلا أن الشارح يتناقض حين يكمل تفسيره قائلاً: "وغداف: أراد نسراً قد اسودَّ" فكيف يكون النسور أسوداً وأبيض في آنٍ معاً؟ إلا أن اللسان يفسر كلمة الشهب تفسيراً يزيل هذا التناقض حين يقول: "... وجيشٌ أشهبٌ أي قوي شديد، وأكثر ما يستعمل في الشدة والكراهة، جعله بازلاً لأن بزول البعير نهايته في القوة" (3). ومرادف آخر من هذه الفئة الدالة على القوة استخدمه الكميت في وقوفه الفريد على الأطلال ينفي عن نفسه

التعلق بها، ذلكم هو، جِلاَد، يصف به بعض تلك الأطلال وهي الأثافي، يقول: (المنسرح)

جُرْدٌ جِلاَدٌ مُعْطَفَاتٌ عَلَى الْـ أَوْزَقِي لَا رِجْعَةَ وَلَا جَلْبُ (4)

إذ يفسر الشارح قائلاً: "وجِلاَد: أقوياء على البرد والحر" ويُفسر الرافعي فيقول: "وجِلاَد اليواحد جَلْدٌ، والواحدة جَلْدَةٌ أي أشداء أقوياء، على التشبيهة بالإبل" (5).

1- لسان العرب، (عترس).

2- البيت السادس والتسعون، الهاشمية الثانية، ص 83.

3- لسان العرب، (شهب).

4- البيت الخامس، الهاشمية الثالثة، ص 101.

5- الرافعي، محمد محمود: شرح الهاشميات، ص 56.

وليس أقل من أن تكون الأثافي جُلدة قوية، كما النسر والناقة في محاولة للتعويض عن الضعف أمام القوة الغاشمة التي استخدمها حكام بني أمية، كما فعل الشاعر كذلك حين أنهى معركة الثور مع الكلاب بنصره عليها.

(42)

وكان القوة المادية لم تفت في عزيمة الكميّة، فكان قوة من نوع آخر، قوة التعنيف والتأنيب التي عبر عنها بمتراذفات عدة: ملامة، و أعدل، وعنف، و أؤنب، يقول رافضاً لوم اللائمين:

ما أبالي إن حفّظتُ أبا القا سم فيهم ملامّة الأوام⁽¹⁾

ويتابع شاعر الهاشمين حديثه عن آل البيت وتعلقه بهم فيستخدم مرادفين آخرين،

فيقول:

وأرمي وأرمي بالعداوة أهلها وإنّي لأوذى فيهم وأؤنب⁽²⁾

وفسر أبو ريش فقال: " و أؤنب: أوبخ، والتأنيب التوبيخ"، بينما فسر اللسان: "أنب الرجل تأنيباً: عنفه ولامه ووبّخه، والتأنيب أشدّ العذل وهو التوبيخ والتثريب"⁽³⁾.

شبية بعجز هذا البيت ما جاء في قوله:

على أيّ جُرم أم بأية سيرة أعنفُ في تقرّيبهم وأؤنب⁽⁴⁾

1- البيت السادس والثمانون، الهاشمية الأولى، ص36.

2- البيت العاشر، الهاشمية الثانية، ص48.

3- لسان العرب، (أنب).

4- البيت السابع والسبعون، الهاشمية الثانية، ص75.

وقد فسر الشارح فقال: "أَعَنَّفَ: ألام، يقال: عَنَّفَهُ تَعْنِيفاً إِذَا عَذَّلَهُ".

ويأتي نفس المعنى في قوله: (المنسرح)
وَقِيلَ أَفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ عَنَّفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ تَلَّبُوا (1)

أما العَدْلُ فيورده الشاعر في معرض تصويره حُبَهُ لال البيت: (الطويل)
وَقُلْتُ لَهَا بِيَعِي مِنَ الْعَيْشِ فإِنِيأُ بِيَأَقِ أَعَزِّيَهَا مِرَاراً وَأَعَذَّلُ (2)

ويأتي الكميت بلفظ العَدْلُ في بيت آخر، يذكر فيه ذات المعنى من غير أن يحط ذلك من قيمة هذا التناول وبلاغته وجماله: (المقارب)

وَفِي حُوبِهِمْ فَاتَهُمْ عَادِلًا نَهَاكَ وَفِي حَابِهِمْ فَاخْطِيبُ (3)
إن الجبروت لم يحل دون وقوف الشاعر إلى جانب الحق وأهله حتى يلقي الله تعالى مقتولاً، فهل من المنتظر أن تمنعه قوة اللوم والعذل؟

(43)

ولا ينفك الكميت عن التعبير عما حمله من حبٍ ملاً عليه حوانحه، إلى جانب الحقد على بني أمية، وقد استخدم الكميت لهذا المعنى الكلمات: القِسم، والحَظ، والنصيب، مترادفات، فقال عن الهاشميين: (الخفيف)

فَهُمْ شِيَعَتِي وَقِسْمِي مِنَ الْأُمِّ سَةِ حَسْبِي مِّنْ سَائِرِ الْأَقْسَامِ (4)

وفسر أبو ريش القِسم بالنصيب.

- 1- البيت الرابع والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 111.
- 2- البيت التسعون، الهاشمية الرابعة، ص 180.
- 3- البيت العاشر، الهاشمية الخامسة، ص 189.
- 4- البيت الثامن والثمانون، الهاشمية الأولى، ص 37.

أما الحَظُّ فورد مرّةً جمعاً ومرّةً مفرداً، فقال في وصف قصور الناكثين عن مجد

الهاشميين: (المنسرح)

وأدرِكُوا ذُونَهُ أَحَاطِي فِي حَيْثُ مَدَى الْوَابِطِينَ إِذْ لَغَبُوا (1)

أما الحظ مفرداً فجاء في تصوير حال آل البيت مع من أبقوا على جباية الجزية ممن

آمن (2)، إذ يقول: (الطويل)

وَلَيْسَ لَنَا فِي الْفَيْءِ حَظٌّ لَدَيْهِمْ وَلَيْسَ لَنَا فِي رِحْلَةِ النَّاسِ أَرْحُلٌ (3)

وجاء المرادف، نصيب، في تصوير الكميت، ولوغ اولئك في الحرام: (الطويل)

يُشَبِّهُهَا الْأَشْبَاهَ وَهِيَ نَصِيبُهُ لَهُ مَشْرَبٌ مِنْهَا حَرَامٌ وَمَأْكَلٌ (4)

وكيف، لك الله، سيكون لغيرهم نصيبٌ وحظ وهم ما همم؟!

(44)

ويتابع الكميت الإعراب عن الحب الذي تَجَدَّرَ في نفسه لآل البيت فيرادف بين بيتين

مستخدماً لفظ، عادلاً، في الأول، ومُعْتَاضٌ مُتَبَدِّلٌ، في الآخر، يقول واصفاً ذلك الحب الذي عَمَرَ

قلبه: (الخفيف)

عَادِلًا غَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ طُ — رَأَى بِهِمْ لَا هَمَّامَ بِي لَا هَمَّامَ (5)

1- البيت الثامن والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 127.

2- ينظر: الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي: أحكام القرآن، ج 3، ص 102.

3- البيت الثاني والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص 163.

4- البيت السادس عشر، الهاشمية الرابعة، ص 153.

5- البيت التسعون، الهاشمية الأولى، ص 37.

أما البيت الآخر:

(الطويل)

ولا أنا عنهم مُحدثٌ أُجَنَّبِيَّةٌ ولا أنا مُعتاضٌ بهم مُتَبَدِّلٌ (1)

و واضح كما قلنا أن الترادف قد تجاوز المفردات إلى المعنى العام للبيتين.

ومن ستعدل بهم من الناس وهم آل النبي، ومن تستبدل بهم، رحمك الله، وهم خير من يُحب.

(45)

ولكن هل تجاوز هذا الحب حد المعقول إلى حدود الافراط و المبالغة؟ ويجب الكميّة

معبراً عن المبالغة بالفاظ: أفرط، و لجّ، و أكثر و، مُغلياً، وأغرق، يقول في رده على

منتقديه لحيه آل البيت:

(المنسرح)

وقيلَ أفرطتَ بل قصَدتُ ولو عتَفَنِّي القائلونَ أو تَلَبَّوا (2)

ويفسر أبو ريش: "أفرطت: زدت في محبتهم".

ثم يُخاطب الكميّة الرسول:

(المنسرح)

لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانَ وَلَوْ أَكْثَرَ فِيكَ الضَّجَاجُ وَاللَّجْبُ (3)

ويوضح الكميّة ذلك الضجيج وتلك الجأبه، ليرادف بين مفردتين للتهديد والوعيد

فيقول:

1- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الرابعة، ص 179.

2- البيت الرابع والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 111.

3- البيت السادس والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 111.

(الطويل)

ولا صاحبَ الخيفِ الطريدِ مُحمّداً ولو أكثرَ الإيِّبَادِ لي والترهُّبُ (1)

(الخفيف)

ثم يقول في حبه للهاشميين كذلك:

لَمْ أَبِغْ دِينِي الْمُسَاوِمَ بِالوَكْـ سِ وَلَا مُغْلِيَاً فِي السُّوَامِ
أَخْلَصَ اللهُ لِي هَوَايَ فَمَا أُغْرِ قُ نَزْعَاً وَلَا تَطْشِشُ سِهَامِي (2)

إن الجواب واضح حاسم، فلا إفراط بل هو القصد، ولو نعتّه الناعتون بغير ذلك وأكثروا حوله الجلبّة والضجيج، بل لو وصل الأمر إلى الوعيد والتهديد.

(46)

واستخدم الكميّ لفظي دين وملة، فقال يصف الأمويين واتخاذهم الدين أداة لبعدهم

(الطويل)

عنه:

يَرُوضُونَ دِينَ الله صَعْباً مُحَرَّمَاً بأفواههم والرائضُ الدينَ أصْعَبُ (3)

(الطويل)

ثم يفصّل شاعر آل البيت كيف كانوا يروضون دين الله، فيقول:

وَعُظِّلَتِ الْأَحْكَامُ حَتَّى كَانْنَا عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ التِّي نَتَّحِلُ (4)

لقد اتخذوا الدين ركوبةً إلى اهوائهم التي تبعد كل البعد عن هذا الدين، حتى آل الأمر

إلى بعد كامل عنه، كما وصفهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه - (5).

1- البيت السابع بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 86.

2- البيتان الواحد والتسعون والثاني والتسعون، الهاشمية الاولى، ص 37.

3- البيت الثالث والستون، الهاشمية الثانية، ص 69.

4- البيت الرابع، الهاشمية الرابعة، ص 147.

1- ينظر: ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص 160.

ويعبر الكميت عن حبه للهاشميين من جديد حيث استخدم ألفاظاً لذلك: ولِهت، و مواليه،

ويصب، وشوقاً، يقول: (الخفيف)

ولِهت نفسي الطُّروبُ إليهم ولهاً حالَ دون طَعْمِ الطَّعامِ (1)

ويتكلم عن الثور فيستعمل الصفة من الفعل، ولة: (الطويل)

كأنَّ المطافيلَ المَوالِيهَ وَسَطَه يُجاوِبُهُنَّ الخيـزَـرانَ المُتَّقِبَ (2)

ويورد الشاعر في معرض حديثه عن حبه آل البيت، وفي وقوفه الخاص على الأطلال،

مرادفاً للولّه، الشوق، فيقول: (الطويل)

طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ ولا لعباً مني أذو الشَّيبِ يلعبُ (3)

ويتناول الكميت المعنى السابق من الشوق والحنين والصبابة، لكنها ليست كالمعهود منها، فهي لا

تجلّب العار والعيب على صاحبها، يقول: (المتقارب)

صَبَابَةٌ شوقٍ تَهيجُ الحايـمَ — مَ لا عارَ فيها على الأشيبِ (4)

وفسر الشارح الصبابة فقال: "رقة الشوق، يقال صبَّ يَصَبُّ صبابةً".

ثم يستخدم الشاعر الفعل من الصبابة، فيقول: (المتقارب)

ولست تَصَبُّ إلى الظاعنين إذا ما خلياًك لم يَصَبِّبِ (5)

1- البيت الثالث والتسعون، الهاشمية الأولى، ص38.

2- البيت التاسع والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص59.

3- البيت الأول، الهاشمية الثانية، ص43.

4- البيت الثاني، الهاشمية الخامسة، ص188.

5- البيت الخامس، الهاشمية الخامسة، ص189.

ويتحدث عن شوق الناقة، فيقول:

(الطويل)

تَرَدُّدُ النَّابِينَ بَعْدَ حَتِينِهَا صَرِيْفًا كَمَا رَدَّ الْأَغَانِي أَخْطَبَ (1)

ويفسر أبو رياش الحنين بأنه أشدُّ الشوق وأحرَقُه. ونلاحظ الترادف كذلك في التراكيب والبيت وليس في المفردة فحسب:

(المنسرح)

فِي عُقْدٍ مِنْ هَوَايَ مُحْكَمَةٍ ظُوْهَرِ مِنْهَا الْعِنَاخُ وَالْكَرْبُ (2)

لقد سمعنا حب الشاعر للهاشميين بصورة شتى عديدة تدل على تمكن هذا الحب من قلبه وعقله معاً وإلا لما برع في المحاجة والجدال عنهم وعن حقهم.

(48)

ونرى حب الكميت للهاشميين مرة أخرى حين يستخدم للتعبير عن المنع والحيلولة

(الخفيف)

كلمات عدة: يحول، ومخْظور، ويُحَلِّن، ويقدع، يقول:

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُمْ هَلْ آتَيْنَهُمْ أَمْ يَحْـُـوْلَنَّ دُونَ ذَلِكَ حِمَامِي (3)

وإذا كان شاعر آل البيت يُشْفِقُ ويخاف أن يحول الموت بينه وبين أحبائه من الهاشميين،

فإن حكام بني أمية قد حالوا فعلاً بين الحسين وآله -عليهم السلام - وبين الماء، ويقول الكميت

في ذلك:

(الطويل)

يُحَلِّنَنَّ عَنِ مَاءِ الْفُرَاتِ وَظَلَّهْ حُسَيْنًا وَلَمْ يُشْهَرَ عَلَيْهِنَ مُنْصُلَ (4)

1- البيت التاسع عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 91.

2- البيت الستون، الهاشمية الثالثة، ص 119.

3- البيت الرابع والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 38.

4- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص 165.

ويُفسر أبو ريش فيقول: "يحلتن: يمنعن، يقال: حالته أخلته تحلته إذا منعه عن الماء" ونلاحظ أن التحلته هي عن الماء بالذات، الأمر الذي أورده اللسان كذلك (1).

وبالمقابل لهذا الموقف، نرى الكميت وهو يحاجج، يأتي بالتصرف النقيض للهاشميين

الكرام، فيقول: (المقارب)

فما حالَّتني عِصِيُّ السُّقَاةِ ولا قِيلَ يا ابعَدْ ولا يا اغْرُبْ (2)

ويتحدث الكميت عن كرم الهاشميين في مكان آخر مستخدماً مرادفاً آخر كذلك

فيقول: (الطويل)

إذا نَشَاتِ مِنْهُمْ بِأَرْضِ سَحَابَةٍ فلا النَّبْتُ مَحْظُورٌ ولا البرقُ خَلْبٌ (3)

ويفسر أبو ريش فقال: "وقوله محظور أي ممنوع، والحظرُ المنع"، ويفسره محمد الرافعي فيقول: "يقول: إذا أقاموا في الارض رأيت كرمهم عظيماً، وإذا وعدوا أنجزوا" (4).

ونرى مرادفاً آخر للمنع، يورده الكميت معبراً عن الخوف على الحق ألا يأخذ مجراه

فيقول: (المقارب)

رَفَعْتُ لَهُمْ نَاطِرِي خَائِفٍ على الحَقِّ يُقَدِّعُ مُسْتَرْهَبٍ (5)

ويفسر لسان العرب القدع قائلاً: "القدع: الكف والمنع" (6).

1- بنظر: لسان العرب، (حلاً).

2- البيت العشرون، الهاشمية الخامسة، ص 191.

3- البيت الرابع والثمانون، الهاشمية الثانية، ص 78.

4- الرافعي، محمد محمود: شرح الهاشميات، ص 74.

5- البيت الثالث والثلاثون، الهاشمية الخامسة، ص 194.

6- لسان العرب، (قدع).

ويتحدث الكميت عن شجاعة الإمام علي -عليه السلام- فيرادف بين جرّد وأشهر، فيقول:

(الخفيف)

جرّد السّيفَ تارّتينِ من الدّم — على حينِ درّةٍ من صرّام (1)

أما كلمة: يُشهر، فجاء في حديثه عن الحسين -عليه السلام- ومقتله: (الطويل)

يُحلّئن عن ماء الفرات وظلّه — حسيناً ولم يُشهرَ عليهنّ مُنصل (2)

[وتلك الأيّامُ نداولها بين الناس] (3) فقد قام عليّ -عليه السلام- شجاعاً مجرّد السيف

مدافعاً عن الحق، ولكن جاء يومٌ يُمنع فيه ابنه عن الماء ولا يجد ذائباً مدافعاً.

ولكن الكميت لا يستسلم للواقع الأليم، فكما جعل الثور الوحشي ينتصر على الكلاب بدل

أن يُغلب، نراه يستعجل الأمور علّ هذه السرعة تغير ذلك الحال البئيس، فيستخدم التعبيرات

الدالة على ذلك: تُشيع، والوجيف، وهوجل، وميلع، وذِعلب و الدأب، وسريع، وسُرُح، والتعجل،

وعجل، يقول:

إن تُشيعَ بيّ المُذكرةَ الوجّ — ناءً تنفي لغامها بلغام (4)

ويفسر الشارح فيقول: "تُشيع: تعدو والتشيع السرعة في السير".

1- البيت السبعون، الهاشمية الأولى، ص32.

2- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص165.

3- سورة آل عمران، آية 140.

4- البيت الخامس والتسعون، الهاشمية الأولى، ص38.

ويتحدث الكميت عن شجاعة الإمام علي -عليه السلام- فيرادف بين جرّد وأشهر، فيقول:

(الخفيف)

جرّد السيفَ تارتين من الدهم — على حين درّة من صرام⁽¹⁾

أما كلمة: يُشهر، فجاء في حديثه عن الحسين -عليه السلام- ومقتله: (الطويل)

يُحلّئن عن ماء الفرات وظلّه — حسيناً ولم يُشهرَ عليهنّ منصل⁽²⁾

[وتلك الأيّام نداولها بين الناس]⁽³⁾ فقد قام عليّ -عليه السلام- شجاعاً مجرد السيف

مدافعاً عن الحق، ولكن جاء يومٌ يُمنع فيه ابنه عن الماء ولا يجد ذائباً مدافعاً.

ولكن الكميت لا يستسلم للواقع الأليم، فكما جعل الثور الوحشي ينتصر على الكلاب بدل

أن يُغلب، نراه يستعجل الأمور علّ هذه السرعة تُغيّر ذلك الحال البئيس، فيستخدم التعبيرات

الدالة على ذلك: تُشيع، والوجيف، وهوّجل، وميلع، وذعلب و الدأب، وسريع، وسرّح، والتعجل،

وعجل، يقول:

إن تُشيعَ بيَ المُذكرةَ الوجْ — ناءُ تنفي لغامها بلغام⁽⁴⁾

ويفسر الشارح فيقول: "تُشيع: تعدو والتشيع السرعة في السير".

1- البيت السبعون، الهاشمية الأولى، ص32.

2- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص165.

3- سورة آل عمران، آية 140.

4- البيت الخامس والتسعون، الهاشمية الأولى، ص38.

ويعبر عن سرعة الناقة بمرادف آخر، الوَجِيف: (الخفيف)

فِي حَرَايِجِ كَالْحَنِيِّ مَجَاهِدٍ — ضَ يَخْدِنُ الْوَجِيفَ وَخَدَّ النَّعَامِ (1)

و فسر الشارح الوَجِيف بالسير الذي يكون بسرعة. وطرق ذات المعنى، سرعة الناقة،

بصورة أخرى لا تقل جمالاً عن سابقتها: (الطويل)

مُنْذَرَةٌ لَا يَحْمِلُ السُّوْطَ رَبُّهَا — وَأَيًّا مِنْ الْإِشْفَاقِ مَا يَتَّعَصَّبُ (2)

فهي لا تحتاج إلى سوط تُضْرَبُ به لتسرع، بل هي سريعة بطبعها حتى أن ركبها ليجد صعوبة أن يتعصب ويتعمم خوفاً من أن يقع عنها لسرعتها. ويرادف بين المعاني والألفاظ فيتبع تلك

الصورة بأخرى لا تقل عنها تعبيراً: (الطويل)

كَأَنَّ ابْنَ أَوَى مُؤْتَقٌ تَحْتَ زَوْرِهَا — يُظْفَرُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا يُنْيَبُ (3)

تلك هي الصور التي رادف بينها الكميت تعبيراً عن السرعة أما المفردات التي ذكرنا

فأستخدم، هوجل ومِيلع، بقوله: (الخفيف)

عَنْتَرِيْسٌ شِمْلَةٌ ذَاتُ لَوْبٍ — هَوْجَلٌ مِيْلَعٌ كَتُّومٌ الْبُغَامِ (4)

ومما فسر الشارح: "وقوله ميلع: أي سريعة. ويقال ملعت الناقة تملع ملعاً أسرع"، أما الهوجل فلا يفسرها أبو رياش، أما اللسان فيقول عنها: "الهوجل: الناقة السريعة الذاهبة في سيرها" (5).

كما وصفها الكميت، بالسُرْح، في قوله:

هَوْجَاءُ كَالْفَخْلِ هَوْجَلٌ سُرْحٌ — تَتَشَقُّ عَنْهَا الْهَوَاجِرُ الذُّؤْبُ (6)

1- البيت التاسع و التسعون، الهاشمية الاولى، ص40.

2- البيت الثالث عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص88.

3- البيت الرابع عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص89.

4- البيت السادس والتسعون، الهاشمية الأولى، ص39.

5- لسان العرب، (هجل).

6- البيت المئة، الهاشمية الثالثة، ص132.

حيث يقول اللسان في تفسيرها: "وناقة سُرْح ومُسْرِحَة في سيرها أي سريعة" (1).

ويذكر الشاعر وصفاً آخر للسريعة فيقول:

(الطويل)

فَهَلْ تُبَلِّغُنِّيهِمْ عَلَى نَأْيِ دَارِهِمْ نَعْمَ بِبِلَاغِ اللَّهِ وَجَنَاءِ ذَعَلِبِ (2)

ويفسر الشارح الذعلب بالسريعة.

ويتابع الكميت مترادفات السرعة فيقول:

(المنسرح)

هَلْ تُبَلِّغُنِّيكُمْ الْمَذَكَّرَةَ الْوَجْهَ نَاءً وَالسَّيْرُ مِنِّْي الدَّأْبِ (3)

ويفسر الشارح الدأب بالسرعة كذلك.

وأتابع هذا البيت بمرادفٍ آخر، التعجل، حيث يقول:

(الطويل)

فَمَا نَفَعَ الْمُسْتَأْخِرِينَ نَكِيصُهُمْ وَلَا ضَرَّ أَهْلَ السَّابِقَاتِ التَّعَجُّلُ (4)

وقد استخدم الكميت الفعل من التعجل، في دعائه الله تعالى أن تصير الأمور إلى الهاشميين.

فقال:

(الطويل)

فِي رَبِّ عَجَلٌ مَا نَأْمَلُ فِيهِمْ لِيَدْفَأَ مَقْرُورٌ وَيَشْبَعُ مُزْمِلٌ (5)

ثم يورد مرادفاً آخر، سريع، فيقول في أمير المؤمنين، الإمام علي -كرم الله وجهه-:

1- لسان العرب، (سرح).

2- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الرابعة، ص 179.

3- البيت التاسع والتسعون، الهاشمية الثالثة، ص 132.

4- البيت الثاني والستون، الهاشمية الرابعة، ص 170.

5- البيت السادس والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص 176.

(الوافر)

حَطُوطاً فِي مَسَرَّتِهِ وَمَوْلَى إِلَى مَرَضَاةِ خَالِقِهِ سَرِيحاً (1)

ويذكر الكميت ما يدور بنفسه ويتوق إليه صراحةً، فيدعو الله تعالى أن يعجل الأمر ليأخذ الحق مجراه سواءً أكان ما يؤمّله في الهاشميين أم في أعدائهم، فما يؤمّله في الهاشميين هو صيرورة الخلافة إليهم، وفي أولئك الهلكة والنقمة كما يقول الشارح أبو رياش، فالنتيجة واحدة هي نصره الحق وأهله.

(51)

ولا شك في أن ذلك الأمل يحتاج إلى قوة وعمل، ومن هذه القوة المعنوية، وعلى رأسها الفصاحة وقوة الحجة، لذلك لم يرغب عن الكميت المحجاج اللسن أن يشير إلى ذلك،

فتناول معنى الفصاحة بمترادفين: مقاويل، و مُعَرِب، يقول: (الخفيف)

أَسَدُ حَرْبٍ غِيُوثٌ جَدِبٌ بِهَالِيهِ — لُ مَقَاوِيلُ غَيْرُ مَا أَفْدَامُ (2)

ويفسر أبو رياش المقاويل فقال: " ويقال مقاويل: ملوك، الواحد مقول... والمقول أيضاً الرجل المتكلم"، ومرة أخرى يفسر أبو رياش تفسيراً لا يناسب معنى البيت، فهو يفسر أولاً المقاويل بالملوك، وفي النهاية يقول: المقول أيضاً المتكلم، مع أن معنى البيت يشير إلى هذا المعنى بوضوح، لا سيما ورود تعبير: غير ما أفدام. ويقول اللسان في تفسير المقول:

1- البيت السابع، الهاشمية السادسة، ص196.

2- البيت السابع والعشرون، الهاشمية الأولى، ص21.

"ومقوال كمقول، قال سيبويه: هو على النسب، كل ذلك حسن القول لسن. وفي الصحاح كثير الكلام... والمقول: القيلُ بلغة أهل اليمن، قال ابن سيده: المقول والقيل الملك من ملوك حِمير يقول ما شاء"⁽¹⁾. فالكميت يصف الهاشميين في هذا البيت بالقوة المادية ثم المعنوية، فهم أسود في الحرب مقاويل فصحاء في المجالس. ثم يذكر المقول مفرداً، بعدما ذكره جمعاً، ذلك في

مطلع جولة من جولات مناظراته وحجابه السياسي فيقول مخاطباً الحكام البغاة: (الطويل)

فيا ساستا هاتوا لنا من جوابكم ففِيكُمْ لَعْمَرِي ذُو أَفَانِينِ مِقْوَلٍ⁽²⁾

وجولة أخرى من الجدَل يخاطب فيها الكميت هذه المرة آل البيت مثبتاً حقهم في الخلافة

مستعيناً على ذلك بالقرآن الكريم وآيه: (الطويل)

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً تَأْوَلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبٍ⁽³⁾

ومن جديد يفسر ابو رياش تفسيراً لا يتفق ومعنى البيت، إذ يفسر: "المُعرب: المبين أي بين الخروج معه، يقال إنه لعربي بين العرابة"، ومن الواضح أن هذا التفسير لا ينسجم مع معنى البيت؛ فالذي يتأول ويفسر الآية يكون فصيحاً وليس (بين الخروج معه). وجاء في شرح الرافعي: "والمُعرب: المبين"⁽⁴⁾. وفي اللسان: "وأعرب بحجته أي أفصح بها ولم يتق أحدًا، قال الكميت: وجدنا لكم... تقيٌّ مُعَرَّبٌ، هكذا أنشده سيبويه مكتملاً، وأورد الأزهري هذا البيت "تقيٌّ ومُعرب" وقال: تقيٌّ يتوقى إظهاره حذرًا أن يناله مكروه من أعدائكم، ومُعرب أي مُفصِّح بالحق لا يتوقاهم. وقال الجوهرى: معرب: مُفصِّح بالتفصيل وتقيٌّ ساكت عنه للتقية"⁽⁵⁾.

1- لسان العرب، (قول).

2- البيت السابع عشر، الهاشمية الرابعة، ص 153.

3- البيت التاسع والعشرون، الهاشمية الثانية، ص 55.

4- ينظر: الرافعي، محمد محمود: شرح الهاشميات، ص 40.

5- لسان العرب، (عرب).

لقد كان التغيير الحُلمَ الكبير والشغل الشاغل للكميت، تغييرٌ يعيد الأمور إلى نصابها
والحقوق إلى أصحابها وقد استخدم أربعة مترادفات لذلك، هن: رَدَّهن، و يترك، و غيَّرهن،
و ينقلِب، يقول واصفاً الإبل:

(الخفيف)

رَدَّهِنَّ الْكَلالُ حُدْباً حُدَابِيَةً — وَحَدُّ الْإِكَامِ بَعْدَ الْإِكَامِ (1)

أما المرادف، غيَّرهن، فاستخدمه في حديثه عن الأثافي:

(المنسرح)

أَنْخَنَ أُنْمَأَ فَصِرْنَ دُهُمَاءَ وَمَا غَيَّرَهُنَّ الْهِنَاءُ وَالْجَرَبُ (2)

وجاء اللفظ، ينقلِب، في قوله:

(المنسرح)

فِي مَرِنٍ يَنْتَهِي إِلَى مَرِنٍ عَنْهُ انصِرَافاً وَالْحَالُ يَنْقَلِبُ (3)

وأخيراً نجد المرادف، يترك:

(الوافر)

يُقِيمُ أُمُورَهَا وَيَذُبُّ عَنْهَا وَيَتْرُكُ جَذْبَهَا أَبْدأَ مَرِيْعاً (4)

هذا هو الهدف الذي تمناه الشاعر في التغيير الذي تغنى به، أن تستقيم الأمور وتجد من
يُذِبُ ويدفع عنها، ليستحيل الجذب خصباً مريعاً.

1- البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الأولى، ص39.

2- البيت السابع، الهاشمية الثالثة، ص102.

3- البيت الثاني والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص117.

4- البيت العشرون، الهاشمية السادسة، ص 199.

إن التعب بأشكاله وألوانه، قد أفضّ مضجع الشاعر وهو يرى الأمور تسير من سيء إلى أسوأ، والظلم يبطش بالحق الذي لا يجد من يدفع عنه أو يزود، مع أن أهل هذا الظلم قد أعياهم السعي إلى المجد دونما جدوى ليبقى نصيبهم التعب لا غير، وقد عبّر الكميت عن معنى التعب بمترادفات عدة: الكلال، وأكل، وحسرى، ولُغِب، ولغبوا، ونَصَب، ومُنْصَب، و وَصَب، ومُتَعِب، وعناء، والأين، وأعيى، يقول:

(الخفيف)

رَدَّهْنِ الْكَلالُ حُدْباً حَدَابِيَةً — رَوَّحَهُ الْإِكَامَ بَعْدَ الْإِكَامِ (1)

ويفسر أبو ريش الكلال بالتعب والعناء.

(الطويل)

ويستخدم من الكلال فعلها، أكل، فيقول:

أَذَلِكَ لَا بَلَّ تَيْكَ غِيبٌ وَجِيفِهَا إِذَا مَا أَكَلَّ الصَّارِخُونَ وَأَنْقَبُوا (2)

ويفسر أبو ريش فيقول: "أكل من الكلال وهو التعب والجهد".

ومثل أكل، الفعل، أعيى، الذي استعمله في الإشارة إلى ولاية الإمام علي -عليه السلام-:

(الوافر)

وَأَصْنَفَاهُ النَّبِيُّ عَلَى اخْتِيَارٍ بِمَا أَعْيَى الرَّفُوضَ لَهُ الْمُذِيْعَا (3)

(الطويل)

ونجد مرادفين اثنين في بيت يصف حكام بني أمية:

إِذَا قِيلَ هَذَا الْحَقُّ لَا مَيْلَ دُونَهُ فَأَنْقَاضُهُمْ فِي الْغِيِّ حَسْرَى وَلُغِب (4)

1- البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الأولى، ص39.

2- البيت السابع والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص98.

3- البيت الثامن، الهاشمية السادسة، ص197.

4- البيت السبعون، الهاشمية الثانية، ص73.

ويأتي كذلك بالفعل من، لُغِب، في حديثه عن قصور الأمويين عن مجد بني هاشم،

فيقول:

(المنسرح)

وأدركوا دونَهُ أَحَاطِي فِي حَيْثُ مَدَى الْوَابِطِينَ إِذْ لَغَبُوا (1)

ويصف الكميت سياسة بني أمية مع آل البيت ومن شايِعَهُمْ إِذْ يَعْمَدُونَ إِلَى إِرْهَاقِهِمْ وَالتَّكْيِيلِ بِهِمْ،

فيقول:

(الطويل)

لَنَا قَائِدٌ مِنْهُمْ عَنيفٌ وَسَائِقٌ يَحْمُمُنَا تِلْكَ الْجَرَائِمُ مُتَعَبٌ (2)

ويحاول الكميت ويُنَاطِرُ مُسْتَعِينًا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَآيِهِ فِي إِثْبَاتِ حَقِّ الْهَاشِمِيِّينَ بِالْأَمْرِ،

فِيسْتَعْمِدُ، النَّصَبَ، فَيَقُولُ:

(الطويل)

وَفِي غَيْرِهَا آيَا وَآيَا تَتَابَعَتْ لَكُمْ نَصَبٌ فِيهَا لِذِي الشُّكِّ مُنْصَبٌ (3)

ومرادف آخر، الوَصَبَ، يقول:

(المنسرح)

فِي كِنِّ أَرْطَاتِهِ يَلُودُ بِهَا ضَمِيْقًا قِرَاهُ السُّهَادُ وَالْوَصَبُ (4)

أما، الأَيْنَ، فجاء في قوله:

(المنسرح)

تَحْمِلُ كِيرَانَهُمْ عَلَى الْأَيْنِ وَالْ— فَنَتْرَهُ مِنْهَا الْأَيَانِقُ الشُّزْبُ (5)

و يفسر أبو رياش الأَيْنَ بالإعْيَاءِ.

وفي معرض احتجاجه ومناظرته النابغة من الإقناع العقلي يشير الكميت إلى حُكَّام

1- البيت الثامن والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 127.

2- البيت السادس والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 59.

3- البيت الثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 56.

4- البيت السابع بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 135.

5- البيت السابع عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 139.

بني أمية واصفاً حكمهم، بالعناء، فيقول:

(الطويل)

فَتَكَ وَلاَةَ السُّوءِ قَدْ طَالَ مُلْكُهُمْ فَحَتَّامَ حَتَّامِ الْعَنَاءِ الْمُطَوَّلِ (1)

إن التعب، لكثرتة وشيوعه، قد تجاوز الشاعر لينال ما حوله، فقد طال الناقاة كما وصل الثور، لكنه مع ذلك التعب والوصب قد انتصر وغلب الكلاب، فمتى سينتهي ذلك الملك ليوضع حد لهذا العناء الطويل.

(54)

ونلاحظ في البيت الأخير من هذه المجموعة استخدام الكمية لتعبير (ولاة السوء)، وقد استطعت أن أقف على مجموعة من التعبيرات المترادفة، تكلم فيها الشاعر على أولئك فيقول:

(الخفيف)

قَتَلَ الْأَدْعِيَاءَ إِذْ قَتَلُوهُ أَكْرَمَ الشَّارِبِينَ صَوَّبَ الْغَمَامَ (2)

(الطويل)

فِيَا سَاسَتَا هَاتُوا لَنَا مِنْ جَوَابِكُمْ فَمَيْكُمُ لَعَمْرِي ذُو أَفَانِينَ مَقُولِ (3)

ويفسر الشارح قائلاً: "أراد ساسة الناس يعني القيام بأمورهم، وهذا أعلى جهة الهُزء بهم".

(الطويل)

ويقول عن حكام بني أمية:

لَنَا رَاعِيَا سَوِّءٍ مُضِيْعَانِ مِنْهُمَا أَبُو جَعْدَةَ الْعَادِي وَعِرْفَاءُ جِيَالِ (4)

وقد فسر الشارح فقال: "راعيَا سَوِّءٍ يعني هشاماً وخالداً بن عبد الله القسري، وكانا على العراق". ويصفهم الكمية كذلك بالذؤبان:

(الطويل)

تَهَافَتَ ذُؤْبَانُ الْمَطَامِعِ حَوْلَهُ فَرِيقَانِ شَتَّى نُو سِلَاحٍ وَأَعَزَلُ (5)

- 1- البيت البيت الواحد والثلاثون الهاشمية الرابعة، ص 160.
- 2- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الرابعة، ص 153.
- 3- البيت السابع عشر، الهاشمية الرابعة، ص 153.
- 4- البيت الثاني والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 155.
- 5- البيت السابع عشر، الهاشمية الرابعة، ص 153.

ويشرح أبو ريش فيقول: "وذؤبان المطامع: أصحاب يزيد -لعنه الله- ؛ لأنهم طمعوا في عَرَض الدنيا، شبههم بالذؤبان في خِسْتهم وطمعهم ووقعهم في الأشياء".

(55)

ومع كل ما لقيه آل البيت -عليهم السلام- من قسوة العتاة القساة، ورغم ما عاشه الشاعر من تلك القسوة، إلا أن الرأفة والرحمة تبقى عنواناً للهاشميين ومن يمت إليهم بسبب، وفي تناوله لهذا المعنى رادف الكميت بين: الأرفون، و رأفة، و شفقاً، ويكتفن، ورئم، وأشبلا، وتحدّب، ومُعطّفات، يقول:

(الخفيف)

وَهُمُ الْأَرْفُونَ بِالنَّاسِ فِي الرَّأفِ وَالْأَحْلَمُونَ فِي الْأَحْلَامِ (1)

(الطويل)

ويستخدم الرأفة ثانية مع مرادف آخر، الشفقة:

لَهُ عُوْدٌ لَا رَأْفَةَ يَكْتَفِنُهُ وَلَا شَفَقًا مِنْهَا خَوَامِعُ تَعْتَبُ (2)

(الخفيف)

وفي كلامه عن الإبل يأتي بمرادف آخر:

يَكْتَفِنُ الْجَهِيضَ ذَا الرَّمَقِ الْمُغْـ جَلٍ بَعْدَ الْحَنِينِ بِالْإِرْزَامِ (3)

ويفسر الشارح، يكتفن: يعطفن عليه من كل وجه. كما استخدم مترادفات ثلاث حين وصف موقف الهاشميين من دعوة الرسول، فقال:

(الطويل)

وَهُمْ رِيْمُوهَا غَيْرَ ظَارٍ وَأَشْبَلُوا عَلَيْهَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَتَحَدَّبُوا (4)

ويفسر الشارح قائلاً: "أي ريموا دعوة الرسول إلى الإسلام أي قبلوها وعطفوا عليها...

وأشبلا: أشفقوا... وتحذبوا: أشفقوا". كما استخدم الشاعر، مُعَطّفات، في صورة معبرة للأثافي

1- البيت الواحد والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 25.

2- البيت السابع والتسعون، الهاشمية الثانية، ص 83.

3- البيت المئة، الهاشمية الأولى، ص 40.

4- البيت الرابع والخمسون، الهاشمية الثانية، ص 65.

ويُفسر الشارح قائلاً: " أي رُمُوا دعوة الرسول إلى الإسلام أي قبلوها وعَطَفُوا عليها...
وأشبلوا: أشفقوا... وتحذبوا: أشفقوا ". كما استخدم الشاعر، مُعْطَفَات، في صورة معبرة للأثافي

تعطف على الرماد: (المنسرح)

جُرْدَ جِلَادَ مُعْطَفَاتٍ عَلَى الْـ أورو لا رِجَعَةً ولا جَلْبَاب (1)

وُفسر الشارح فقال: " لا رجعة أي لا تُرَدُّ إلى البيت تُشْتَرَى، ولا جلب: أي لا تُجلب من البادية إلى السوق ".

لقد جعل الكميّ حتى الأثافي رحيمةً، ولم لا وهو الذي تربي على أخلاق النبوة وفي ظلال قوله تعالى مخاطباً رسول الكريم: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ] (2)، فالرحمة من أسس هذا الدين.

(56)

ومن التراحم والتعاطف الذي اتصف به أهل البيت، التزاور وقد رادف الكميّ بين الضيف والزائر، فقال في نهاية رحلته زائراً الرسول:

يَقْضِ زَوْراً هُنَاكَ حَقَّ مَزُورِيـ من وَيَحْبُ السَّلَامَ أَهْلَ السَّلَامِ (3)

ويُفسر الشارح الزور بالزائر. وقال عن الثور:

فِي كِنِّ أُرْطَاتِهِ يَلُودُ بِهَا ضَيْفًا قِرَاهُ السُّهَادُ وَالْوَصَابُ (4)

إن الثور يلجأ إلى هذه الشجرة يقات السهاد والتعب والنصب لاغير.

1- البيت الخامس، الهاشمية الثالثة، ص101.

2- سورة آل عمران، آية 159.

3- البيت الثالث بعد المئة، الهاشمية الأولى، ص42.

4- البيت السابع بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص135

ومن الرحمة كذلك العطاء والهبة، ورادف الكميت بين ثلاثة ألفاظ لهذا المعنى: يَحْبُ، و

وهبوا، ويعطي، يقول: (الخفيف)

يقض زوراً هناك حقّ مزورياً — من ويحبُّ السلامَ أهل السلام (1)

وفي حديثه عن الهاشميين ومدحهم، يقول: (المنسرح)

والعارفون الحقّ للمدبّ به والمستقلّون كثير ما وهبوا (2)

أما المرادف الأخير، يعطي، فوقع في حديثه عن فدك والصحابيين الجليلين أبي بكر

وعمر رضي الله عنهما - فهو لا يشتمهما لأن موقفه معتدل غير متشدد؛ فهو زيدي يقول

بإمامة المفضول مع وجود الأفضل (3)، يقول: (البسيط)

ولا أقول وإن لم يعطياً فدكاً — بنت الرسول ولا ميراثه كفّرا (4)

فالشاعر لا يكفر أبا بكر وعمر - عليهما السلام - على عادة الغلاة من الشيعة.

ومن جولات الكميت مع الهاشميين مادحاً، يتوجه إلى الله تعالى بالمناجاة، مبتغياً النصر

على أولئك، ويستخدم مترادفات عدة للطلب والاستزادة: تُخطب، و يُطلب، و أُطلب، و يروم،

ويبتغي، وقرب، ومستزاد، يقول الشاعر على تلك الفئة: (الطويل)

وإن زوّجوا أمرين جوراً وبذعةً — أناخوا لأخرى ذاتٍ ودقّين تُخطب (5)

1- البيت الثالث بعد المئة، الهاشمية الأولى، ص 42.

2- البيت التاسع والستون، الهاشمية الثالثة، ص 122.

3- ينظر: ضيف، شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 283.

4- البيت الثاني، الهاشمية الثامنة، ص 202.

5- البيت السادس والستون، الهاشمية الثانية، ص 71.

وفسر أبو رياش قائلاً: " وتُخَطَّب: تضاف إلى غيرها " لكن الرافعي يفسر تفسيراً أقرب، فيقول:
"وتُخَطَّب أي تُطَلَّب"⁽¹⁾، إلا أن بالإمكان الجمع بين القولين: تُطَلَّب لتُضاف إلى غيرها

ويقول شاعر الهاشميين مادحاً: (الطويل)

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطَلَّبُ⁽²⁾
وفي بيت آخر يستخدم لفظ، يَرُومُ، حين تكلم عن قعد بهم سعيهم إلى المجد فلم يبلغوا
مجد آل البيت، وأنى لهم ذلك: (المنسرح)
إذ دونه للمرشحين ذوي الـ غلّة ممن يرومه لغب⁽³⁾

ويقول أبو رياش يفسر البيت: "الأموي: المرشحون أراد الصغار، وذو الغلّة أي لا يكونون
تهيأوا لذلك".

وفي توجهه إلى الله تعالى يطلب النصر على أولئك، استخدم الشاعر مرادفاً آخر من هذه
المترادفات، نبتغي، فقال: (الطويل)

فيا رب هل إلا بك النصر نبتغي عليهم وهل إلا عليك المعول⁽⁴⁾
وفي وصف الكميّ للهاشميين بشروط الإمام عند إمامه زيد -عليه السلام- وهي هنا الكرم،
يقول: (المتقارب)
مواهب للمنفيس المستزاد لأمثاله حين لا مؤهب⁽⁵⁾

وفسر الشارح المستزاد بالمطلوب. فهم لكرمهم وسخائهم يهبون ويعطون الشيء النفيس
المطلوب حين لا يكون للباذلين له ولأمثاله وجود، فهم منفردون بهذا الكرم.

1- الرافعي، محمد محمود: شرح الهاشميات، ص45.

2- البيت الخامس، الهاشمية الثانية، ص 45.

3- البيت السادس والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص126.

4- البيت الثالث والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص164.

5- البيت الخامس عشر، الهاشمية الخامسة، ص 190.

وفسر اللسان المؤهّب فقال: "ويقال للشّيء إذا كان مُعدّاً عند الرجل مثل الطعام: هو مُوهّب،
بفتح الهاء"⁽¹⁾. وصفة أخرى من صفات الهاشميين، هي العلم والحكمة، فهم: (المنسرح)

إن أصدرُوا الأمرَ أصدروه معاً أو أوردوا أبلّغوه ما قرّبوا⁽²⁾
ويقول اللسان في شرحه للكلمة: "وقربوا: طلبوا وهو من قرّب الماء... والقرّب طلب الماء
ليلاً... قال الخليل: والقارب طالب الماء ليلاً، ولا يقال ذلك لطالب الماء نهاراً، وفي التهذيب:
القارب الذي يطلب الماء ولم يعين وقتاً"⁽³⁾.

(59)

و يعبر شاعر الهاشميين من جديد عن حبه لهم، مخاطباً تارة، ومتكلماً عليهم تارة
أخرى، فجاء بمتراذفات تدل على الجماعة من الناس: نفر، ورهط، وآل، وطائفة، وشيعة، يقول
الكميت:
إلى النَّفَرِ البِيضِ الذين بحُبهم إلى الله فيما نابني أتقرب⁽⁴⁾
(الطويل)

ويتابع مرادفاً متحدثاً عن الهاشميين، فيقول:
(الطويل)

بني هاشمٍ رَهْطِ النبيِّ فإنني بهم ولهم أرضى مِراراً وأغضب⁽⁵⁾

ويرادف بلفظٍ آخر فيقول:
(الطويل)

إليكم ذوي آل النبيِّ تطلعت نوازغ من قلبي ظمَاءً وأنب⁽⁶⁾

1- لسان العرب، (وهب).

2- البيت الثاني والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 125.

3- لسان العرب، (قرب).

4- البيت السادس، الهاشمية الثانية، ص 45.

5- البيت السابع، الهاشمية الثانية، ص 46.

6- البيت التاسع عشر، الهاشمية الثانية، ص 51.

ثم يرادف بأخرى قائلاً:
(الطويل)
فطائفةٌ قد أكَفَرْتَنِي بِخُبْرِكُمْ وطائفةٌ قالوا مُسِيءٌ ومُذْنِبٌ (1)

وعن آل بيت النبي، يقول:
(الطويل)
ومَنْ غَيْرَهُمْ أَرْضَى لِنَفْسِي شِيعَةً ومَنْ بَعْدَهُمْ لَأَمَنْ أَجَلٌ وَأَرْجُبٌ (2)
يقول لسان العرب: "والشِيعَةُ: الفرقة" (3).

(60)

إن المحب لا يكف عن الحديث عمّن يحب، فمن جديد يتكلم الكميت عن الذين ملأ حبهم قلبه، فيرادف بين ثلاثة ألقابٍ لمعنى الغضب: أغضب، وسخط، وحفيظة، يقول عن علاقته بآل البيت وحبهم لهم وتعلقه بهم:
(الخفيف)
ما أبالي ولن أبالي فيهم أبداً رَغَمَ سَاخِطِينَ رَغَامٌ (4)
ويقول عليهم كذلك:
(الطويل)
بني هاشمٍ رَهَطِ النَّبِيِّ فَإِنِّي بهم ولهم أرضى مِراراً وأغضب (5)
ثم يذكر، الحفيظة مرادفاً آخر، فيقول عن الثور:
(المنسرح)
ثم ارعوى حين أفرخ الروغ فا ستخرج منه الحفيظة الغضب (6)

1- البيت الثاني والعشرون، الهاشمية الثانية، ص 53.

2- البيت السابع عشر، الهاشمية الثانية، ص 51.

3- لسان العرب، (شيع).

4- البيت السابع والستون، الهاشمية الأولى، ص 36.

5- البيت السابع، الهاشمية الثانية، ص 46.

6- البيت الثالث عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 137.

ويفسر الشارح: "الحفيظة: المحافظة على ما يجب عليك حمايته... والحفيظة: الغضب" ويفسر اللسان فيقول: "و الحفيظة: الغضب لحرمة تُنتهك من حرّماتك... والحفيظة والحفيظة: الغضب"⁽¹⁾.

(61)

وصورة جديدة من صور حبه لآل البيت، يصورهم فيها الملجأ والمفزع الذي يفزع الناس إليه ويلتجئون إذا ما حزبه أمرٌ، أما هو فعلى العكس من الناس، إنه المَجْن الذي يحامي ويدافع عنهم؛ فهم أحبته متناسياً متجاهلاً ما يلاقي في هذا السبيل من عنتٍ وعناء، ويرادف في هذا بين: مَجْن، وجُنَّة، ومَعْقِل، ومفزع، وملاذ، وموئل، فقال يصف نفسه بالمَجْن يدافع عن آل البيت:

(الطويل)

وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَوْلَاكَ وَهَوْلَا
مَجْنًا عَلَى أَنِّي أُنْمِ وَأُقْصَبُ⁽²⁾
ثم يصف التمسك بالدنيا:
وَنَحْنُ بِهَا الْمُسْتَمْسِكُونَ كَأَنَّهَا
(الطويل)
لَنَا جُنَّةٌ مِمَّا نَخَافُ وَمَعْقِلُ⁽³⁾

ويفسر الشارح قائلاً: "الجُنَّة: ما يجنك ويسترك"، ويقول اللسان: "والجُنَّة: السُّترة... والمَجْنَّة: الموضع الذي يُستتر فيه... والجُنَّة الوقاية"⁽⁴⁾، ويفسر الشارح المعقِل بالحرز، في حين يفسره اللسان: "وفلانٌ معقِلٌ لقومه: أي ملجأ على المثل،"⁽⁵⁾، والإزاء الذي يُصلح أمرهم. ويصف الكميت الحسين - عليه السلام - بالملجأ والمفزع، إليه يفزع الناس ويأوون، فيقول:

1- لسان العرب، (حفظ).

2- البيت التاسع، الهاشمية الثانية، ص 47.

3- البيت السابع، الهاشمية الرابعة، ص 148.

4- لسان العرب، (جنن).

5- المصدر السابق، (عقل).

(الطويل)

إلى مَفزَعٍ لَنْ يُنَجِّيَ النَّاسَ مِنْ عَمِيٍّ وَلَا فِتْنَةً إِلَّا إِلَيْهِ التَّحْوِيلُ (1)

ويقول أبو ريش مفسراً: "والمفزع: الحسين بن علي -رضوان الله عليهما-، أما اللسان فيقول: "وَفَزِعَ إِلَيْهِ: لجأ، فهو مَفزَعٌ لمن فَزِعَ إليه أي ملجأ لمن التجأ إليه. والمفزع والمفزعة الملجأ" (2).

ثم يجعل الهاشميين عامة الملجأ والملاذ والموئل:

(الطويل)

إلى الهاشميين البهاليلَ إنهم لَخائفنا الرَّاجي مَلاذٌ وموئلٌ (3)

وفسرها الشارح فقال: "والموئل: الملجأ يعتصمون به، ومثله الملاذ".

واستخدم الشاعر الفعل من الملاذ فقال عن الثور:

(المنسرح)

فِي كِنِّ أَرْطَاتِهِ يَلُودُ بِهَا ضَيفاً قِرَاهُ السُّهَادُ وَالْوَصَبُ (4)

ويذكر الشاعر مرادفاً للفعل يلود، حين يحث الناس على الالتجاء إلى الهاشميين مفزعاً

(الطويل)

وملجأ مما يكتنفهم من المصائب والدواهي:

أَلَا يَفزَعُ الْأَقْوَامُ مِمَّا أَظْلَهُمْ وَلَمَّا تَجَنَّهُمْ ذَاتُ وَنَقَّيْنِ ضِئْبِلِ (5)

ويقول اللسان: "فَزِعَ إِلَيْهِ: لجأ" (6).

1- البيت السبعون، الهاشمية الرابعة، ص 174.

2- لسان العرب، (فزع).

3- البيت الواحد والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص 174.

4- البيت السابع بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 135.

5- البيت الثامن والستون، الهاشمية الرابعة، ص 173.

6- لسان العرب، (فزع).

ويستخدم الكميت هذه المرة ألفاظ العداوة في حديثه عن حُبه لآل البيت، مرادفاً بين:

عداوة، وبُغْض، وبُغْضَة، وينصب، ويعادي، يقول: (الطويل)

فما ساعني قولُ امرئٍ ذي عداوةٍ بعوراءٍ فيهم يجتديني فيجذبُ⁽¹⁾

ثم يجمع العداوة مع البغض بصورة أخرى، فيقول: (الطويل)

أسلم ما تأتي به من عداوةٍ وبُغْضٍ لهم لا جيز بل هو أشجب⁽²⁾

ويأتي بالبغض والبعد معاً متحدتاً عن بني أمية: (الطويل)

أجوا ولجوا في بعادٍ وبُغْضَةٍ فقد نشبوا في حبلٍ غيٍّ وأنشبوا⁽³⁾

ويفسر أبو ريش البعاد بالمباعدة والبُغْضَة.

و مرادفٌ آخر نجده في كلام الكميت عن العداوة للهاشميين: (الطويل)

وأحمِلُ أحقادَ الأقاربِ فيكمُ ويُنصبُ لي في الأبعدين فأنصبُ⁽⁴⁾

ويفسر لسان العرب النصب فيقول: "وناصبه الشر والحرب والعداوة مناصبةً: أظهره له

ونصبه... ويقال: نصب فلان لفلان نصباً إذا قصد له وعاداه وتجرد له"⁽⁵⁾.

إن الكميت ليتحمل من الأقارب الحقد الخفي، ومن الأباعد العداوة المعلنة، ولكن ذلك لا

يسوؤه فهو في شغلٍ شاغلٍ عما يقولون ويفعلون، لأنه مشغولٌ بحبه لآل البيت وكفى.

1- البيت الحادي عشر، الهاشمية الثانية، ص 48.

2- البيت الرابع عشر، الهاشمية الثانية، ص 49.

3- البيت السابع والستون، الهاشمية الثانية، ص 71.

4- البيت السابع والعشرون، الهاشمية الثانية، ص 55.

5- لسان العرب، (نصب).

وفي مجموعةٍ جديدةٍ من الأبيات، يعبر الكميّ عن معنى المِلْكِيَّة، فنرى من جديد الحب
لآل البيت الذي يعمر قلبه، واستخدم لهذا المعنى مترادفات: ربُّها، و أهلها، وآل، وذو،
وصاحب، فقال:

(الخفيف)

وسمِّي النَّبِيَّ بالشَّعْبِ ذِي الْخَيْبِ فِطْرِيذِ الْمُحِلِّ بِالْإِحْرَامِ (1)

(الطويل)

وقال مرادفاً بلفظ، صاحب:

ولا صاحِبَ الْخَيْفِ الطَّرِيدِ مَحْمَداً ولو أَكْثَرَ الْإِيعَادِ لِي وَالتَّرْهُبِ (2)

وقد عبر الشاعر عن الطريد بأسلوبين: طريد المحل بالإحرام، والطريد، كما رادف بين سمي
النبي ومحمد. ونلاقي مرادفاً آخر هو، ربُّها:

(الطويل)

مُذَكَّرَةٌ لا يَحْمِلُ السُّوْطَ رَبُّهَا ولأباً من الإشفاقِ ما يتعصَّب (3)

(المنسرح)

كما رادف بكلمة، أهلها، حين قال:

ما لي في الدَّارِ بعد ساكنها ولو تَذَكَّرْتُ أَهْلَهَا رَبِّ (4)

(الطويل)

ثم مرادفاً آخر هو، آل:

ألم تَرِنِي في حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ أرواح وأغدو خانفاً أترقب (5)

1- البيت الثامن والسبعون، الهاشمية الأولى، ص35.

2- البيت السابع بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص86.

3- البيت الرابع عشر، الهاشمية الثالثة، ص105.

4- البيت السابع بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص135.

5- البيت الخامس والسبعون، الهاشمية الثانية، ص75.

ويظهر السر وراء هذا الحب العظيم لآل البيت، إنه التأثر بالقرآن الكريم كتاب الله العظيم (أروح وأغدو خائفاً أترقبُ)، لقد انغرس القرآن في نفس الكميت فأنبت هذا النبات الطيب، الحب والتفاني من أجل آل بيت النبي.

(64)

وللاجتماع والانضمام مترادفات عدة يسوقها الكميت مادحاً الرسول، ومتحدثاً عن تلك الفنة، وعن ناقته كذلك: ضمّ، واجتمعت، ومتحزب، واعصّصبت، يقول الشاعر متوعداً المبغضين لآل البيت بالندم يوم لا ينفع الندم: (الطويل)

ستقرع منها سنّ خزبان نادم إذا اليوم ضمّ الناكثين العصصبت (1)

ويخاطب الكميت الرسول، فيقول: (الطويل)

بك اجتمعت أنسابنا بعد فرقة فنحن بنو الإسلام ندعى ونسب (2)

ويتكلم الكميت عن بني أمية فيأتي بمرادفٍ آخر: (الطويل)

وقد درسوا القرآن وافتلجوا به فكلهم راضٍ به متحزب (3)

حيث يفسر أبو رياش المتحزب بالمجتمع.

ويستعمل الكميت مرادفاً آخر متحدثاً عن الناقة: (الطويل)

إذا اعصّصبت في أينق فكانما بجزرة أخرى في سواهن تضرَب (4)

1- البيت الخامس عشر، الهاشمية الثانية، ص50.

2- البيت الواحد والأربعون، الهاشمية الثانية، ص60.

3- البيت الثاني والسبعون، الهاشمية الثانية، ص74.

4- البيت السابع عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص90.

وفسر أبو رياش: "اعصوبت: اجتمعت".

فإذا كان الوعيد بالعارض المكلل بالرجال والسلاح، كما يقول الشارح، فلا بد أن تكون

الناقة مناسبة لتلك المهمة، نشيطة قوية.

(65)

وانطلاقاً من حب الشاعر الذي تجذر في نفسه لآل البيت فقد سماهم بأسماء شتى: آل

أحمد، و آل النبي، ورهط النبي، وآل محمد، وآل هاشم، وبني هاشم، والهاشميين، وأسرة

الصادق، وأهل الفضائل والنهي، والنفر البيض، فقال في وقوفه المتفرد على الأطلال، جاعلاً

هواه للهاشميين لا للأحلام ولا للنساء:

(الخفيف)

بل هوأي الذي أجنُّ وأبدي لبني هاشمٍ فروع الأنام⁽¹⁾

(الطويل)

ثم يؤكد بثلاثة أبياتٍ متتالية على هذا المعنى:

وخير بني حواء والخير يُطلب

إلى الله فيما نابني أتقرب

بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب⁽²⁾

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي

إلى النفر البيض الذين بحبهم

بني هاشمٍ رهط النبي فإبني

فهم أصحاب الفضائل كافة، تلك الفضائل التي تؤهلهم لإمامة وقيادة الأمة، لا أولئك الذين أعياهم

السعي ولم يصلوا مجد هؤلاء الأماجد.

وإذا كان الهاشميون كذلك، فلا غرو ولا عجب أن يصرح الكميّ فيقول: (الطويل)

وما لي إلا مشعب الحق مشعب⁽³⁾

فما لي إلا آل أحمد شيعه

1- البيت الثالث، الهاشمية الأولى، ص12.

2- الأبيات الخامس والسادس والسابع، الهاشمية الثانية، ص45.

3- البيت السادس عشر، الهاشمية الثانية، ص50.

وفعل أولئك فعلتهم، فقتلوا الحسين -عليه السلام- وكوكبة من آل بيته،

فقال:

(الطويل)

فيا لكَ لَحْمًا لَيْسَ عَنْهُ مُذَبَّبٌ (1)

قَتِيلٌ بِجَنَبِ الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

(الطويل)

وَأَسْمٍ آخَرَ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ:

جَنِيبٌ بِحَبِّ الْهَاشِمِيِّينَ مُضْحَبٌ (2)

وَلَا ابْتَنِيهِ عَبْدَ اللَّهِ وَالْفَضْلَ إِنِّي

إن هذا الحب ليبدو كأوضح ما يكون في كلمات الشاعر وهو يتحدث عن أحبته من آل

بيت النبوة، غير مبالٍ باللائمين حتى أصبح خائفاً يترقب، إلى أن طالته يد الغدر فاغتالته لينضم

إلى القافلة الطويلة من ضحايا تلك الفئة.

(66)

وفي ظل هذا التعظيم والتبجيل للهاشميين، نلتقي بألفاظٍ ثلاثة مترادفة لمعنى الهيبة

(الطويل)

والتعظيم: أَجَلٌ، و أَرْجُبُ، وتتهيبُ، يقول الكميّ:

وَمَنْ بَعْدَهُمْ لَا مَنْ أَجَلٌ وَأَرْجُبٌ (3)

وَمَنْ غَيْرَهُمْ أَرْضَى لِنَفْسِي شَيْعَةً

ويفسر الشارح قائلاً: "ومن أجل وأرجب: أي ليس بعدهم أحدٌ أعظمه... ويقال رجبته أي هبته

(الطويل)

وعظمته". واللفظ الثالث ورد في قوله:

تَخَطَّى وَلَا ذَا هَيْبَةٍ تَتَهَيَّبُ (4)

كَذَاكَ الْمَنَائِيَا لَا وَضِيْعًا رَأَيْتَهَا

1- البيت الثاني بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 85.

2- البيت السادس بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 86.

3- البيت السابع عشر، الهاشمية الثانية، ص 86.

4- البيت التاسع بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 87.

ويُفسر لسان العرب: "الهيئة: المهابة، وهي الإجلال... يقال هَبَّ النَّاسَ يَهَابُوكَ، أَي وَقَّرَهُمْ يَوْقَرُونَ" (1).

(67)

وكما للطبائع وأصحابها أنواع وأنواع فإن لها كذلك أسماء مترادفات استخدم الكميت منها: خلائق، وضريبة، وسجيات، وشيمة، يقول الكميت عما ابتدعه حكام بنس أمية: (الطويل)

أَرِيبُ رِجَالاً مِنْهُمْ وَتُرَيْبُنِي خَلَائِقُ مِمَّا أَحَدَثُوا هُنَّ أَرِيبٌ (2)

ولما كانت خلائقهم تريب الشاعر، فإن حبه وهواه لآل البيت هو العادة والضريبة عنده فيقول: (الطويل)

عَلَى ذَاكَ أَجْرِيَّايَ فَيَكُمُ ضَرِيبَتِي وَلَوْ جَمَعُوا طُرّاً عَلَيَّ وَأَجَابُوا (3)

ويُفسر الشارح: "وقوله ضريبتي: أي طبيعتي"، ويقول اللسان: "الضريبة الخليفة... والضريبة: الطبيعة والسجية" (4).

ويخاطب الكميت الرسول، قائلاً: (المنسرح)

أَجْرُكَ عِنْدِي مِنَ الْأَوْدِ لِقُرْبَاكَ سَجِيَّاتُ نَفْسِي الْوُطْأُ (5)

وُفسر الشارح السجيات بالطبائع، والواحدة سجية.

وأخيراً يأتي الشاعر، بالشيمة، مرادفاً إذ يقول:

1- لسان العرب، (هيب).

2- البيت الثامن عشر، الهاشمية الثانية، ص51.

3- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الثانية، ص54.

4- لسان العرب، (ضرب).

5- البيت التاسع والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص118.

(البسيط)

نفسى فداءً الذي لا الغدرُ شيمتهُ ولا المعاذيرُ من بخلٍ وتقليل (1)
وفسر الشارح الشيمة بالخلق.

(68)

ثم يتكلم الشاعر على أولئك، وقد ورد أن معاوية، "هو أول من أمر بهدايا النيروز والمهرجان، واتخذ المقاصير في الجوامع، وأول من قتل مسلماً صبراً حِجْراً وأصحابه، وأول من أقام على رأسه حرساً،" (2)، فيقول مرادفاً بين الإحداث والابتداع: (الطويل)

أريبُ رجالاً منهم وتريبي خلّيقُ مما أحدثوا هُنَّ أريب (3)
ثم يقول عن بدعهم: (الطويل)

كما ابتدَع الرُهبانُ ما لم يَجِئ به كِتابٌ ولا وَخِي من الله مُنزلٌ (4)
وفي نفس السياق يرادف الكميت بين البدعة والمحدثات: (الطويل)

لهم كُلُّ عامٍ بدعةٌ يُحدِثونها أزلّوا بها أتباعهم ثُمَّ أوحلّوا
وعيبٌ لأهلِ الدينِ بَعْدَ ثباته إلى مُحدثاتٍ ليس عنها التَّنَقُّل (5)
واستخدم الكميت كذلك الفعل، أجنب: (الطويل)

فإني عن الأمرِ الذي تكَرّهونَه بقولي وفِعلي ما استَطَعْتُ لأجْنِب (6)

وفسر أبو رياش فقال: "أي أجنب الأمر الذي تكرهونه بالقول والفعل".

1- البيت السادس، الهاشمية السابعة، ص 201.

2- يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش كتاب: الاصابة في تمييز الصحابة، مج 3، ص 400

3- البيت الثامن عشر، الهاشمية الثانية، ص 51.

4- البيت التاسع والثلاثون، الهاشمية الرابعة، ص 162.

5- البيتان السابع والثلاثون والثامن والثلاثون، الهاشمية الرابعة، ص 161.

6- البيت العشرون، الهاشمية الثانية، ص 52.

ثم قال عن آل البيت:

(الطويل)

ولا أنا عنهم مُحدِّثٌ أَجْنَبِيَّةٌ ولا أنا مُعتاضٌ بهم مُتَبَدِّلٌ (1)
وكيف يمكن أن يبقى أهل تلك البدع من أهل الدين، بعد كل الجرائم التي لم تكن هذه
البدع إلا جزءاً منها؟

(69)

واستخدم الكميت ألفاظ القرابة في حجاجه عن آل البيت واصفاً ساسة أولئك بالضباع
والذئاب وقد استعمل ثلاثة تعبيرات للقرابة: أقارب، وأنساب، وذوي القربى،
فقال:

(الطويل)

أقاربنا الأذنون منهم لعلّة وساستنا منهم ضباغ وأذوب (2)

(الطويل)

ثم يقول مخاطباً الرسول:

بك اجتمعت أنسابنا بعد فرقة فنحن بنو الإسلام ندعى وننسب (3)

(الطويل)

ومرادف آخر، ذوي القربى، يحاج فيه ويناقش:

فإن هي لم تصلح لحي سواهم فإن ذوي القربى أحق وأقرب (4)

إن الكميت يستعمل أي القرآن الكريم في احتجاجه لبني هاشم ومحاورته، فالأقربون أولى وأحق
بميراث الخلافة.

1- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الرابعة، ص179.
2- البيت الخامس والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص58.
3- البيت الواحد والأربعون، الهاشمية الثانية، ص60.
4- البيت الخامس والخمسون، الهاشمية الثانية، ص65.

وفي السياق ذاته، سياق الاحتجاج والجدال لبني هاشم من جهة والتنديد بالأمويين من
الجهة الأخرى، يستعمل الكميت المترادفتين: غضباً، وكارهين، فيقول في احتجاجه ومناظرته
أحادية الجانب (1):

(الطويل)
بَخَاتِمِكُمْ غَضَباً تَجُوزُ أُمُورُهُمْ فَلَمْ أَرَ غَضَباً مِثْلَهُ يُتَغَصَّبُ (2)
ثم يكمل فيقول:
إِذَا اتَّضَعُونَا كَارِهِينَ لِبَيْعَةٍ أَنَاخُوا لِأُخْرَى وَالْأَرْمَةِ تُجَذَّبُ (3)
(الطويل)

فبخاتم الهاشميين، خاتم النبوة المغتصب تسير أمور تلك الفئة فيكرهون الناس على
البيعة إكراهاً وكانهم جمل يركبه أولئك كرهاً.

وقد رادف الكميت بين ثلاثة ألفاظ تدل على الركوب وهي: نركب، و اتضعونا،
ورُدافي، يقول إذا اتضعونا... البيت السابق، إذ يفسر الشارح قائلاً: "اتضعونا: ركبونا قهراً
ونحن كارهون له، والاتضاع: أن يأخذ برأس البعير فيمد عنقه ويضرب بجرائه الأرض ثم
يركبه على عنقه".

ويتابع في البيت التالي عن الركوب، فيقول:
رُدَافِي عَلَيْنَا لَمْ يُسِيمُوا رَعِيَّةً وَهَمُّهُمْ أَنْ يَمْتَرَوْهَا فَيَحْلُبُوا (4)
(الطويل)

1- ينظر: ضيف، شوقي: التطور والتجديد، ص 277.
2- البيت الثامن والعشرون، الهاشمية الثانية، ص 55.
3- البيت الثاني والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 57.
4- البيت الثالث والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 57.

ويشرح أبو ريش: "أي يركبها واحد بعد واحد على كرهٍ منا، يباعدونا له ولولده فيترادفون علينا". ثم يخاطب الهاشميين قائلاً:

(الطويل)

بِحَقِّكُمْ أَمْسَتْ قُرَيْشٌ تَقُودُنَا وبِالْفَذِّ مِنْهَا وَالرُّدَيْفِينَ نُرَكِّبُ (1)

ومن صور ذلك القهر والإكراه إهمال الرعية وحالتها، وحرصهم فقط على الإفادة منها دونما أن يفيدوها.

(72)

ومقابل الإكراه والانتزاع عند أولئك تكون الطاعة التي تأتي طواعية لأنها تلبي حقاً وشتان بين حقٍ وباطل، وللإطاعة و الانقياد يأتي الكميت بمترادفين اثنين: دان، و تُطِع، يقول:

(الطويل)

ولكن مَوَارِيثُ ابْنِ أَمِنَةَ الَّذِي به دان شَرَقِيٌّ لَكُمْ وَمُغْرَبٌ (2)

وفسر أبو ريش الفعل دان بقول: "أطاع وذلّ".

(الطويل)

ثم يقول الكميت مخاطباً الهاشميين:

أَنْتُمْ عَلَى هَوْلِ الْجَنَانِ وَلَمْ تُطِعْ لها ناهياً مَمَّنْ يَنْنُ وَيَزْحَلُ (3)

ومن تلك الإطاعة المطلقة النابعة من القناعة، ما عاشه الشاعر من انقياد وحب لآل البيت ضارباً غرضَ الحائظ بكل ما اكتنف ذلك الحب وتلك الطاعة من أهوالٍ انتهت باغتيالها على أيدي تلك الفئة، استجابة - كما يبدو - لدعاء علي بن الحسين - عليهما السلام - "... فاحيه سعيداً وأمته شهيداً" (4).

1- البيت الواحد والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 56.

2- البيت التاسع والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 59.

3- البيت الحادي عشر، الهاشمية الرابعة، ص 187.

4- ينظر: البغدادي: خزنة الأدب، ص 70.

وكما جاهرَ الكميت بحب الهاشميين وحاجَّ عنهم، فقد عبَّر عن المواراة والتغطية بمرادفات عدة: غَيَّبُوا، و وارك، و غُيِّبًا، وتُحجَّب، ومُخَبَّأَةً، ويكْتُم، وغوامض، يقول الكميت عن الرسول:

كَانَ مَيْتًا جِنَازَةً خَيْرُ مَيْتٍ غَيَّبْتُهُ حَقَائِرُ الْأَقْوَامِ (1)

ويطرق الشاعر ذات المعنى، الدفن والتغيب، فقال يمدح الرسول بالسخاء والعدل مستخدماً مرادفاً آخر، وارك:

لَقَدْ غَيَّبُوا بِرَأً وَصِدْقًا وَنَائِلًا عَشِيَّةً وَارَكَ الصَّفِيحُ الْمُنْصَّبِ (2)

ثم يقول محتجاً مناظراً مثبناً أن الخلافة في بيت الرسول:

وَمَا كَانَتْ الْأَنْصَارُ فِيهَا أَدْلَةً وَلَا غُيِّبًا عَنْهَا إِذَ النَّاسُ غَيَّبُ (3)

ويتكلم الشاعر على تلك الفئة، على طريق تنظيره وحجابه:

رَضُوا بِخِلَافِ الْمُهْتَدِينَ وَفِيهِمْ مُخَبَّأَةً أُخْرَى تُصَانُ وَتُحجَّبُ (4)

ومثل التغيب والتخبئة، الكتمان، يقول:

فَاسْتَبَدَّلْتُ بِالسَّوَادِ أَبْيَضَ لَا يَكْتُمُهُ بِالْخِضَابِ مُخْتَضِبِ (5)

وإذا كانت الخصلة السيئة قد حُجِبَتْ في النفوس، فإن جانباً من الشمس قد اختفى واحتجب في الليل:

حَتَّى بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ وَالـ حَاجِبٌ مِنْهَا الشَّرْقِيُّ مُحْتَجِبِ (6)

1- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.
2- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الثانية، ص 62.
3- البيت الثاني والخمسون، الهاشمية الثانية، ص 64.
4- البيت الخامس والستون، الهاشمية الثانية، ص 70.
5- البيت السابع والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص 109.
6- البيت التاسع بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 136.

وكما احتجب حاجب الشمس ليلاً، فقد غمضت النجوم به كذلك: (الطويل)

إذا استخَنَكَ ظمَاءُ أَمْرِ نَجْمِهَا غَوَامِضُ لَا يَسْرِي بِهَا النَّاسُ أَقْلُ (1)

كما استخدم الـكـمـيـت مرادفاً آخر، غاب، يتلـكـم فيه عن الرسول: (الطويل)

وغيابَ نبيِّ الله عنهم وبقده على الناسِ رزءٌ ما هُناكَ مُجَلُّ (2)

والغموض في البيت السابق مادي، إلا أنه في البيت التالي غموضٌ معنوي، إنه إشكالٌ وإلباس، يقول:

(الطويل)

وإن نزلت بالناسِ عمياءَ لم يكن لهم بصراً إلا بهم حين تُشكِلُ (3)

وفسر أبو ريش: "وتشكل أي تلبس"، وفي اللسان: "أشكل عليّ الأمر إذا اختلط" (4).

(74)

وبما أننا بصدد الحديث عن الاحتجاب والاختفاء، فمن المناسب أن نتكلم عما يجب ويستتر، وقد استعمل الـكـمـيـت لهذا المعنى لفظين: سترتا، و الحُجُب، يقول عن الإمام علي -عليه السلام-:

(الطويل)

له سترتا بسطٍ فكفٌ بهذه يكفٌ وبالأخرى العوالي تُخَضَّبُ (5)

ولا يفسرها الشارح، لكن الـرافـعـي يقول: "والستر، ما استترت به من شيء كائن ما كان" (6)

1- البيت الرابع والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص175.
2- البيت الثالث والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص167.
3- البيت الخامس والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص176.
4- لسان العرب، (شكل).
5- البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الثانية، ص84.
6- الـرافـعـي، محمد محمود: شرح الهاشميات، ص 50.

أما البسط فأحسبه عنى به الكرم ؛ ذلك مما ورد في لسان العرب من تفسير البسط، إذ يقول:

"والبسط: نقيض القبض... ورجلٌ بسِطُ اليدين: منبسطٌ بالمعروف..! قال الشاعر: في فتية بسُطِ الأُكْفِ مساميح"⁽¹⁾. أما الحُجْبُ فوردت في مُقدمةٍ طلبيةٍ ينفي بها أن يكون الطرب قد أصابه من طلب النساء:

لا مِن طِلابِ المُحجِّباتِ إذا ألقى دونَ المعاصِرِ الحُجُبِ⁽²⁾

ويُفسر أبو رياش: " و الحُجْبُ جمع حِجاب "

لقد كان لأجواء الخوف أثرها في الشاعر فجاءت هذه المترادفات في الإخفاء والحجب، تلك الأجواء التي جعلت الكمية خائفاً يترقب.

(75)

وقد سُمى الكمية الحياة الناضبة الزائلة أسماءً عدة: الدنيا، والحياة، والعرض الأدنى يقول واصفاً التهالك على الدنيا، فنرى تأثر الشاعر بالقرآن الكريم، حين يضعهم على نفس المستوى مع اليهود الذين أشربوا حب العجل مستضيناً بقوله تعالى عن اليهود: [وأشربوا في قلوبهم العجلَ ببغيتهم]⁽³⁾، فهم قد أشربوا حب الدنيا كما أشرب أولئك حب العجل، يقول:

(الطويل)

تفرقت الدُنْيا بهم وتعرضت لهم بالنطافِ الأجناتِ فأشربوا⁽⁴⁾

1- لسان العرب، (بسط).

2- البيت الثاني، الهاشمية الثالثة، ص 100.

3- سورة البقرة، آية 93.

4- البيت الثامن والستون، الهاشمية الثانية، ص 72.

ولكن الشاعر يستعين الله تعالى ألا يصيبه ما أصابهم من الضلالِ وحب الدنيا الزائلة،

فيستخدم، الحياة، قائلاً:

حَنَانِيكَ رَبِّ النَّاسِ مِنْ أَنْ يَغُرَّتِي كَمَا غَرَّهُمْ شِرْبُ الْحَيَاةِ الْمُنْضَبِ (1)

ومرة أخرى نرى أثر القرآن الكريم في شاعر آل البيت حيث يستعير التعبير القرآني

في الحديث عن الحياة، فيسميها كما سماها القرآن العظيم في قوله تعالى: [يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا

الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا] (2)، يقول:

عَلَى أَنْبِيٍّ فِيمَا يُرِيبُ عَدُوَّهُمْ مِنْ الْعَرَضِ الْأَدْنَى أَسْمٌ وَأَسْمَلٌ (3)

وستان بين هذا وذلك، ستان بين الموقف الإيماني النابع من القرآن وآيه، وبين موقف

انبنى كله على حب الدنيا.

(76)

- وفي خضم تنديده النابع من أثر القرآن الكريم، سمي الكميت القرآن العظيم خمسة أسماء دارت كلها حول بغي أولئك وانحرافهم عن الإسلام وكتابه ونراه يرادف بين: القرآن، الكتاب، والوحي، وكتاب الله، والكتاب المعطل، يقول الشاعر عن أولئك البُغاة: (الطويل)

وَقَدْ دَرَسُوا الْقُرْآنَ وَافْتَلَجُوا بِهِ فَكَلَّهُمْ رَاضٍ بِهِ مَتَّحَزَبٌ (4)

ثم يسميه الكتاب، حيث يظهر من جديد أثر القرآن في الشاعر، إذ أن القرآن الكريم قد

سُميَ بالكتاب غير مرة في المصحف الشريف، ومنها الآية الثانية من سورة البقرة:

1- البيت التاسع والستون، الهاشمية الثانية، ص72.

2- سورة الأعراف، آية 169.

3- البيت المئة، الهاشمية الرابعة، ص184.

4- البيت الثاني والسبعون، الهاشمية الثانية، ص74.

[... ذَلِكَ الْكِتَابُ لَارْتَبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]، يقول متسانلاً:

(الطويل)

أَهْلُ كِتَابٍ نَحْنُ فِيهِ وَأَنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ نَقُضِي بِالْكِتَابِ وَنَعْدِلُ (1)

وفي موضع آخر يضيف الكتاب إلى رب الكتاب، إلى الله تعالى، كتاب الله، وهو كذلك

من تأثره بالقرآن وآيه: [وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ] (2)، فيقول في حكام

بني أمية:

(الطويل)

كَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ يُعْنَى بِأَمْرِهِ وَبِالنَّهْيِ فِيهِ الْكَوْدَنِيُّ الْمُرَكَّلُ (3)

ثم يصف كتاب الله بواقعه، فهو معطلٌ فعلاً:

(الطويل)

وَيَنْفَعُ فِي رَاضٍ مُّقْرَرٌ بِحُكْمِهِ وَفِي سَاخِطٍ مِّنَّا الْكِتَابُ الْمُعْطَلُ (4)

وقبل ذلك يسميه، الوحي، ويصفه بمرادفٍ لما وصفه به في البيت السابق: منبوذ وراء

ظهورنا، يقول:

(الطويل)

أَمْ الْوَحْيُ مَنبُودٌ وَرَاءَ ظُهُورِنَا فَيَحْكُمُ فِينَا الْمَرْزَبَانُ الْمُرَقَّلُ (5)

ويقول الشارح: "والوحي": الكتاب، يريد القرآن،... والمرزبان: الملك الفارسي".

فكتاب الله معطلٌ منبوذٌ وراء ظهورهم لا يحكمون وفقه فهم لذلك مثل ملوك الفرس، و

كاليهود أيضاً: [فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا] (6).

1- البيت الثامن عشر، الهاشمية الرابعة، ص 154.

2- سورة الانفال، آيه 75.

3- البيت التاسع والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 159.

4- البيت السابع والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص 177.

5- البيت الواحد والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 155.

6- سورة آل عمران، آيه 187.

لقد كان الخوف واحداً من مقومات الحياة عند تلك الفئة، لقد عَشش الخوف في نفوس الناس حين غاب الدين عن الحياة تماماً، فالظلم هو سيد الموقف والشبح المائل في حياة الناس، وقد استخدم الكميت مرادفات عديدة للخوف: خائفاً، وخشية، ونخشى، والإشفاق، ورَهَب، وأهبة، والروع، والروعة، والرعب، والوجل، ونهاب، والهول، والفرق، يقول:

(الطويل)

أَلَمْ تَرَني فِي حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ أروخُ وأغدو خائفاً أترقّب (1)

وهو التعبير ذاته الذي استخدمه القرآن لوصف خوف موسى -عليه السلام- عند فرعون.

وفي البيت التالي يستعمل مرادفاً، خِشْيَةً، متمماً صورة حاله تحت الحكم الأموي، فيقول:

(الطويل)

كأني جَانٍ مُحَدِّثٌ وكأنما بهم يُتَّقَى من خِشْيَةِ العُرِّ أُجْرَب (2)

وإذا كان أولئك قد جعلوا الشاعر خائفاً يترقّب، فإن، آل البيت مصدر ثقة وأمان حين

(الطويل)

بخشى ويرهب:

وقد غادروا فينا مصابيحَ أنجماً لنا بَقَّةٌ أيَّانَ نَخْشَى ونرهب (3)

ومن الفعل، نرهب، يستخدم الكميت مرادفاً آخر هو الاسم من هذا الفعل، رَهَب،

(المنسرح)

فيقول:

إلى السَّراجِ المنيرِ أحمدَ لا تعدُّني رَغْبَةً ولا رَهَباً (4)

1- البيت الخامس والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 75.

2- البيت السادس والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 75.

3- البيت العاشر بع المئة، الهاشمية الثانية، ص 87.

4- البيت الثاني والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 110.

وشبية بالرهب، الأهبة، التي أتى بها الشاعر في تعبيره عن تعلقه بآل البيت وحبه الدائم

الذي لا يزول:

(الطويل)

فلا رَعْبَتِي فِيهِمْ تَغِيضُ لِأَهْبَةِ وَلَا عَقْدَتِي فِي حُبِّهِمْ تَتَحَلَّلُ (1)

ويفسر الشارح: "وإن خفت من بني أمية فلا أدع حبي لهم".

(الطويل)

ومرادف آخر ورد في وصف الشاعر للناقة، الإشفاق:

مُذَكَّرَةٌ لَا يَحْمِلُ السَّوْطَ رَبُّهَا وَلَا يَأْ مِنْ الْإِشْفَاقِ مَا يَتَعَصَّبُ (2)

ويفسر أبو رياش قائلاً: "أي من الإشفاق على نفسه ما يتعصب خوفاً من أن ترميه"، وجاء في اللسان: "الشَّقُّ والإشفاق: الخوف" (3).

ويأتي بمرادفين للخوف، الرُّوعَة والرُّوع، ذلك حين يتكلم عن الثور والرحلة في

أخريات القصيدة بعدما تفرغ للتظهير بآل البيت وللمقالة الشيعية الزيدية: (المنسرح)

فجالَ فِي رُوعَةٍ الْفُجَاءَةِ مِنْهُ نَوْنِي عِطْفٍ وَالْقَلْبِ مِنْتَخَبِ
ثم ارعوى حين أفرخ الروع فا ستخرج منه الحفيظة الغضب (4)

ويفسر لسان العرب قائلاً: "الروغ والرؤاغ والتروغ: الفزع... والروعة: الفزعة.

وفي حديث الدعاء: اللهم آمن روعاتي، هي جمع روعة وهي المرة الواحدة من الروع والفزع" (5)

1- البيت الرابع والثمانون، الهاشمية الرابعة، ص 179.

2- البيت الثالث عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 88.

3- لسان العرب، (شقوق).

4- البيتان الثاني عشر والثالث عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 137.

5- لسان العرب، (روع).

- ومرادف آخر هو الرُعْب، يقول:
والرَّائِبُ الطَّالِبُ المُسَخَّرُ الـ
(المنسرح)
رِيحٌ لَهُ ناصِرِينَ والرُّعْبُ (1)
ويفسر أبو ريش الرعب بالخوف.
- ثم يورد، الوجَل، فيقول:
فإن يَكُ هذا كافيًا فهوَ عندنا
(الطويل)
وإنِّي من غير اكتفاءٍ لأوجَل (2)
ويفسر أبو ريش الوجَل بالخوف.
- ونقرأ كذلك المرادف، نهاب، في قوله:
إذا نالَ مِنْهُمْ مَنْ نَهَابُ كَلَامَهُ
(الطويل)
وَرَدًّا عَلَيْهِ ظَلَّتِ العَيْنُ تَهْمُلُ (3)
- ويرادف بلفظ، الهول، قائلاً:
أنتَكُم على هَوْلِ الجَنَانِ وَلَمْ تَطِعْ
(الطويل)
لَهَا ناهياً مَّأْيُنُ وَيَزَحَلُ (4)
- ويفسر اللسان: "الهول: المخافة من الأمر لا يدري ما يهجم عليه منه" (5). وأي هول كان يعيشه الشاعر حتى لاقى ما لاقاه من أولئك. وأخيراً يندم الكمييت لعدم خروجه مع أميره زيد بعدما قتل:
- دعاني ابنُ الرِّسُولِ فَلَمْ أَجِبْهُ
أَلْهَقِي لَهْفَ القَلْبِ الفَرُوقِ (6)
(الوافر)

1- البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الرابعة، ص 183.
2- البيت السابع والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص 109.
3- البيت السادس والتسعون، الهاشمية الرابعة، ص 183.
4- البيت العاشر بعد المئة، الهاشمية الرابعة، ص 187.
5- لسان العرب، (هول).
6- البيت الأول، الهاشمية العاشرة، ص 204.

ولا يفسر الشارح شيئاً، أما اللسان فيقول في الفرق: " الفرق بالتحريك: الخوف... وفرق وفرق وفروق وفروقة... فزَع شديد الفرق "(1).

إنَّ كلَّ ذلك الخوف لم يثنِ الشاعر عن حبه آل البيت، فهو يجادل ويحاور عنهم، وشعره فيهم يطبق الآفاق، ومع ذلك فهو يوجّل مخافة عدم كفاية ذلك.

(78)

وفي حديثه على الخوف من حكام بني أمية سمعناه يتكلم عن العرّ إذ رادف بين، العر

والجرب، فقال:

(الطويل)

كَأَنِّي جَانٍ مُّحَدِّثٍ وَكَأَنَّمَا بِهِمْ يُتَّقَى مِنْ خَشِيَةِ الْعُرِّ أَجْرِبُ⁽²⁾

ويفسر أبو رياش: "والعرّ: الجرب".

(المنسرح)

كما قال يصف الأثافي:

أَنْخَنَ أَنْمَاءَ فَصِيرِنَ دُهْمَاءَ وَمَا غَيْرَهُنَّ الْهِنَاءَ وَالْجَرِبُ⁽³⁾

نعم إن الكميّ يتحدث عن الأثافي ولكن شتان بين هذا الحديث وحديث الشعراء

الآخرين، إنه ينفي في مقدماته الطللية أن تكون تلك الأطلال وما حوت، مصدر طربه، بل

المصدر الوحيد الأوحده لهذا الطرب هو السراج المنير أحمد، كما يقول في البيت الثاني والثلاثين

من القصيدة ذاتها.

1- لسان العرب، (فرق).

2- البيت السادس والسبعون، الهاشمية الثانية، ص، 75.

3- البيت السابع، الهاشمية الثالثة، ص 102.

وفي حديثه السابق عن الخوف، استخدم الكميت، الجنائية، ثم جاء بمرادف لها هو

الجُرم، فقال: (الطويل)

على أي جُرمٍ أم بأيّة سيرةٍ أعنفُ في تقريظهم وأنّيب (1)

إنه الاستهجان من ذلك التأييب الذي يصبه عليه أعداء الهاشميين، الذين لا يروقه أن يروا مدافعاً عن الحق ينافح عنه ويكافح.

وللتقريظ في البيت السابق مرادفٌ في قوله: (المتقارب)

وهاتِ الثناءَ لأهلِ الثناءِ بأصوبِ قولِك فالأصوب (2)

وقد فسر أبو ريش التقرّيب، بقوله: "مدح الرجل حياً والثناء عليه"

ومن الصفات التي مدح بها الكميت الهاشميين الكرم، إحدى صفات الإمام لدى الزيدية فهم أغنياء يطعمون حين يعم الناس الجذب فيجوعون، وقد استخدم للجوع مرادفات: خماص، وسغب، وطيان، وجوع، يقول: (الطويل)

إذا ما المرّاضيعِ الخِماصُ تأوّهتُ من البردِ إذ مِثلانِ سَعَدٌ وعَقْرَب (3)

وفسر أبو ريش الخماص بالجياح، والخمّص الجوع. ويتابع وصف آل البيت بالكرم والسخاء إذا ما عزّ الطعام والمُطعمون:

1- البيت السابع والسبعون، الهاشمية الثانية، ص75.

2- البيت السابع، الهاشمية الخامسة، ص189.

3- البيت الحادي والثمانون، الهاشمية الثانية، ص77.

(الطويل)

وباتَ وليدُ الحَيِّ طَيَّانَ سَاغِباً وكَاعِبَهُمْ ذَاتُ الْعَقَاوَةِ أَسْغَبَ (1)

وقد شرح أبو ريش قائلًا: "وأسغب طيان: أي جائع طاوي، والساغب: الجائع، والسغَب: الجوع".
 "ويفسر اللسان لفظ طيان: "والطوى: الجوع، والطيان: الجائع (2).

(المنسرح)

ويتحدث عن الأثافي فيستخدم، الجوع:

كانتَ مَطَايَا الْمُضَمَّنَاتِ مِنَ الْعِجَالِ دَوَاءَ الْعِجَالِ إِنْ سَغَبُوا (3)

وكما جمع الحُطَيْئَةَ بين الطاوي والمرمل في بيته:

(الطويل)

وطاوي ثلاثٍ عاصِبِ البَطْنِ مُرْمِلٍ ببيداءٍ لم يَعْرِفِ بها ساكنٌ رَسْمًا (4)

فقد جمع الكميت بينهما كذلك ولكن ليس في بيت واحد، فقد مر استخدامه لفظ طيان

(الطويل)

أما المُرمل فجاء في قوله:

فيا ربَّ عَجَلْ ما نُؤَمِّلُ فيهِمْ لِيَدْفَأَ مَقْرُورٌ وَيَشْبَعَ مُرْمِلٌ (5)

وأصل المرمل من نَفَدَ زاده، كما يقول لسان العرب: "أرمل القوم والرجل إذا ذهب زادهم" (1) وهو أيضاً جائعٌ طاويٌ ويطلب الشَّبْعَ. فالكميت يتمنى على الله ويدعوه أن يجعل ما يأمل من الشر في الأولئك عاجلاً؛ لينتهي هذا الحال الذي افتقر الأحرار فيه وعمهم البلاء.

1- البيت الثالث والثمانون، الهاشمية الثانية، ص78.

2- لسان العرب، (طوي).

3- البيت الثامن، الهاشمية الثالثة، ص103.

4- ديوان الحطينة، ص 271.

5- البيت السادس والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص176.

وإذ ذكر الكميت مترادفات للجوع، فقد أتى كذلك للسعة بمترادفين: الإيسار، والغنى،

فقال يمدح الهاشميين:

خِضَمُونَ أَشْرَافٌ لَهَامِيمٌ سَادَةٌ مَطَاعِيمٌ أَيْسَارٌ إِذَا النَّاسُ أَجْدَبُوا (1)

وللأسف يفسر الشارح مرة أخرى بما لا يمت للمعنى بصلة، فيقول هذه المرة: "وقوله أيسار أي يضربون بالقِداح الواحد يَسْرٌ" ولكن اللسان يسعنا كالعادة فيفسر قائلاً: "واليسر: ضد العسر... التهذيب: واليسرُ والياسرُ من الغنى والسعة" ومن المؤكد أن أيسار الواردة في البيت هي جمع ياسر من الغنى. كما جاء على نفس الصعيد: "واليسرُ المُجتمِعون على الميسر، والجمع أيسار" (2)، فهل يجتمع آل البيت على الميسر!؟

وجاء اللفظ المرادف، الغنى، في حديثه عن الثور والكلاب:

مَجَازِيْعَ فِي فَقْرٍ مَسَارِيْفٍ فِي غِنَى سَوَابِحَ تَطْفُو تَارَةً ثَمَّ تَرْسُوب (3)

فاليسر والغنى والخير مرافق لهم، فيطعمون من كرم حين يكون الآخرون مجدبون معسرون.

(82)

ومدح آخر يكيه الكميت للنبي وآله -عليهم السلام- ذاكراً للأصل وطيبه عند الهاشميين

فيستخدم بالإضافة إلى الأصل مرادفين: السِّنخُ، والنَّجْرُ، فيقول مادحاً

الرسول:

طَيْبُ الْأَصْلِ طَيْبُ الْعَوْدِ فِي الْبِنِّ سِيَّةٌ وَالْفَرْعُ يَثْرَبِيٌّ تَهَامِي (1)

1- البيت الثمانون، الهاشمية الثانية، ص 76.

2- لسان العرب، (يسر).

3- البيت الثاني والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 97.

(الطويل)

ثم يمدح الهاشميين عامة فيقول:

هُمُ الْمَخْضُ مَنَا وَالصَّرِيحُ الْمُهْدَبُ (1)

مُصَقَّونَ فِي الْأَحْسَابِ مَخْضُونَ نَجْرُهُمْ

(المنسرح)

وفسر أبو ريش النجر بالأصل. وفي الثناء عليهم يستخدم السنخ:

سِنَخُ التُّقَى وَالْفَضَائِلِ الرَّئِبِ (2)

هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ فِي بُيُوتِهِمْ

وفسر الشارح السنخ كذلك بالأصل، والجمع أسناخ.

وهل سيكون بيت النبوة أشرف البيوت إلا طيباً، وهل سيكون إلا في الذؤابة، محضاً صافياً نقياً صريحاً، وقد قال تعالى في عميدهم وسيدهم: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ] (3)، إنه الشرف حازوه بحذافيره، إنها النبوة وكفى.

(83)

وإذا كان أهل البيت -عليهم السلام- على هذا الجانب العظيم من الشرف والرفعة، فلا عجب إذن أن تتصدع القلوب حزناً عليهم، وألاً يلام على بكائهم الباكون، وقد عبر الكميت عن البكاء بمترادفات: الْمُتَحَوِّبِ، وَتَتَحَبِّبِ، وَتَبْكِي، قال في الهاشميين:

هُمُ مَا هُمْ وَتَرَأَ وَشَفَعَا لِقَوْمِهِمْ لِفَقْدَانِهِمْ مَا يُغْذَرُ الْمُتَحَوِّبِ (4)

وفسر أبو ريش المتحوب بالباكي، من التحوُّب وهو البكاء. وفسر اللسان فقال: "والتحوب: التوجع والشكوى والتحزن... والتحوب أيضاً: البكاء في جزع وصياح" (5).

1- البيت التاسع والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 76.

2- البيت الخامس والستون، الهاشمية الثالثة، ص 121.

3- سورة آل عمران، آية 159.

4- البيت التسعون، الهاشمية الثانية، ص 81.

5- لسان العرب، (حوب).

ثم يقول:

(المنسرح)

لا هـؤلاءِ اجْتَبَوْتُ ولا نَكِرْتُ . ولا على هـؤلاءِ تَنْتَحِبُ (1)

وفسر أبو رياش فقال: " وتنتحب: تبكي، من النحيب وهو البكاء ."

(البسيط)

وفي وقوفه المتفرد على الأطلال يقول:

ولا تَقِفْ بِدِيَارِ الحَيِّ تَسْأَلُهَا تَبْكِي مَعَارِفَهَا ضالاً بِتَضْلِيلِ (2)

فلا بكاء على شيءٍ آخر، ولا شيئاً آخر أهلٌ للبكاء عليه، لا الديار، ولا أهل الديار، فكله

ضلال لا داعي له، فقط هم الهاشميون أهلٌ لأن نبكي عليهم وعلى فقدانهم.

(84)

ثم يتكلم الكميت على سيد آل البيت، فالشاعر لا يبالي اللوم واللائمين على ذلك، ففي

أذنيه عن كل ذلك وقرّ، وقد رادف الكميت بين أسماء عديدة للرسول: نبي الله، ورسول الله،

وابن أمنة، وأحمد، وخير من تضمنت الأرض، وأبو القاسم، وخاتم الأنبياء، ونبينا، وصاحب

(الخفيف)

الحوض، فقال:

ما أبالي إذا حَفِظْتُ أبَا القَا سِمِ فَيَهْمُ مَلَامَةَ اللُّوَامِ (3)

(الطويل)

وفي معرض حجاجه وإثباته حق الهاشميين بالخلافة، يقول:

ولكن مَوَارِيثُ ابْنِ أَمِنَةَ الَّذِي بِهِ دَانَ شَرْقِيٌّ لَكُمْ وَمُعْرَبٌ (4)

1- البيت الثالث الثامن عشر، الهاشمية الثالثة، ص 106.

2- البيت الثاني، الهاشمية السابعة، ص 200.

3- البيت السادس والثمانون، الهاشمية الأولى، ص 36.

4- البيت التاسع والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 59.

- وفي مدحه لآل البيت يقول: (الطويل)
- أولاك نبِيُّ الله مِنْهُمْ وجعفرٌ وحمزةٌ ليثُ الفياقِينِ المُجَرَّبِ (1)
- ثم يضيف، نبي، إلى ضمير المتكلم قائلاً: (الطويل)
- ولنْ أعزِلَ العباسَ صِنوَ نبيِّنا وصنوائهُ ممنْ أَعَدُّ وأنْدُبِ (2)
- ثم يسميه صلى الله عليه وسلم، السراج المنير، فيقول: (المنسرح)
- إلى السَّراجِ المُنيرِ أحمداً لا تعدلني رَغْبَةً ولا رَهَبِ (3)
- كما يعبر عن الرسول، بخير من تضمنت الأرض: (المنسرح)
- إليك يا خيرَ من تَضَمَّنْتَ الـ أرضُ وإنْ عَابَ قولي العَيِّبُ (4)
- واستخدم كذلك، خاتم الأنبياء، فقال: (المنسرح)
- والسَّابِقُ الصَّادِقُ المَوْفِّقُ والـ خاتمُ للأنبياءِ إذْ ذَهَبُوا (5)
- ثم يسميه الحاشر فيقول: (المنسرح)
- والحاشِرُ الأَخيرُ والمُصدِّقُ للـ أولِ فيما تنلَسُخُ الكُتُبُ (6)
- ثم يناديه بصاحب الحوض، قائلاً: (المنسرح)
- يا صاحِبَ الحوضِ يومَ لا شِربَ للـ واردِ إلا ما كان يَضْطَرِّبِ (7)

1- البيت التاسع والثمانون، الهاشمية الثانية، ص 80.
 2- البيت الخامس بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 85.
 3- البيت الثاني والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 110.
 4- البيت الخامس والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 111.
 5- البيت الثالث والأربعون، الهاشمية الثالثة، ص 113.
 6- البيت الرابع والأربعون، الهاشمية الثالثة، ص 113.
 7- البيت السابع والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص 118.

وأخيراً يستخدم تعبير، رسول الله، قائلاً: (البسيط)

نَفْسِي فِدَاءُ رَسُولِ اللَّهِ قَلٌّ لَهُ مَنِّي وَمِنْ بَعْدِهِمْ أَذْنَى لِتَقْلِيلِ (1)

وفسر اللسان القلّ فقال: "القلة والقيل، بالكسر: الرعة... يقال أخذته قل من الغضب إذا أرعد. ويقال للرجل إذا غضب: قد استقلّ" (2).

فالرسول وحده من يقل له الشاعر ويستقل ويغضب، فهو خير من تضمنت الأرض.

(85)

وفي مدحه لآل البيت -عليهم السلام- يسوق الشاعر مجموعة من المترادفات بمعنى البعد والنأي: مغرب، والنوى، والنأي، ومزبل، وبزحل، وأغرب، وأجل، فقال يمدح الإمام علياً -عليه السلام-:

مَحَاسِنِ مَنْ دُنِيَا وَدِينِ كَأَمَّا بِهَا حَلَّقَتْ بِالْأَمْسِ عِنَاءُ مُغْرِبِ (3)

ويفسر الشارح فيقول: "مغرب: مبعد، وأغرب فلان في البلاد أي أبعد".

وفي وصفه حبه وتعلقه بآل البيت، يستخدم، النوى:

أَوْلَاكَ إِنْ شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى أَمَانِي نَفْسِي وَالْهَوَى حَيْثُ يَسْقُبُوا (4)

ويتابع في البيت التالي:

فَهَلْ تُبَلِّغَنِيهِمْ عَلَى نَأْيِ دَارِهِمْ نَعَمَ بِبَلَاغِ اللَّهِ وَجِنَاءِ ذَعْلِبِ (5)

1- البيت الخامس، الهاشمية السابعة، ص 201.

2- لسان العرب، (قلل).

3- البيت الثاني والتسعون، الهاشمية الثانية، ص 81.

4- البيت الحادي عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 87.

5- البيت الثاني عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 88.

ويفسر أبو ريش النأي بالبعد.

ومرادف آخر تظهر فيه النقيّة التي مارسها الكميت:

(الطويل)

وإنّي على أنّي أرى في تقية
أخالط أقواماً لِقومٍ لَمزِيلٌ⁽¹⁾

وفسر أبو ريش فقال: "يقول: أخالطهم في المُجالسة وأزابلهم في رأيهم"، ويقول الرافعي مفسراً: "مزيل أي مزائل مفارق لهم ومبتعد عنهم وعن آرائهم، وفي حذرٍ وتقيةٍ منهم على أني مخالط لهم في مجالسهم"⁽²⁾. ويفصل اللسان قائلاً: "وزايله مزايلةٌ وزيالاً: بارحَه. والمزايكة المفارقة، ومنه يقال: زايله مزايلةٌ وزيالاً إذا فارقه"⁽³⁾، ومنه قوله تعالى: [وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَزَلْنَا بَيْنَهُمْ...]⁽⁴⁾ حيث يفسر الجلالين: "فزيلنا ميزنا بينهم وبين المؤمنين"⁽⁵⁾. أما الشهيد سيد قطب فيقول في الظلال مفسراً: "... ثم فرق بينهم وبين شركائهم وحجرَ بينهما في الموقف" فزيلنا بينهم"⁽⁶⁾.

ومثل زابل، زحل، إذ يقول الكميت مخاطباً الهاشميين:

(الطويل)

أنتكُم على هَوَلِ الجَنانِ وَلَمْ تُطِغْ
لَهَا ناهياً مَمَّنْ يَسْنُ وَيَزْحَلُ⁽⁷⁾

ويفسر أبو ريش يزحل: يَنْتَحِي، ويقول اللسان: "زحل الشيء عن مقامه يزحلُّ زحلاً وزحولاً وتزحول كلاهما: زلٌّ عن مكانه، وزحولُه هو: أزلُّه وأزاله... الجوهرى: تزحَّل: تتحى وتتباعد"⁽⁸⁾. وفي وصفه لآل البيت بإحدى صفات الإمام وهي الكرم والسخاء، استعمل الكميت

1- البيت الخامس بعد المئة، الهاشمية الرابعة، ص186.

2- الرافعي، محمد محمود: شرح الهاشميات، ص76.

3- لسان العرب، (زِيل).

4- سورة يونس، آية 28. و

5- السيوطي والمحلي، جلال الدين: تفسير الجلالين، ص271.

6- قطب، سيد: في ظلال القرآن، مج3، ص1780.

7- البيت العاشر بعد المئة، الهاشمية الرابعة، ص187.

8- لسان العرب، (زحل).

مرادفين آخرين، أبعد وأغرب: (المتقارب)

فما حَلَّتْني عِصِي السُّقَاةِ ولا قِيلَ يا اِبْعَدُ ولا يا اِغْرُبُ (1)

وفسر الشارح فقال: "ولا قيل لي ابعَد ولا اغْرُبُ أي تتَحَّ".

وفي السياق ذاته يقول مستخدماً، أَجِلْ: (المتقارب)

أَجِلُّ وَأَصْدُرُ عَنْ غَيْرِهِمْ بِرِيِّ الْمُحَالِ وَالْمُؤَابِ (2)

ولا يفسر أبو ريش هذا اللفظ، بينما يقول اللسان مفسراً: "ويقال جَلَّ الرجل عن وطنه يَجُلُّ وَيَجِلُّ جُلُولاً و جلا يجلوا جلاء، وأجلى يُجلى إجلاء إذا أخلى موطنه" (3).

وشتان بين أن يُمنع ويُرد، وبين أن يُرحب به، وشتان كذلك بين من يفعل هذا و من يفعل ذلك، إن آل البيت -عليهم السلام- يرحبون به، ولا يردونه، بينما الآخرون يمنعونه ويبعِدونه.

(86)

هذا وقد استعمل الكميت في معرض حديثه عن الهاشميين وسيدهم مترادفات من الذهاب والمغادرة، حيث غطت هذه المترادفات كذلك حديثه عن ناقته والثور الوحشي الذي شبهها به: مضوا، و غاد، وانبعث، وسار، وظعن، واعتتب، وذهبوا، وانصراف، ويوغلن، والتحول، فقال عن الهاشميين:

مَضَوْا سَلْفًا لَا بُدَّ أَنْ مَصِيرَنَا إِلَيْهِمْ فَغَادِ نَحْوَهُمْ مَتَأُوبِ (4)

1- البيت العشرون، الهاشمية الخامسة، ص 191.

2- البيت الثالث والعشرون، الهاشمية الخامسة، ص 192.

3- لسان العرب، (جلل).

4- البيت الثامن بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 86.

ويتحدث عن الناقة قائلاً: (الطويل)

إذا انبَعَثَ من مَبْرَكٍ غَادَرَتْ بِهِ ذَوَابِلَ صُهْبًا لَمْ يَدْنِهِنَّ مَشْرَبٌ (1)

وفي حديثه عن الثور هذه المرة يستخدم الكميت، سار: (الطويل)

يُكَالِي مِنْ ظَلْمَاءِ دِجُورِ حِنْدِسٍ إِذَا سَارَ فِيهَا غَيْهَبٌ حَلَّ غَيْهَبٌ (2)

ونجد مرادفاً آخر هو، الطعن، الذي جاء على صيغة اسم الفاعل: (المنسرح)

أهلان للدارِ مِنْهُمُ الأَنْسُ الظَّا عَنِ مِنْهُمُ بِكَ وَمُكْتَتِبٌ (3)

وفسر أبو رياش الطاعن بالراحل.

ومرادف آخر يعبر فيه عن شوقه للهاشميين: (المنسرح)

فَاعْتَتَبَ الشُّوقُ مِنْ فَوَادِيٍّ وَ الشَّعْرُ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ مُعْتَتَبٌ (4)

وفسر أبو رياش قائلاً: "اعتتب أي انصرف... قال الأموي ذهب إلى من إليه مذهب... قال

الأصمعي اعتتب رجع"، وهذا يوحي أن الكلمة ضدّ. وقد فسرها اللسان بالمعنيين كليهما، فقال:

"والاعتتاب الانصراف عن الشيء، واعتتب عن الشيء: انصرف، قال الكميت فاعتتب

الشوق... البيت، واعتتب أي قصد، قال الحطيئة: (البيسط)

إِذَا مَخَارِمُ أَحْيَاءٍ عَرَضْنَ لَهُ لَمْ يَنْبُ عَنْهَا وَخَافَ الْجَوْرَ فَاعْتَتَبَا

معناه اعتتب من الجبل أي ركبه ولم ينبُ عنه، يقول: لم ينب عنها ولم يخف الجور (5).

1- البيت السادس عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 89.

2- البيت الثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 96.

3- البيت السادس عشر، الهاشمية الثالثة، ص 105.

4- البيت الواحد و الثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 110.

5- لسان العرب، (عتب)، والبيت في ديوان الحطيئة ص 13.

أما الكلمة المرادفة، ذهبوا، فوردت في الحديث عن الرسول: (المنسرح)

والسَّابِقُ الصَّادِقُ الْمُؤَقَّقُ وَالـ خَاتَمُ لِلأَنْبِيَاءِ إِذْ ذَهَبُوا (1)

ونجد مرادفاً آخر، انصرافاً، في قوله: (المنسرح)

فِي مَرِنٍ يَنْتَهِي إِلَى مَرِنٍ عَنْهُ انصِرَافاً وَالْحَالُ يَنْقَلِبُ (2)

وعن القطا، يقول الشاعر مستخدماً مرادفاً آخر: (المنسرح)

يَوْغَلُنَ بِالْأَرْكُوبِ الْعِجَالِ وَيَعـ تَبِنَ بِدُونِ السَّيَاطِ إِن عَتَبُوا (3)

ونلاحظ الضدية في كلمة يَعْتَبِنُ التي وردت في هذا البيت وفي بيت سابق من هذه المجموعة: فاعتتب الشوق... حيث تعني هنا الرجوع، بينما عنت في البيت السابق الذهاب.

واستخدم في حديثه عن الحسين -عليه السلام-، التحول: (الطويل)

إِلَى مَفْزَعٍ لَنْ يُنْجِيَ النَّاسَ مِنْ عَمِيٍّ وَلَا فِتْنَةَ إِلَّا إِلَيْهِ التَّحْوِيلُ (4)

إن الهاشميين، على العكس من حكام بني أمية، أساس الخير كله، فهم المفزع الذي لن يجد المرء غيره يتجه إليه، ينال فيه وينجو من عمى الضلال، لذا لم يكن عجباً ولا بدعاً أن يشوقوا الشاعر وقلبه، فيلجأ إلى هذا الحمى الظليل.

-
- 1- البيت الثالث والأربعون، الهاشمية الثالثة، ص 113.
 - 2- البيت الثاني والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص 117.
 - 3- البيت الثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 143.
 - 4- البيت السبعون، الهاشمية الرابعة، ص 174.

ومن جديد نلمس العلاقة الحميمة بين الشاعر وآل البيت فهم الأمانى للنفس في بعدهم،

وموضع هواه حين يقتربون، وقد رادف بين الأمانى والمنى فقال: (الطويل)

أولئك إن شطت بهم غربة النوى أمانى نفسي، والهوى حيث يسقُبوا (1)

وفي حوارهِ مع نفسه يستخدم المنى، فيقول: (الطويل)

أتتني بتعليلٍ ومُنْتَيِ المنى وقد يقبل الأمانة المتعلل (2)

إن نفسه تعلله وتُمنيه حين يحضها على بيع الحاضر الفانى بآتٍ باقٍ، فلا يتخطى ذلك

بتأييده لآل البيت إلى بذل النفس، رغم انه قد ندم على ذلك، فيما بعد.

إن ناقة الشاعر لترغب عن أخلاق وصفات قريناتها فلا تضح ولا تصيح، مستغيثة، فهي

مذكرة قوية، وقد رادف الكميت بين الرغبة عن الشيء وبين كراهيته فقال عن الناقة وأخلاقها:

(الطويل)

كثومٌ إذا ضجَّ المطيُّ كأنما تكرمٌ عن أخلاقهنَّ وترغب (3)

وقد ورد هذا التعبير في قوله تعالى على لسان والد سيدنا ابراهيم -عليه السلام-: [أرأيتَ أنتَ عن

آلهتِنَا يا إبراهيم] (4). وتحدث الكميت عن نفسه فقال:

1- البيت الحادي عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 87.

2- البيت الثاني والتسعون، الهاشمية الرابعة، ص 181.

3- البيت الثالث والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 92.

4- سورة مريم، آية 46.

(الطويل)

وإن أبلغُ القُصوى أخضَ غَمراتِها إذا كَرِهَ الموتَ اليراعُ المُهَلَّل (1)

لقد جعل الكمية ناقته تتخلق بأخلاقه هو فلا تلقى بالاً للمصاعب التي تجابهها فإذا ما ضج الآخرون صبرت واحتملت كما صبر هو واحتمل من أذى في سبيل حبه للهاشميين.

(89)

ويظهر حب الكمية لآل بيت النبوة -عليهم السلام- بصورة أخرى حين يصور الثور الوحشي يقاتل ويدافع الكلاب المداقيع التي لا يغث عليها شيء، ثم لا يلبث أن يجعل الثور ينتصر على تلك الخسة، مسقطاً هذه المعركة على ما يدور بين الحق والباطل من صراع، وقد رادف الكمية بين أفاظ الفساد والعيب: يغث، و متبول، و آفة، و عيب، و عطب، يقول عن الثور:

يذودُ بِسَحماوِيه من ضارِياتِها مَداقِيعَ لم يَغْثُ عَلِيهِنَّ مَكْسَب (2)

ويفسر أبو رياش فيقول: "يغث: يصير غثاً ويقال لم يفسد".

وفي اللسان: "وفلان لا يغثُ عليه شيءٌ أي لا يقول في شيءٍ إنه رديء فيتركه" (3)، وهذا ما يناسب تفسير الشارح للمدقيق "الذين يرضون بالدون من الشيء".

ثم يستخدم مترافات ثلاث في ثلاثة أبيات متتالية: (المنسرح)

والطَّيِّبُونَ المَبْرُؤُونَ من الـ	آفَة والمُنْجِبُونَ والنُّجُوب
والسَّالِمُونَ المَطْهُرُونَ من الـ	عيبٍ ورأسُ الرُّؤوسِ لا الذَّنْب

1- البيت الأول بعد المئة، الهاشمية الرابعة، ص 184.

2- البيت الرابع والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 97.

3- لسان العرب، (غث).

- زُهْرٌ أَصِيحَاءٌ لَا حَـدِيثُهُمْ واهٍ وَلَا فِي قَدِيمِهِمْ عَطَبٌ (1)
 وأخيراً وردت كلمة، متبول، في قوله:
 سَلُّ الْهُمُومَ لِقَلْبٍ غَيْرِ مَتْبُولٍ وَلَا رَهِيْنَ لَدَى بِيضَاءِ عَطْبُولٍ (2)
 (البسيط)

حيث يفسر الشارح قائلاً: " وقوله متبول: الذي تبّله الحب أي أفسد قلبه، والتبّل الفساد".

إن قلب الكميت مرهون موقوف فقط على الهاشميين ولا قسيم لهم فيه، فهم الأهل لحبه
 لما يتصفون به من صفات عزّت على غيرهم.

(90)

وفي حديثه عن المعنى ذاته، وهو اقتصار حبه وميله على آل البيت يرادف الكميت

- بين، المعصر والكاعب، فيقول:
 لا مِنْ طِلَابِ الْمُحْجَبَاتِ إِذَا أَلْقَى دُونَ الْمَعَاصِرِ الْحُجُبِ (3)
 (المنسرح)
 وفسر أبو ريش المعصر بالتي دنا حيضها.

- ثم يقول الكميت عن الوئد:
 قَلَدَهُ كَالْوِشَاحِ جَالٍ عَلَى الْـ كَاعِبٍ مِنْ مُنْهَجَاتِهِ الطُّنْبِ (4)
 (المنسرح)

وفسر الشارح الكاعب بالتي قد كعبت ثديها وناهزت البلوغ.

1- الأبيات من السادس والستين إلى الثامن والستين، الهاشمية الثالثة، ص 121.

2- البيت الأول، الهاشمية السابعة، ص 200.

3- البيت الثاني، الهاشمية الثالثة، ص 100.

4- البيت الحادي عشر، الهاشمية الثالثة، ص 103.

فلا الكاعب الحسناء ولا ما يُدكرُّ بها من أطلال الدار استطاع أن ينافس الهاشميين على قلب الكميت ، إن حبه لهم فحسب.

(91)

وعن ذات الوَيدِ الذي لفت الآخرين فَبَكَوا عنده، يتحدث الكميت فيرادف بين النشب والتلاد، فيقول:

(المنسرح)

أشَعْتُ ذُو لِمَّةٍ تَخَطَّاهُ الـ _____
ذُهُنُ غَنِيًّا وَمَالَهُ نَشَبٌ (1)

وفسر أبو رياش النشب بالمال. وجاء في اللسان: " النشب: المال والعقار "(2).

(المنسرح)

وقال عن الأنصار -عليهم السلام-:

لَا مِنْ تِلَادٍ وَلَا تَرَاثِ أَبٍ _____
إِلَّا عَطَاءَ الَّذِي لَهُ غَضِبُوا (3)

وفسر الشارح فقال: "التُّدُّ والتَّيْدُ والتَّالِدُ واحد و هو المال القديم"، وفي اللسان قريباً من هذا: " التلادُ كل مالٍ قديمٍ من حيوانٍ وغيره يورثُ عن الآباء "(4).

إن المجد الذي تبوأه الأنصار لم يكن دنيوياً متوارثاً عن الآباء والأجداد ولكنه شرفٌ وهبهم الله تعالى.

1- البيت العاشر، الهاشمية الثالثة، ص 103.

2- لسان العرب، (نشب).

3- البيت السادس والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص 118.

4- لسان العرب، (تلد).

(92)

وعلى نفس المنوال ينسج، منوال حبه للهاشميين وكرهه لأعدائهم، يرادف الكميت شهيد
الحب الهاشمي بين الجذب والجر والسحب، فقال عن حكام الأمويين يصف اغتصابهم الخلافة:

(الطويل)

إذا أتصَّعونا كارهين لبيعَةٍ أناخُوا لأخرى والأزمَّة تُجذب (1)

ثم يقول نافياً تعلقه بما تعلق به الآخرون من آثار الديار: (المنسرح)

ولا ذوادٍ أدلَّ مِنْهُنَّ للــــ ولِدَّةٍ ما جَرَّروا وما سَحَبُوا (2)

إن ذلك الغضب والقهر لم يزد الشاعر إلا تمسكاً بحبه وأحبته الذين ما أحبهم إلا الله حتى

لقي الله تعالى شهيداً بعدما دعا له بذلك علي بن الحسين -عليهما السلام- (3).

(93)

وعن الموضوع ذاته وهو اقتصار حبه على الهاشميين، يتكلم مرادفاً بين الادكار

والتذكر، فيقول: (الخفيف)

طَارِقَاتٍ وَلَا ادِّكَارٍ غَوَانٍ واضِحَاتِ الخُدُودِ كالآرام (4)

ثم استخدم الفعل من الادكار، فقال: (المنسرح)

مَا لِي فِي الدَّارِ بَعْدَ ساكِئِهَا وَلَوْ تَذَكَّرْتَ أهلَهَا أرب (5)

1- البيت الثاني والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 57.

2- البيت الثالث عشر، الهاشمية الثالثة، ص 104.

3- ينظر: البغدادي: خزنة الأدب، مج 1، ص 69.

4- البيت الثاني، الهاشمية الأولى، ص 12.

5- البيت الرابع عشر، الهاشمية الثالثة، ص 105.

فلا حب الديار ولا حب من سكن تلك الديار قد ملك قلب الشاعر، إن قلبه قد وقف على
حب الهاشميين دون منازع ولا مُشارك.

(94)

وفي حديثه عن شبابه يرادف الكميت في بيتين متتاليين بين، أستبي وأستلب، فيقول: (المنسرح)

وَأَسْتَبِي الكَاعِبَ العَقِيلَةَ إِذْ أَسْهُمِي الصَّائِبَاتِ والصُّؤْيُبُ
وَأشْغَلُ الفَارِغَاتِ مِنَ أَعْيُنِ الـ بِيضٍ وَيَسْأَلُنَنِي وَأَسْتَلِبُ⁽¹⁾

وقد فسر الشارح فقال: "أستبي: أذهب بعقلها، من السبي" أما السلب والاستلاب فيفسره اللسان
بقوله: "سلبه الشيء يسلبه سلباً و سلباً، واستلبه إياه... والاستلاب الاختلاس، ورجل سائب:
مُستَلَب العقل"⁽²⁾.

ولكن ما يلبث أن يتحول الشوق والميل "إلى السراج المنير أحمد" فلا يعدله عن ذلك
الميل رغبة ولا رهبة.

(95)

ويتابع حديثه عن شبابه فيتحدث الكميت عن شعره بعدما تحدث عن شوقه وميوله، إذ يرادف

بين: جتلة و اعتم، فيقول واصفاً لمتته:
(المنسرح)

إِذ لِمَتِّي جَتْلَةٌ أَكْفَتْهَا يَضْحَكُ مِنِّْي الغَوَانِي العَجَبُ⁽³⁾

1- البيتان الرابع والعشرون والخامس والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص 108.

2- لسان العرب، (سلب).

3- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص 109.

ويفسر أبو رياش الجتلة بالكثيرة، ويقول اللسان: "الجتلُ والجتيلُ من الشجر والثياب والشعر:
الكثير الملتف"⁽¹⁾. وخاطب الرسول، فقال:

(المنسرح)

مَا بَيْنَ حَوَاءٍ إِنْ نُسِبَتْ إِلَى أَمِنَةَ اعْتَمَّ نَبْتُكَ الْهَدَبُ (2)

ويفسر أبو رياش فيقول: "اعتم طال وكثف"، وفي اللسان: "يقال اعتم النبت اعتماداً إذا التفت وطال"⁽³⁾.

إن مكانة النبي من حواء إلى أمنة كالنبت الكثيف الكثير الورق والأغصان، فهي مكانة عظيمة تستحق التضحية والحب.

(96)

ومما قاله في مدح الهاشميين وذم أعدائهم، رادف بين الظهر والمطى والمنتن، وقد

(المنسرح)

وردت كلمة ظهر على سبيل المجاز في قوله:

وكان في ظهر آلِه حَدَبُ (4)

وَأَسْتَقْبَّ الشَّرُّ مِنْ مَقَادِحِهِ

(الطويل)

كما ورد على وجه الحقيقة حين قال:

فِيحْكُمُ فِينَا الْمِرْزَبَانَ الْمُرْقَل (5)

أَمْ الْوَحْيُ مِنْبُودٌ وَرَاءَ ظُهُورِنَا

(المنسرح)

وعن الناقة يقول:

يَمْسَحُ مَطَاهَا الْوَسُوقُ وَالْقَتَبُ (6)

لَمْ يَقْتَعِدْهَا الْمُعْجَلُونَ وَلَمْ

1- لسان العرب، (جتل).

2- البيت التاسع والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 112.

3- لسان العرب، (عمم).

4- البيت الثاني والسبعون، الهاشمية الثالثة، ص 122.

5- البيت الواحد والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 155.

6- البيت الثالث بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 133.

وعن حالهم في ظل الأمويين قال:

(الطويل)

بُرِينَا كَبْرِي الْقِدْحِ أَوْهَنْ مَتْنَهُ مِنْ الْقَوْمِ لَا شَارٍ وَلَا مُتَبَّئِلٌ (1)

(97)

ومن مفاخر آل البيت -عليهم السلام- الكرم، كيف لا وعميدهم صلى الله عليه وسلم لا يكاد يسأل شيئاً فيقول لا، وفي حديثه عن كرمهم ومساندته لهم، رادف الكميّ بين: أربوا، و أبخل، وضنّ فقال:

(المنسرح)

خِيَارُ مَا يَجْتَنُّونَ فِيهِ إِذَا الْـ جَانُونَ فِي ذِي أَكْفُهُمْ أَرْبُوا (2)

وفسر الشارح: " أربوا: كاسوا وضنوا بما في أيديهم "

ثم يقول عن نفسه:

(الطويل)

وَلَكِنِّي مِنْ عَلِيٍّ بِرِضَاهُمْ مُقَامِي حَتَّى الْآنَ بِالنَّفْسِ أَبْخَلُ (3)

وعن سخاء الهاشميين يقول كذلك:

(المتقارب)

إِذَا الْمَرْخُ لَمْ يُورَ تَحْتَ الْعَفَارِ وَضُنَّ بِقِدْرِ فَلَمْ تُعْقَبِ (4)

فحين يبخل الآخرون بما في أيديهم ويضنون وفي أوقات الشدة الداعية للبخل والتقتير نجد آل البيت -عليهم السلام- مثلاً للكرم.

1- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 157.

2- البيت الثامن والسبعون، الهاشمية الثالثة، ص 124.

3- البيت الثامن والثمانون، الهاشمية الرابعة، ص 180.

4- البيت الثامن عشر، الهاشمية الخامسة، ص 191.

ومن الصفات التي رادف بينها الكميت الضعف، فأورد مجموعة من المفردات الدالة

على ذلك إذ استخدم أربعة ألفاظ من الوهن هي: واه، وتوهين، وأوهى، وأوهن، مع مرادف لها

هو غبين، فقال يمدح آل البيت -عليهم السلام-:

(المنسرح)

زُهِرَ أَصِحَاءٌ لَا حَدِيثُهُمْ واهٍ وَلَا فِي قَدِيمِهِمْ عَطْبُ (1)

وبالمقابل يتكلم على واقع أولئك، فيقول:

(المنسرح)

صَعَدَهُمْ فِي كَوُودِهِ الرَّبْوُ تَو هَيْنُ قَوِيٍّ وَالسُّعَاةُ لَا الْوَتْبُ (2)

وعن معركة الثور مع الكلاب، قال:

(المنسرح)

وَنَالَ مِنْهَا الشَّوَى نَوَافِذَ كَالِـ خَاصِفٍ أَوْهَى نِعَالَهُ النَّقْبُ (3)

أما عن حال الهاشميين تحت تلك الفئة، فقال:

(الطويل)

بُرِينَا كَبْرِي الْقِدْحِ أَوْهَنَ مَتْنَهُ مِنْ الْقَوْمِ لَا شَارٍ وَلَا مَتَّيْلُ (4)

وأخيراً ندم الكميت لعدم خروجه مع زيد إمامه:

(الوافر)

دَعَانِي ابْنُ النَّبِيِّ فَلَمْ أُجِبْهُ أَلْهَقِي لَهْفَ الرَّأْيِ الْغَبِينِ (5)

ويفسر اللسان قائلًا: "والغبن: ضعف الرأي، يقال في رأيه غبنٌ، وغبن رأيه، بالكسر، إذا نُقصه،

فهو غبينٌ أي ضعيف الرأي" (1)، أما أبو رياش فلم يفسر.

1- البيت الثامن والستون، الهاشمية الثالثة، ص 121.

2- البيت السابع والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 127.

3- البيت الخامس بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 138.

4- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 157.

5- البيت الأول، الهاشمية الحادية عشرة، ص 205.

وما أكثر ما يستعين الشاعر بالقرآن الكريم، حين يمدح، أو عندما يندد ويهجو، ويتكسئ

الكميت هذه المرة على القرآن العظيم فيرادف بين وَجَدَ، أَلْفَى حين يثبت أحقية الهاشميين

بالخلافة فيقول:

(الطويل)

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُغْرِبٌ (2)

(المنسرح)

ثم يصف الهاشميين بواحدة من صفات الإمام، الشجاعة:

أَنْتُمْ مِنَ الْحَرْبِ فِي كَرَائِمِهَا بِحَيْثُ يُلْفَى مِنَ الرَّحَى الْقُطْبُ (3)

وإذا كانوا هم الأحق بالخلافة فلا بد إذن من مقومات لهذه المهمة، وأعظم بها مهمة، ومن

أبرز تلك المقومات، الشجاعة ؛ حتى يتسنى لهم الأخذ على يد الباطل وأهله.

وفي تعبير آخر عن تعلقه بآل البيت وحبهم يرادف الكميته بين السير و المشي،

(المنسرح)

فيقول مخاطباً الهاشميين:

هَلْ تَبْلَغَنَّكُمْ الْمَذْكَرَةُ الْوَجْنَاءُ وَالسَّيْرُ مِنِّي الذَّأْبُ (4)

(الطويل)

ثم يشير إلى الإرهاب الذي مورس على آل النبي ومن ناصرهم:

وَأَنِّي عَلَى حُبِّهِمْ وَتَطَّلُعِي إِلَى نَصْرِهِمْ أَمْشِي الضَّرَاءُ وَ أَخْتَلُ (5)

1- لسان العرب، (غبن).

2- البيت التاسع والعشرون، الهاشمية الثانية، ص55.

3- البيت التسعون، الهاشمية الثالثة، ص128.

4- البيت التاسع والتسعون، الهاشمية الثالثة، ص132.

5- البيت السادس والثمانون، الهاشمية الرابعة، ص179.

لقد اضطر كل من قال لتلك الفئة: لا، إما أن يواجه الاضطهاد والتكيل حتى يلقي الله تعالى، وما أكثر من اختار ذلك، أو الختل والمكر، والخوف والترقب، تحت حكم الأمويين.

(101)

وهل إلا الأرقُ سيرافق الختل والتخوف، حتى لقد انعكس ذلك على ثوره الوحشي، فكان الوصب والسهاد هو القرى والزاد، وقد رادف الكميت بين السهاد والأرق، فقال يصف الثور: (المنسرح)

فِي كِنِّ أَرْطَاتِهِ يَلُودُ بِهَا ضَيْفًا قِرَاهُ السُّهَادُ وَالْوَصْبُ (1)

وفي مطلع هاشميته السادسة يقول عن نفسه: (الوافر)

نَفِي عَنِ عَيْنِكَ الْأَرْقُ الْهَجُوعَا وَهَمْ يَمْتَرِي مِنْهَا الدُّمُوعَا (2)

وفسر أبو رياش: "والأرق: السهاد".

وإذا كان التسهيدُ هو زاد الثور فإن الأرق كان الزائر الذي نأى بالهجوم عن الشاعر، فاجتمع كلاهما: الشاعر وثوره، تحت وطأة هم مشترك كان واحداً من إفرازات ذلك النظام.

(102)

ويستنهض الكميت الأمة لتقوم ضد حكام بني أمية بعد سكوت، كأنه النوم، على معايبها فرادف بين: النوم، والنعاس، والكرى، في بيتين متتاليين جاء كلاهما لوصف حال الأمة في ظل تلك الفئة:

1- البيت السابع بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 135.

2- البيت الأول، الهاشمية السادسة، ص 195.

(الطويل)

وَقَلَّ أُمَّةٌ مُسْتَبِقِظُونَ لِرُشْدِهِمْ فَكَشِفَ عَنْهُ النَّعْسَةَ الْمُتَزَمِّلُ
فَقَدَّ طَالَ هَذَا النَّوْمُ وَاسْتَخْرَجَ الْكُرَى مَسَاوِيَهُمْ لَوْ أَنَّ ذَا الْمَيْلِ يَعْدِلُ (1)

وجاء في اللسان: " النعاس: النوم، وقيل هو مقاربتة وقيل هو ثقله " أما عن الكرى فجاء:
"والكرى: النوم، والكرى: النعاس" (2).

لقد أتى للأمة -يقول الكميت- أن تستيقظ وتثوب إلى رشدها بعد ما بانّت سوءة أهل
السوء، فلا يصح أن تنام الأمة عن حاكم ينام عن مصالحها، بل يتخذ هذه المصالح ركوبة له
ولأهوائه المريضة.

(103)

وقد رادف الكميت بين الميل والجور، فسمى ذلك الميل جوراً حين أعلن أن أولئك هم
غاية الظلم، فلا أجور ولا أظلم منهم، فلا يجد المتمثل أجور منهم يضرب به المثل على ذلك،
فقال:

(الطويل)

فَقَدَّ طَالَ هَذَا النَّوْمُ وَاسْتَخْرَجَ الْكُرَى مَسَاوِيَهُمْ لَوْ أَنَّ ذَا الْمَيْلِ يَعْدِلُ (3)
أما عن ظلم أولئك فقال:
وَمَا ضَرَبَ الْأَمْثَالَ فِي الْجَوْرِ قَبْلَنَا لِأَجْوَرَ مِنْ حُكَّامِنَا الْمُتَمَثِّلِ (4)

(الطويل)

وقد فسر اللسان الجور فقال: " وكلُّ ما مَالَ فَقَدَ جَار... وَالْجَوْرُ الْمَيْلُ عَنِ الْقَصْدِ " (5).

1- البيتان الثاني والثالث، الهاشمية الرابعة، 147.

2- لسان العرب، (نعس)، (كرا).

3- البيت الثالث، الهاشمية الرابعة، ص 147.

4- البيت الخامس والثلاثون، الهاشمية الرابعة، ص 161.

5- لسان العرب، (جور).

وَأَيُّ جَوْرٍ أَشْبَحَ مِنْ أَنْ يَقْتُلَ الْمُؤْمِنُونَ بِلِ وَآلِ بَيْتِ الرَّسُولِ، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنَّهُمْ وَقَفُوا فِي وَجْهِ الظُّلْمِ.

(104)

ومن أشبع صور الجور أن يقول المرء غير ما يفعل، بل أن يفعل أفعال الجاهلية [فمن أظلم ممن كذبَ بآياتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا] ⁽¹⁾، وقد رادف الكمييت بين القول والكلام فقال عن أولئك الحكام:

(الطويل)

كَلَامُ النَّبِيِّينَ الْهُدَاةِ كَلَامُنَا وَأَفْعَالُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ نَفْعَلُ ⁽²⁾

(المتقارب)

أما عن آل البيت -عليهم السلام- فيقول:

وَهَاتِ التَّنَاءِ لِأَهْلِ التَّنَاءِ بِأَصْوَابِ قَوْلِكَ فَالْأَصْوَابِ ⁽³⁾

إنهم أهل التناء المستحقون للتمجيد والمديح، على النقيض من أولئك الذين اقتصر الأمر عندهم على الكلام.

(105)

واستخدم الكمييت الهزل واللعب حين أشار إلى حب أولئك للدنيا ومتاعها، رغم ان الأمر هو الجد وليس الهزل، فقال:

(الطويل)

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطَوْلِهَا يُجَدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزِلُ ⁽⁴⁾

1- سورة الأنعام، آية 157.

2- البيت الخامس، الهاشمية الرابعة، ص 148.

3- البيت السابع، الهاشمية الخامسة، ص 189.

4- البيت الثامن، الهاشمية الرابعة، ص 148.

وفسر الشارح فقال: " وهزل يهزلُ: إذا لعب ". وفي واحدة من مقدماته الطللية يقول: (المقارب)

طَرَبْتِ وَمَا بِكَ مِنْ مَطْرَبٍ وَلَمْ تَتَّصَابَ وَلَمْ تَلْعَبِ (1)

شتان بين أولئك وبين أهل الهداية الذين يعلمون أن الحياة الدنيا دار ممر ومزرعة للأخرة لا بد من استغلالها فلا يحملون الأمر إلا على محمل الجد. أقول هذا علماً أن الشارح قد فسر البيت بقوله: "يقول: نحن غافلون عما إليه مصيرنا ونحن نلعب"، وحاشا لمثلهم أن يغفلوا عن مصيرهم فيلعبوا، إن الكلام في البيت يعني أولئك اللاهين الضالين كما قال قبل قليل: كلام الهداة النبيين كلامنا...، فما الغفلة عن المصير إلا من أفعال أهل الجهل والجاهلية الذين [أعمالهم كسرابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ] (2).

(106)

وفي سياقٍ من سياقات المدح للهاشميين وما يقابلها من قدح وتنديد، رادف الكميت بين مبهلة و بُهَّل و منبوذ، فقال يصف الهاشميين:

(المنسرح)

لَا يُصَدِّرُونَ الْأُمُورَ مُبْهَلَةً وَلَا يُضَيِّعُونَ دَرًّا مِمَّا حَبَّبُوا (3)

إذ يفسر أبو رياش المبهلة بالمهملة.

ثم يصف بالمقابل حال الأمة تحت حكم بني أمية، فيقول:

(الطويل)

فَتَلِكْ أُمُورُ النَّاسِ أَضْحَتْ كَأَنَّهَا أُمُورُ مُضَيِّعِ آثَرِ النَّوْمِ بُهَّلُ (4)

ويفسر أبو رياش قائلاً: " والبُهَّل: جمع باهل، وهي التي لا صرارَ عليها من الإبل فلبنها مباح" و

1- البيت الأول، الهاشمية الخامسة، ص 188.

2- سورة النور، آية 39.

3- البيت الواحد والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 125.

4- البيت الثالث عشر، الهاشمية الرابعة، ص 151.

يعلل الكميت سبب ذلك الحال من أمور الأمة: (الطويل)

أَمْ الْوَحْيُ مِنْبُودٌ وَرَاءَ ظُهُورِنَا فَيَحْكُمُ فِينَا الْمِرْزَبَانَ الْمُرْقَل (1)
فالدين منبوءٌ مهملٌ لا يعملون وفقه، وإلا لما أهملوا أحوال الرعية، وقد وضعهم الكميت في نفس الخانة مع أهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم: [...] فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون [(2)].

(107)

ونلتقي أخيراً مجموعة من المترادفات في مجال الإنسان وأحواله المختلفة، فنسمع الكميت يرادف بين: الشك، وأحسب، فيخاطب نفسه: (الطويل)
وَأَلْقِيْ فِضَالَ الشُّكِّ عَنْكَ بِتَوْبَةٍ حَوَارِيَّةٍ قَدْ طَالَ هَذَا التَّقْضُل (3)
ويمتدح آل البيت -عليهم السلام- فيقول: (المتقارب)
أَرَى لَهُمُ الْفَضْلَ وَالسَّابِقَاتِ وَلَمْ أَتَمَنَّ وَلَمْ أَحْسَب (4)
إنهم لأهل الفضائل والسابقات وأصحاب القدمة إلى الخير فلا يسبقهم إليه غيرهم، ذلك هو اليقين فلا شك في ذلك ولا هو من باب الأمانى.

1- البيت الواحد والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 155.
2- آل عمران، آية 187.
3- البيت الواحد والتسعون، الهاشمية الرابعة، ص 181.
4- البيت الحادي عشر، الهاشمية الخامسة، ص 189.

الحيوان

(1)

وقد استخدم الكميت في هاشمياته مترادفات حين تحدث عن الحيوان، فأورد مترادفات للصفات وللأصوات وللأعضاء وغيرها، ومما رادف بين ألفاظه أسماء الحيوان، إذ رادف بين: الأنعام، والبهام، ذلك في سياق الاحتجاج والمناظرة والجدل الذي أداره الشاعر من طرف واحد؛ ضناً بالهاشميين ومكانتهم⁽¹⁾، فيقول مقارناً بين سياسة الهاشميين وسياسة حكام بني أمية:

(الخفيف)

سَاسَةَ لَا كَمَنْ يَرَى رِعْيَةَ النَّاسِ سِ سَوَاءٍ وَرِعْيَةَ الْأَنْعَامِ
جَزُؤِ ذِي الصَّوْفِ وَانْتِقَاءِ لِذِي الْمُخْتَلَفِ وَانْعَاقِ وَدَعْدَعًا بِالْبَهَامِ⁽²⁾

(الخفيف)

كما رادف بين هذين اللفظين وبين النتائج، حين قال:

رَأَيْتُهُ فِيهِمْ كَرَأْيِ ذَوِي النَّاسِ فِي النَّاتِجَاتِ جُنْحَ الظَّلَامِ⁽³⁾

وأقول يرادف بين هذه الثلاثة انطلاقاً من أن الشاعر يصف سياسة أولئك للأمة، التي لا تختلف عمّن اتخذ قطيعاً من الإبل أو البقر أو الغنم جانباً خيره، بل إن من يتخذ القطيع من الحيوانات لا بد له أن يرهاها ويحافظ عليها ليفيد منها، لكن تلك الفئة قد سخرت الأمة لفائدتها ولم تقدم لها أي خير، علاوة على تنكيلها بها، كما يصف الكميت ذلك حين يقول: (الطويل)

وَلَوْ وُلِّيَ الْهُوجُ النَّوَائِجَ بِالذِّي وَوَلَّيْنَا بِهِ مَا دَعْدَعَ الْمُتْرَخَّلِ⁽⁴⁾

1- ينظر: ضيف، شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 377.

2- البيتان الخامس والثلاثون والثامن والثلاثون، الهاشمية الأولى، ص 23 و 24.

3- البيت السابع والثلاثون، الهاشمية الأولى، ص 24.

4- البيت الخامس والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 157.

(2)

وقد سمي الكميّة ولأية الهوج تلك بمترادفين: الرّعي والإسامة، وذلك في سياق جدله واحتجابه، تلك الخصلة التي اكتسبها من تتلمّذه على واصل بن عطاء رأس المعتزلة، فصاغ الفكر الشيعي الزيدي شعراً واحتج له وجادل عنه (1).

يقول مادحاً الهاشميين: (الخفيف)

ساسة لا كمن يرى رعيّة النا س سواء ورعيّة الأنعام (2)

بينما ولأية السوء على العكس من ذلك فهم: (الطويل)

رُدافى علينا لم يُسيموا رعيّة وهمهم أن يمتروها فيحلبوا (3)

(3)

كما رادف الكميّة كذلك بين الأسد والليث حين مدح آل البيت عامّة، وعندما خصّ علياً

-عليه السلام - بذلك فقال: (الخفيف)

فهمُ الأسدُ في الوغى لا اللّواتي بين خيس العرين والآجام (4)

ثم قال في مدح الإمام علي -عليه السلام -: (الوافر)

وليثاً في المشاهد غير نكس لتقوم البريّة مسنّططيعاً (5)

1- ينظر: ضيف، شوقي: التطور والتجديد، ص 280.

2- البيت الخامس والثلاثون، الهاشمية الأولى، ص 23.

3- البيت الثالث والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 57.

4- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 20.

5- البيت التاسع عشر، الهاشمية السادسة، ص 199.

ويبدو الاستخدام المجازي واضحاً في كليهما ؛ إذ قصد الشاعر إلى إثبات صفة الشجاعة في الهاشميين كردٍ مطلوبٍ لطغيان الظلم والاستبداد، فلا يقلّ الحديد إلى الحديد.

(4)

ومن الأسماء التي رادف بينها الكمية في عالم الحيوان، أسماء الكلاب، إذ سمى الكلاب: المستولغات، و الضاريات، و الضراء، وكلها تحدث فيها عن الثور، فقال في مباحثة الكلاب:

(الطويل)

فباكره والشمس لم يبدُ قرئتها بأحدائه المستولغات المكَّلب (1)
ويفسر أبو ريش المستولغات: "التي عودت أن تلغ الدماء".

(الطويل)

لكن الثور يقاوم ويذود ولا يستسلم لتلغ الكلاب من دمه:
يذود بسخماويه من ضارياتها مذاقيع لم يغثت عليهن مكسب (2)

ويفسر الشارح قائلاً: "والضاريات: الكلاب، والذكر فيهن، ضرو، والأنثى ضروة، والواحد ضارٍ"، ولكن اللسان يخص نوعاً من الكلاب وليس كل الكلاب: "وضري الكلب بالصيد إذا تطعم بلحمه ودمه... وفي الحديث: من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو ضارٍ، أي كلباً معوداً بالصيد، يقال ضري الكلب، وأضره صاحبه أي عوده وأغراه به، ويجمع على ضوارٍ،... والضرو، بالكسر الضاري من أولاد الكلب، والأنثى ضروة" (3).

(المنسرح)

ثم استخدم الضراء في قوله:
فاستلحمت الضراء في هبوة النـ
قع بجيد كأنه اللعيب (4)

1- البيت الواحد والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 96.

2- البيت الرابع والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 97.

3- لسان العرب، (ضرا).

4- البيت الحادي عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 136.

ويفسر الشارح هنا ذات التفسير السابق، تقريباً: "والضراء: الكلاب، الذكر ضرور والأنثى ضرورة".

(5)

ومما له علاقة بالحيوان، صوته، وقد رادف الكميت بين صاح و شَحَجَ، وَنَعَبَ، وهي

أسماء لصوت الغراب، فقال:

(الطويل)

ولا أَنَا مَمَّنْ يَزْجُرُ الطَيْرَ هُمُهُ أَصَاحَ غُرَابٍ أَمْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبِ (1)

وقال كذلك:

(المنسرح)

أَبْرِحْ بَمَنْ كَلَّفَ الدِيَارَ وَمَا تَزَعُمُ فِيهِ الشَّوَاحِجُ النَّعْبِ (2)

وفسر أبو ريش فقال: " والشواحج: الغربان، الواحد شاحج، ويقال شَحَجَ، وَنَعَبَ، وَنَعَقَ"

إن الشاعر لم يلتفت إلى كل هذه الهموم، بل لقد نظر إليها نظرة ازدياء كما الدنيا كلها

وجعل همه الأوحد حب آل البيت -عليهم السلام- والدفاع عنهم.

(6)

وزادف الكميت كذلك بين القرن والأسحم، فنفى عن نفسه تعلقها بما اعتاد الآخرون

التعلق به، يقول:

(الطويل)

ولا السَّانِحَاتُ البَارِحَاتُ عَشِيَّةَ أَمْرًا سَلِيمُ الْقَرْنِ أَمْ مَرًّا أَعْضَبِ (3)

وقال كذلك عن الثور:

(الطويل)

يَذُودُ بِسَحْمَاوِيهِ مِنْ ضَارِيَاتِهَا مَدَاقِيعَ لَمْ يَغْتَبْ عَلَيْهِمْ مَكْسَبِ (4)

1- البيت الثالث، الهاشمية، الثانية، ص 44.

2- البيت العشرون، الهاشمية الثالثة، ص 106.

3- البيت الرابع، الهاشمية الثانية، ص 44.

4- البيت الرابع والثلاثون، بعد المنة، الهاشمية الثانية، ص 97.

ويرادف من بين أعضاء الحيوان بين النحر و الزور و الصدر فقال يصف سرعة

الناقة:

(الطويل)

كَأَنَّ ابْنَ أَوَى مُوثِقٌ تَحْتَ زَوْرِهَا يُظْفَرُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا يُنْيَبُ (1)

وفسر أبو ريش فقال: " الزور: اللبان وهو الصدر وعظامه ".

(الطويل)

وفي وصف المعركة بين الثور والكلاب استخدم النحر:

فَرَابَ وَكَابَ خَرًّا لِلْوَجْهِ فَوْقَهُ جَدِيَّةٌ أوداجٌ عَلَى النَّحْرِ تَشْخَبُ (2)

وجاء في اللسان: "النحر: الصدر" (3)، علماً أن أبا ريش لم يفسره.

(المنسرح)

ويذكر الكميت الصدر صراحةً فيقول عن القطا:

يَحْمِلُنَ فَوْقَ الصُّدُورِ أَسْقِيَّةً لَغَيْرِهِنَّ الْعِصَامُ وَالْخُرْبُ (4)

وإذا كان عنتره قد سبق الكميت إلى وصف سرعة الناقة بتلك الصورة، حين قال:

(الكامل)

هَرٌّ جَنِيْبٌ كَمَا عَطَفَتْ لَهُ أَهْوَى إِلَيْهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْفَمِ (5)

كما يورد الشارح، فإن تناول الكميت للمعنى يختلف عنه لدى عنتره؛ فالأمر عند شاعر آل البيت لا يعدو الإسراع إلى من أحبهم من دون الناس وشرى كل شيء في الحياة بهم فاشتراهم.

1- البيت الرابع عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 89.

2- البيت الخامس والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 98.

3- لسان العرب، (نحر).

4- البيت الثاني والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 141.

5- ديوان عنتره ص 22.

ونلتقي الناقة في مبركها قبل أن تتطلق مسرعة إلى أحبة الشاعر، فنراه يرادف بين

(الطويل)

المناخ والمبرك، فيقول في بيتين متتاليين:

بمَرَعَوْبَتِي هَوَجَاءَ وَالْقَلْبُ أَرَعَبُ
ذَوَائِلَ صُهَيْبًا لَمْ يَدْنِهِنَّ مَشْرَبُ⁽¹⁾

إِذَا مَا أَحْزَلْتِ فِي الْمَنَاحِ تَلَفَّتِ
إِذَا انْبَعَثَتْ مِنْ مَبْرَكٍ غَادَرَتْ بِهِ

(المنسرح)

ومن المناخ والمبرك يرادف بين بروكاً وأنخن فيقول:

الْقَفْرِ بَرُوكًا وَمَا لَهَا رُكْبُ⁽²⁾

وَلَمْ تَهْجَيْ الظُّوَارُ فِي الْمَنْزِلِ

(المنسرح)

وشبه الأثافي بالإبل، فقال:

وَمَا غَيْرَهُنَّ الْهِنَاءُ وَالْجَرَبُ⁽³⁾

أُنْخِنَ أَدْمًا فَصِرْنَ دُهْمًا

واستخدم الشاعر، أناخوا، على وجه الحقيقة حين صور أولئك وإكراههم للناس على

(الطويل)

البيعة، فقال:

أَنَاخُوا لِأُخْرَى وَالْأَزِمَّةُ تُجَذَّبُ⁽⁴⁾

إِذَا اتَّضَعُونَا كَارِهِينَ لِبَيْعَةٍ

(الطويل)

كما يرادف الشاعر بين يدنه وبين نضخت ويتبلل، في قوله:

بِأَصْرَةِ الْأَرْحَامِ لَوْ يَتَّبَلُّ⁽⁵⁾

نَضَخْتُ أَدِيمَ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ

إذ يفسر الشارح: "نضخت: بللت".

ويصف الكميت ناقتة مرة أخرى، بالسرعة والذكاء كما يقول الشارح في تفسيره، ومن علامات قوتها طول عهدها بالأكل والشرب، ليتسنى للشاعر القدرة على مواجهة من نكل وتجبر، ذلك بعدما فشل في محاولاته بل أديم الود معهم كما يقول.

1- البيتان الخامس عشر والسادس عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 89.

2- البيت الرابع، الهاشمية الثالثة، ص 101.

3- البيت السابع، الهاشمية الثالثة، ص 102.

4- البيت الثاني والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 57.

5- البيت الثاني بعد المئة، الهاشمية الرابعة، ص 185.

(9)

ويرادف الكميت بين، يساط ويضرب في كلامه عن الناقة وعن الثور، فكانت ناقته
لخفتها وسرعتها كأنها تضرب من زجر ناقة أخرى، وكذلك الثور ولّى مسرعاً كأنه يساط
ويكلب، وما هو كذلك، يقول عن الناقة: (الطويل)
إذا اعصوبت في أُنُقٍ فكأنما بزجرة أخرى في سواهن تُضرب (1)
وفي وصف الثور يقول: (الطويل)
وولّى بأجرياً ولافٍ كأنه على الشرف الأعلى يساط ويكلب (2)

إنها من مقومات المعركة بين الحق والباطل، فلا بد من السرعة مع القوة، فبعد أن
انتصر الثور على الكلاب ولّى مسرعاً ولم يعقب، وفرق بين أن يفعل هذا منتصراً وبين أن
يفعله مهزوماً، لقد فرغ من معركة ليستعد لما بعدها.

(10)

وفي حديثه عن تلك المعركة التي تكللت بالنصر كما أراد لها الكميت الذي يشعر بمرارة
القهر، رادف بين نوافذ وسموم حين قال: (المنسرح)
ونال منها الشوى نوافذ كالـ خاصيف أو هي نعاله النقب (3)
فقد نال الثور من الكلاب نوافذ في موضع الشوى وهي الأطراف كما يقول الشارح. أما السموم
فجاءت في حديثه عن القطا: (المنسرح)
مثل الكلا غير أن رؤسها تهتز فيها السموم والشعب (4)

1- البيت السابع عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 90.

2- البيت السادس والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 98.

3- البيت الخامس عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 138.

4- البيت السابع والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 143.

إذ فسر أبو رياش فقال: "والسموم: جمع سم وهي الأعين والأذان والمناخر، وكل ثَقَبٍ فهو سَمٌّ وسَمٌّ، وكذلك السَمُّ القاتل: سَمٌّ وسَمٌّ". كما رادف الكميت بين الخاصف في البيت الأول من

هذين البيتين وبين الخالقات في قوله عن حواصل القطا: (المنسرح)

لَمْ يَجْشَمِ الْخَالِقَاتُ فَرِيَّتَهَا وَلَمْ يَغِيْضُ مِنْ نِطَافِهَا السَّرْبَ (1)

ويفسر الشارح قائلاً: "الخالقات: المقدرات، وهن الخارزات"، ويفسر اللسان الخصف فيقول: "خَصَفَ النعلَ يَخْصِفُهَا خَصْفًا: ظاهر بعضها على بعض وخرزها... وفي الحديث أنه كان يَخْصِفُ نعله، وفي آخر: وهو قاعد يَخْصِفُ نعله أي كان يخرزها" (2).

(11)

ومن صفات الحيوان، والبشر كذلك التي رادف بين ألفاظها: الضعف والهزال، فقد أورد الكميت خمسة مترادفات: حدابير، وحراجيج، وأنقاض، و شُرْبُ، ونهزل، يقول واصفاً الإبل بهزها: (الخفيف)

رَدَّهِنَّ الْكَلالَ حُذْباً حَدَابِيرِ — رَوَحَدُ الْإِكَامِ بَعْدَ الْإِكَامِ (3)

وفسر أبو رياش الحدابير بالمهازيل، الواحد حِدْبَار. ثم يقول متمماً وصف ضعف الإبل وهزالها: (الخفيف)

فِي حَرَا جِيجٍ كَالْحَنِيِّ مَجَاهِيرِ — ضَ يَخِذْنَ الْوَجِيفَ وَخَدَ النَّعَامِ (4)

1- البيت الثالث والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 141.

2- لسان العرب، (خصف).

3- البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 39.

4- البيت التاسع والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 40.

وقد فسر الشارح فقال: " الحراجيج الإبل الطوال على وجه الأرض من الضمور، الواحد حُرْجُوج "، وفي لسان العرب: "والحَرَجَ والحُرْجُوج: الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض، وقيل الشديدة، وقيل هي الضامرة وجمعها حراجيج" (1). وغني عن الايضاح أن المقصود في البيت هو الضمور دون غيره؛ كيف لا وهو يصفها كالحنى أي كالقسي.

وجاءت، الشُّزْبُ في قوله: (المنسرح)

تَحْمِلُ كِيرَانَهُمْ عَلَى الْأَيْنِ وَالـ فِتْرَةَ مِنْهَا الْأَيَانِقُ الشُّزْبُ (2)

ويفسر أبو رياش الشُّزْبُ بالضوامر، والواحد شازب.

وأتى المرادف، أنقاض، في كلامه عن حكام بني أمية: (الطويل)

إِذَا قِيلَ هَذَا الْحَقُّ لَا مَيْلَ دُونَهُ فَأَنْقَاضُهُمْ فِي الْغَيِّ حَسْرَى وَلُغْبُ (3)

وجاء في اللسان في معنى الأنقاض: " والنَّقْضُ والنَّقْضَةُ: هما الجمل و الناقة اللذان قد هزَلْتَهُمَا وأدْبَرْتَهُمَا، والجمع الأنقاض " (4).

بينما جاء المرادف الأخير، نهزل، في خطاب الشاعر لحكام بني أمية يناقشهم فيدمغهم

بالواقع المرير: (الطويل)

فَكَيْفَ وَمِنْ أُنَى وَإِذْ نَحْنُ خِلْفَةُ فَرِيقَانِ شَتَى تَسْمَنُونَ وَنَهْزَلُ (5)

وبعد هذه المفردات المترادفة، يرادف الكميت بتركيب:

1- لسان العرب، (حرج).

2- البيت السابع عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 139.

3- البيت السابعون، الهاشمية الثانية، ص 73.

4- لسان العرب، (نقض).

5- البيت التاسع عشر، الهاشمية الرابعة، ص 154.

(الطويل)

بَرِينَا كَبِيرِي الْقَدْحِ أَوْهَنْ مَتْنَهُ مِّنَ الْقَوْمِ لَا شَارٍ وَلَا مَتَنَّبِلٍ⁽¹⁾

إن الهزال والضعف ليجمع بين الطرفين: الشاعر والإبل، لكن ما يفرق بينهما أن سبب الهزال في الإبل هو الشوق الذي اكتسبته من راعيها بينما يأتي الأمر عند الشاعر بسبب علاقته مع أولئك الحكام.

(12)

ومن صفات الحيوان كذلك ما أورده الكميت حين تحدث عن الفقة تلك يوم اتخذت الدين مطية، فرادف بين صعب ومحرم، وهو الجمل لم يذل في الركوب، في صورة تعبر عن ذلك الضلال، يقول:

يَرُوضُونَ دِينَ اللَّهِ صَعْباً مُحَرَّمًا بِأَفْوَاهِهِمُ وَالرَّائِضُ الدِّينَ أَصْعَبُ⁽²⁾

وأي روضٍ وتذليلٍ أسوأ من تلك الرياضة، إنهم يسخرون ويروضون دين الله تعالى.

(13)

ويرادف الكميت بين معنيين لقشر البيض الأعلى: القيض والخراشي، ذلك عندما يتحدث عن الناقة والقطاء، قائلاً:

تَرَى الْمَرَّوَّ وَالكَدَّانَ يَرْفُضُ تَحْتَهَا كَمَا ارْفَضَ قَيْضُ الْأَفْرُخِ الْمُتَّقَوَّبِ⁽³⁾

1- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص 157.

2- البيت الثالث والستون، الهاشمية الثانية، ص 69.

3- البيت الثامن عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 90.

ويُفسر أبو رياش القَيْض بقشر البيضة الأعلى.

(المنسرح)

ويأتي بالخراشي حين يصف القطا قائلاً:

مُتَّخِذَاتٍ مِنَ الْخِرَاشِيِّ كَالـ_____ حَلِيَّةٍ مِنْهَا السُّمُوطُ وَالْحُقْبُ (1)

ويُفسر الشارح قائلاً: "الخراشي: قشور البيض، الواحد خِرْشاء... والغرقى والخرشاء واحد، والغليظ من القشر القَيْض، والرقيق الغرقى" مما يوحي أنه يفسر الخرشاء بالقشر الرقيق علماً أنه لم يشر إلى نوع القشور إن كان الغليظ أم الرقيق، حيث قال: الخراشي: قشور البيض، وفي اللسان: "والخرشاء: قشرة البيض العليا اليابسة... وفي التهذيب: الخرشاء جلدة البيضة الداخلية وجمعه خراشي، وهو الغرقى. والخرشاء قشرة البيضة العليا بعد أن تكسر ويخرج ما فيها" (2). وجاء في فصل الغين المعجمة من حرف الهمزة من اللسان: "الغرقى: قشر البيض الذي تحت القَيْض. قال الفراء همزته زائدة لأنه من الغرق. وغني عن الإشارة إلى أن ما يمكن أن تتخذه القطا كالحلية إنما هو القَيْض دون الغرقى.

(14)

ومن الإبل ما تحمل فقط وقد شبه الكميت الهاشميين بالإبل التي تحمل المتاع والطعام أو الماء أو تلك التي تُحمل الدِّيات، وأعظم به حملاً، ويستخدّم لهذا المديح، مترادفات: الروايا والزوامل، فيقول:

(الخفيف)

وَالرَّوَايَا الَّتِي بِهَا يَحْمِلُ النَّاسُ وَسُوقَ الْمُطَبَّعَاتِ الْعِظَامِ (3)

1- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص 142.

2- لسان العرب، (خرش).

3- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص 142.

وقد فسر أبو رياش الروايا: " الإبل التي يُحمل عليها، والروايا من الناس: الذين يحملون الحمالات شبههم بالإبل "، وجاء في لسان العرب: "الروايا من الإبل: الحوامل للماء، واحدها راوية".⁽¹⁾

أما الزوامل فجاءت في قوله عن آل البيت -عليهم السلام-: (الخفيف)

أخذوا القَصْدَ واستَقَاموا عليه حينَ مَالَتْ زَوَامِلُ الأَثَامِ⁽²⁾

وفسر الشارح فقال: "الزوامل: التي يحمل عليها الحمولة من الإبل، وشبه حملة الأثام بالزوامل". أما اللسان فشرحها قائلاً: "الزاملة: بعيرٌ يستظهر به الرجل، يحمل عليه متاعه وطعامه"⁽³⁾.

إنهم أسُّ الحياة وأساسها، وهل تقوم حياة إلا بالطعام والماء الذي جُعِلَ منه كل شيءٍ حي، وليس هذا فحسب، فإذا ما قُطِعَت حياة هنا أو هناك فهم الذين يتحملون عبء التعويض عنها، فيحملون الديات لتستمر الحياة.

(15)

وحيث نتحدث عما يَحْمِلُ فلا بد من الكلام عما يُحْمَلُ، وقد رادف الشاعر بين الوُسُوقِ و

الأعكام، فقال: (الخفيف)

وَالرُّوَايَا الَّتِي بِهَا يَحْمِلُ النَّاسُ سِوَسُوقِ الْمُطَبَّعَاتِ العِظَامِ⁽⁴⁾

¹ - لسان العرب، (روي).

² - البيت الثالث والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 25.

³ - لسان العرب، (زمل).

⁴ - البيت العاشر، الهاشمية الأولى، ص 14.

وفسر أبو ريش الوسوق بالأحمال، الواحد وَسَقٌ، أما اللسان فقد فصل إذ قال: "الْوَسَقُ: الحَمَلُ، وكل شيء وَسَقَتَهُ فقد حملته... وقال الخليل: الوَسَقُ هو حمل البعير، والوَقْرُ حِمْلُ البغل أو الحمار" (1).

أما الأعكام فجاءت في قول الكميت يمدح الهاشميين:

عَيْرَاتِ الفِعَالِ وَالْحَسَبِ العَوُ
دِ إِلَيْهِمْ مَخْطُوطَةَ الأعْكَامِ (2)

ويقول أبو ريش عن الأعكام الأعدال، الواحد عِكْمٌ، وفي اللسان: "والعِكْمُ: العِدل ما دام فيه المتاع... كل عِدلٍ عِكْمٌ وجمعه أعكام وعُكُوم" (3). ونلاحظ أن اللفظين قد استعملتا مجازياً... فالهاشميون يحملون الخير إلى الآخرين؛ لأنهم هم أهل الخير الذي انتهى إليهم وحط في ساحاتهم رحاله، فلا يتحول عنهم.

الحرب

(1)

وفي حديثه عن الحرب مادحاً آل البيت -عليهم السلام- يرادف الكميت بين ألفاظ ثلاثة

هي: الحرب، والوغي، والصّرّام، يقول مادحاً:

وَإِذَا الحَرْبُ أومَضَتْ بِسَنَا البِرِّ
قِ وَسَارَ الهُمَامُ نَحْوَ الهُمَامِ (4)

ويأتي بجواب الشرط قائلاً:

فَهُمُ الأَسْدُ فِي الوَغَى لا اللّوَاتِي
بَسِينِ خَيْسِ العَرِينِ والأَجَامِ (5)

1- لسان العرب، (وسق).

2- البيت الرابع والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.

3- لسان العرب، (عكم).

4- البيت الرابع والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 19.

5- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 20.

حيث يفسر أبو ريش قائلًا: " والوغي: الضجيج في الحرب ". ولكن بالرجوع إلى اللسان نجد أنه يقول: " الوغي: الصوت، وقيل: الوغي الأصوات في الحرب مثل الوغي، ثم كثر ذلك حتى سموا الحرب وغي... والوغي: الحرب نفسها "(1) أما اللفظ الثالث وهو الصرام فيورده الشاعر مادحاً علياً -عليه السلام-:

(الخفيف)

جَرَدَ السَّيْفَ تَارَتَيْنِ مِنَ الدَّهْمِ — — — — —
سِرَّ عَلَى حِينِ دَرَةٍ مِنْ صَرَامٍ (2)

ويفسر اللسان فيقول: "وصرام: من أسماء الحرب، قال الكميت: جرد السيف... البيت " حيث يفرق بين صرام بالفتح وصرام بالضم حين يتابع قائلًا: "وفي الألفاظ لابن السكيت: صرام: داهية وأنشد بيت الكميت على حين درة من صرام "(3)، بينما يفسرها أبو ريش فيقول: " وصرام: يعني الحرب وهو الداهية " دون أن يلفت إلى حركة الصاد.

فهم أسود حرب لا أسود آجام إذا ما استعرت نار الحرب واضطربت، فهي الشجاعة إحدى شروط الإمام لدى الزيدية التي نظراً لها الكميت يصف بها الهاشميين عامة، وعلياً -عليه السلام- على وجه الخصوص.

(2)

ومن أدوات الحرب الرماح، حيث يسمى الكميت الرماح أربعة أسماء: القنا، وأرماع، و عوالي، وأسنة، فيقول عن الأنصار:

(الطويل)

وَهُمْ رَمَوْهَا غَيْرَ ظَارٍ وَأَشْبَلُوا
عَلَيْهَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَتَحَدَّبُوا (4)

ويورد مرادفاً آخر، أرماع، حين يقول:

1- لسان العرب، (وغي).

2- البيت السبعون، الهاشمية الأولى، ص32.

3- لسان العرب، (صرم).

4- البيت الرابع والخمسون، الهاشمية الثانية، ص 65.

(الطويل)

وشَاطَ على أرمَاحِنَا بادِّعَائِهَا وتَحَوَّلِيهَا عَنكُم شَبِيبٌ وَقَعَنَابٌ (1)

(الطويل)

ثم يصف أمير المؤمنين علياً، فيقول:

لَهُ سُنَّتَرْتَا بَسْطِ فَكَفُّ بِهَيْدِهِ يُكْفُّ وبِالْأُخْرَى الْعَوَالِي تُخَضَّبُ (2)

(الطويل)

ويصف أخيراً مقتل الحسين -عليه السلام-، فيقول:

إِذَا شَرَعْتَ فِيهِ الْأَسِنَّةُ كَبَّرْتَ غَوَاتُهُمْ فِي كُلِّ أَوْبٍ وَهَلَّلُوا (3)

أية مفارقة نرى عند أولئك الحكام، فالإمام علي -عليه السلام- قد خضَّب العوالي بدماء أعداء الدين، بينما نرى بعد ذلك ابنه الحسين -عليه السلام- تُشَرَعُ فِيهِ الْأَسِنَّةُ فَيَكْبُرُ أَوْلِيكَ ابْتِهَاجاً وَغِبْطَةً.

الطبيعة

(1)

ظهرت الطبيعة بمقوماتها المختلفة، في الهاشميات بشكل واضح كوسيلة من الوسائل التي اتخذها الكميت للوصول إلى هدفه الأوحى في الهاشميات وهو مدح آل البيت -عليهم السلام- والتنظير لهم ولحقهم المضيع، ومن مفردات الطبيعة السحاب الذي استخدم الكميت كلمات عدة للتعبير عنه: غمام، وهيدب، وعارض، ومزن، وسحاب، والصُرَاد، والجَهِام، يقول في

(الخفيف)

مقتل الحسين -عليه السلام-:

قَتَلَ الْأَدْعِيَاءَ إِذْ قَتَلُوهُ أَكْرَمَ الشَّارِبِينَ صَوْبَ الْغَمَامِ (4)

1- البيت الثامن والخمسون، الهاشمية الثانية، ص 67.

2- البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الثانية، ص 84.

3- البيت السابع والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص 168.

4- البيت السابع والسبعون، الهاشمية الأولى، ص 35.

وفسر الشارح الغمام بالسحاب الأبيض، وجاء في اللسان ما نصه: "والغمامة، بالفتح: السحابة، والجمع غمام وغمائم... وإنما سمي غماماً لأنه يَغْمُ السماء أي يسترها"⁽¹⁾.

وجاء لفظ السحاب في قول الشاعر:

(الطويل)

إِذَا نَشَأَتْ مِنْهُمْ بِأَرْضِ سَحَابَةٍ فَلَا النَّبْتُ مُحْظُورٌ وَلَا الْبَرْقُ خَلْبٌ⁽²⁾

ويفسر الشارح فيقول: "أول ما ينشأ من السحاب النَّشْء وهو سحابٌ أسود ينشأ من أقطار السماء". أما لسان العرب فيقول عن النَّشْء: "وقيل: النَّشْء أن ترى السحاب كالملاء المنثور. النَّشْء والنَّشْيء: أول ما ينشأ من السحاب ويرتفع وقد أنشأه الله... وفي الحديث كان إذا رأى ناشئاً في أفق السماء أي سحاباً لم يتكامل اجتماعه واصطحابه"⁽³⁾، ولا نبالغ إذا ما اعتبرنا أن إنشاء السحاب عند الكمية قد جاء بأثر من قوله تعالى: [وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ]⁽⁴⁾. وعن السحابة يقول: "والسحابة: الغيم. والسحابة التي يكون عنها المطر، سميت بذلك لانسحابها في الهواء"⁽⁵⁾. وإذا كان المرادفان السابقان قد استخدمتا على سبيل الحقيقة، فإن مرادفين آخرين، عارض ومزن، قد استعملهما الشاعر من باب المجاز:

(الطويل)

فَإِنْ يَجْمَعُ اللَّهُ الْقُلُوبَ وَتَلْقَهُمْ لَنَا عَارِضٌ مِنْ غَيْرِ مُزْنٍ مُكَلَّلٍ⁽⁶⁾

ويقول الشارح في تفسيره: "يقول هذا العارض من غير مزن أي مطر، وليس من سحاب ولكنه جيش مكلل بالرجال والسلاح... والمزن: السحاب الأبيض"، ونلاحظ أن الشارح قد فسر المزن أولاً بالمطر حين قال: من غير مزن أي مطر، الأمر لم يوفق فيه؛ فالمزن هي الغيم كما يقول الشارح فيما بعد. أما اللسان فيفسر العارض والمزن قائلاً: "والعارض: السحاب المطل يعترض

1- لسان العرب، (غمم).

2- البيت الرابع والثمانون، الهاشمية الثانية، ص 78.

3- لسان العرب، (نشأ).

4- سورة الرعد، آية 12.

5- لسان العرب، (سحب).

6- البيت الثالث والستون، الهاشمية الرابعة، ص 171.

في الأفق⁽¹⁾، وقد جاء في قوله تعالى: [فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا]⁽²⁾. أما المزن فيقول اللسان فيها: "والمزن: السحاب عامة وقيل السحاب ذو الماء واحده مَزْنَةٌ، وقيل المزنة السحابة البيضاء، والجمع مزنٌ... قال ابن

الأثير: المزن وهو الغيم والسحاب"⁽³⁾.

(الطويل)

ومرادف آخر للسحاب هو الهيدب:

مَلِثٌ مُّرِبٌ يَحْفِشُ الْأَكْمَ وَذَقَهُ شَابِيبٌ مِنْهَا وَاذِقَاتٌ وَهَيْدَبٌ⁽⁴⁾

وقد فسر أبو ريش الهيدب بالمُتْدَانِي من السحاب، مشتق من هُذِب الثوب، ويفسر اللسان فيقول: "والهيدب: السحاب الذي يتدلى ويدنو مثل هذب القطيفة. وقيل: هيدب السحاب: ذيله... الجوهرى: هيدب السحاب ما تهذب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط"⁽⁵⁾

ونوعان آخران من السحاب وهما غير ماطرين بعكس ما سبق، هما الصُرَاد، و

(المنسرح)

الجهام، أوردهما الكميث في بيت يقول:

هَاجَتْ لَهُ الْحَرْجَفُ الْبَلِيلُ بِصُرٍّ اِدِجَهَامٍ وَالْحَاصِبُ الْحَصِيبُ⁽⁶⁾

وفسر أبو ريش فقال: "والصُرَاد سحاب رقيق بارد، وهو جمع وواحد". ويضيف اللسان: "لا ماء فيه"⁽⁷⁾. ويضيف أبو ريش: "والجهام: السحاب الذي هراق ماءه"، وكذا اللسان فسر بنفس المعنى.

1- لسان العرب، (عرض).

2- سورة الأحقاف، آية 24.

3- لسان العرب، (مزن).

4- البيت الثامن والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 95.

5- لسان العرب، (هدب).

6- البيت الخامس بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 134.

7- لسان العرب، (صرد).

وأقرب ما يكون للسحاب بناته وهي المطر الذي اتخذ منه الشاعر وسيلة للمدح والهجاء، والدفاع عن الحق المهتَضَم، وقد رادف الكميت في تعبيره عنه بين: صوب، والودق الجود، والوابل، يقول الكميت عن مقتل الحسين -عليه السلام-:

قَتَلَ الْأَدْعِيَاءَ إِذْ قَتَلُوهُ أَكْرَمَ الشَّارِبِينَ صَوْبَ الْغَمَامِ (1)

والصوب هو المطر كما يقول أبو رياش. ويستعمل الكميت المرادف الآخر، الودق، في قوله:

مِلْتُ مُرِبًّا يَحْفِشُ الْأَكْمَ وَدَقُّهُ شَأْبِيبُ مِنْهَا وَادِقَاتُ وَهَيْدَبِ (2)

وفسر الشارح الودق بالمطر، وكذا اللسان: "الودق: المطر كله، شديده وهَيْدَبِه" (3)، وفي التتزيل الكريم: [فَتَرَى الْوَدَقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ] (4).

وورد مرادف آخر، الجود، في قوله:

أَبْرَقَ لِلْمُسْتَنِينَ عِنْدَكُمْ بِالْجَوْدِ فِيهَا النَّهَاءُ وَالْعُشْبِ (5)

وقال أبو رياش مفسراً: "والجود هو المطر، يقال جادت السماء تجود جوداً"، لكن اللسان يصف هذا المطر، حيث يقول: "وجاد المطر جوداً: وبَلَّ فهو جائد، والجمع جَوْد، مثل صاحب وصخب... ومطرٌ جودٌ: بيّن الجود غزير، وفي المحكم: يروي كل شيء، وقيل: الجود من

1- البيت السابع والسبعون، الهاشمية الأولى، ص 34.

2- البيت الثامن والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 95.

3- لسان العرب، (ودق).

4- سورة النور، آية 43. والروم، آية 48.

5- البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الثالثة، ص 131.

المطر الذي لا مطر فوقه البتة⁽¹⁾. ومثل الجود بغزارته، الوابل حيث يقول متوعداً حكام بني أمية:
(الطويل)

لنا عارضٌ ذو وابلٍ أطلقت له وكاء ردى الأبطال عزلاءً تسجل⁽²⁾

والوابل هو المطر الشديد كما يفسره أبو رياش، وفسره اللسان فقال: "الوَيْلُ و الوَابِلُ: المطر الشديد الضخم القطر"⁽³⁾. ومنه قوله تعالى: [أَصَابَهَا وَاِبِلٌ فَاَتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ]⁽⁴⁾.

ويجمع بين الودق والجود والوابل الشدة والغزارة فالودق هنا مطرٌ شديدٌ لأنه يحفش الأكم أي يسيلها كما يقول اللسان: "حَفَسَ السَّيْلُ الأَكْمَةَ: أسالها، والحفش مصدر قولك حَفَسَ السَّيْلُ حَفْشاً إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع واحد"⁽⁵⁾، وقد أوحى بهذا الاستخدام حال الشاعر النفسية التي تهفو إلى سيل جارف مثل سيل نوح -عليه السلام- يطهر الأرض، بينما جعل للشرب صوباً فقط، فكل أمر له علاجه المناسب.

(3)

ومن المطر وظروفه ومرافقاته البرد، وقد رادف الكميت بين البرد والقر، فقال يمدح

الهاشميين:
(الطويل)

إذا ما المراضيعُ الخِصاصُ تأوّهت من البرد إذ مِثلان سغد وعقرب⁽⁶⁾

ويستخدم كلمة مقرور وهي من القر والبرد، فيدعو:

1- لسان العرب، (جود).

2- البيت الرابع والستون، الهاشمية الرابعة، ص 171.

3- لسان العرب، (وبل).

4- سورة البقرة، آية 265.

5- لسان العرب، (حفش).

6- البيت السادس والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص 176.

(الطويل)

فِي رَبِّ عَجَلٌ مَا نُؤْمَلُ فِيهِمْ لِيَدْفَأَ مَقْرُورٌ وَيَشْبَعُ مُرْمِلٌ (1)

إنه دعاء المكروب، يصدر من غمرة القر والجوع، دعاء إلى الله تعالى ليبدل الحال فيدفاً المقرور ويشبع المرمل، وأي دفاً أحسن من دفاً العدل والإنصاف، وأي شبع خيراً من أن يرى الحق يأخذ مجراه؟

(4)

ويستعمل الكميت مجموعة أخرى من المفردات التي تعبر عن معنى السيولة، هذا المعنى الذي ترسخ في شعوره تحت وطأة سيل الظلم العرم، فعبر عن ذلك بمترادفات: هوامل و تهمل، وتصيب، ويحفش، وتشخب، وهموعاً، يقول عن الإبل واصفاً حالها النفسية:

مُنْكَرَاتٍ بِأَنْفُسٍ عَارِفَاتٍ بِيَوْمٍ هَوَامِلِ التَّنَجَامِ (2)

ثم يصف نفسه وعينه تفيض من الدمع مما يسمع من لعن للإمام علي وآله -عليهم السلام- على المنابر، فيقول:

إِذَا نَالَ مِنْهُمْ مَنْ نَهَابُ كَلَامِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ ظَلَّتْ الْعَيْنُ تَهْمُلُ (3)

ويتحدث الكميت عن آل البيت -عليهم السلام- فيذكر مرادفاً آخر: (الطويل)

هُمُ شَهِدُوا بَدْرًا وَخَيْرَ بَعْدَهَا وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وَالِدَمَاءِ تَصَبَّبَ (4)

ثم يذكر مرادفاً لقوله: الدماء تصبب، ذلك حين يتحدث عن الشور والكلاب تهاجمه، فيقول:

1- البيت الرابع والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.
2- البيت الأول بعد المئة، الهاشمية الأولى: ص 41.
3- البيت السادس والتسعون، الهاشمية الرابعة، ص 183.
4- البيت الثالث والخمسون، الهاشمية الثانية، ص 64.

(الطويل)

فَرَابٍ وَكَابٍ خَرَّ لِلْوَجْهِ فَوْقَهُ جَدِّيَّةٌ أوداجٌ على النَّحْرِ تَشْخَبُ (1)

إذ يفسر الشارح فيقول: "وقوله جدية أوداج أي طريقة الدم، وتشخب: تسيل" فيذكر مرادف تصيب، ومرادفاً للدم هو، جَدِّيَّة، وقد جاء في اللسان: "الجدية الدم السائل" (2).

ويورد الشاعر مرادفاً آخر في حديثه عن الثور:

(الطويل)

مُلِثٌ مُرِبٌّ يَحْفِشُ الأَكْمَ وَذَقُّهُ شَأْيِبٌ مِنْهَا وادِقَاتٌ وَهَيْدَبٌ (3)

وفسر الشارح فقال: "ويحفش: يسيل".

ومرادف آخر جاء في وصف الكميت حاله وهمومه ودموعه:

(الوافر)

وتَوَكَّأفُ الدُّمُوعُ على اِكْتَابِ أَحَلَّ الدَّهْرُ موجَعَهُ الضُّلُوعَا (4)

ولا يفسر الشارح هذا اللفظ، أما اللسان فيقول: "وَوَكَّفَ البَيْتُ وَكَفًا وَوَكِيفًا وَوَكُوفًا وَوَكْفَانًا وَتَوَكَّأفًا وَأوكَّفَ وَتَوَكَّفَ: هَطَلَ وَقَطَرَ" (5).

ويتابع الكميت الوصف لحاله ودموعه، فيقول:

(الوافر)

يُرْقِرُقُ أَسْجَمًا دِرَارًا وَسَكْبًا يُشَبِّهُ سَحْبًا غَرِبًا هُمُوعَا (6)

وفسر الشارح بعضاً من هذه المترادفات فقال: "والسَّحْبُ: الصَّبُّ، والهموع: السائل"، ويضيف اللسان فيقول: "والدَّرَّةُ في الأمطار: أن يتبع بعضها بعضاً، وجمعها: درر. وللصاحب دِرَّة: أي صب، والجمع درر" (7). ونلاحظ الترادف في البيتين: الأول من هذه المجموعة، بعيون هوامل التسجام، والبيت الأخير، يرقرق أسجماً... يشبه سحبا غرباً هموعا، ففي الأول التسجام هوامل

1- البيت الخامس والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 98.

2- لسان العرب، (جدا).

3- البيت الثامن والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 95.

4- البيت الثالث، الهاشمية السادسة، ص 195.

5- لسان العرب، (وكف).

6- البيت الرابع والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 26.

7- لسان العرب، (درر).

فائضة سائلة، وفي الثاني التسجم كالدلو السائلة، فالترادف هنا لا يقف عند المفردات بل يتعداها إلى معنى البيت كله.

إن الدافع النفسي وراء هذا الاستخدام غير خافٍ ولا يحتاج إلى نظرٍ ثاقبٍ؛ فأجواء البكاء الغزير هي السائدة بفعل ما يمارس من ظلم واضطهاد، لا يجد الشاعر سبيلاً إلى دفعه إلاّ الدعاء تختلط كلماته بالدموع.

(5)

وإذا كان الإيمان هو الذي جعل الدموع تنهلُ غزيرةً هتانةً، فإنه الدافع ذاته الذي جعل الشاعر، يؤمن يقيناً بزوال نعيم الدنيا الذي تهالك عليه حكام بني أمية، وقد استخدم الكمية مترادفات شتى للتعبير عن الاضمحلال والزوال: المنضب، وينزح، ومضمحل، ويغيض وانتحض، وفانياً، وتغيض، ويبتهل الشاعر إلى الله تعالى ألا يصيبه انحراف أولئك الحكام فيقول:

حنانك ربّ الناسِ من أن يغرّني كما غرّهم شربُ الحياةِ المنضّب (1)

وفسر أبو رياش المنضب بالذاهب. ويشبه الكمية المجد الذي وصل إليه الأنصار في ظل الإسلام بالماء الذي لا ينضب ولا ينزح:

مجدُ حياةٍ ومجدُ أخيرةٍ سجانٍ لا ينزحانِ ما شربوا (2)

وفسر أبو رياش قائلاً: "ينزحان: ينضبان". أما الاضمحلال، فيصف به السراب حين يقول:

بمضمحلٍّ مؤمّلٍ خادعٍ لأركبِ عمّا تضمّنُ القرب (3)

1- البيت التاسع والستون، الهاشمية الثانية، ص 72.

2- البيت الرابع والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص 117.

3- البيت الثاني بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 133.

ثم يأتي بمرادف آخر، يغيض، في حديثه عن القطا: (المنسرح)
 لَمْ يَجْشَمِ الْخَالِقَاتُ فَرِيَّتَهَا وَلَمْ يَغِيضْ مِنْ نِطَافِهَا السَّرْبُ (1)

ويفسر أبو ريش قائلًا: " ولم يَغِيضْ أي لم يَنْقُصْ "، أما اللسان فيقول: " غاض الماء يغيض غيضاً ومغيضاً ومغاضاً وانغاض: نقص أو غار فذهب، وفي الصحاح: قَلَّ فَغَضِبَ " (2). ويتناسب شرح اللسان هذا مع قوله تعالى: [وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ] (3).

ويتابع فيصف القطا قائلًا: (المنسرح)
 أَوْلَاكَ لَا هَوْلًا إِذَا انْتَحَضَ النَّوْءُ سِيٌّ وَشُدَّ السِّنَانُ وَاللَّيْبُ (4)

وفسر أبو ريش فقال: "انتحض النوى: ذهب الشحم" أما اللسان فيقول: " والنحيض: الذي ذهب لحمه... قال ابن السكيت: النحيض من الأضداد يكون الكثير اللحم ويكون القليل اللحم كأنه نحض نحضاً... ونحِضَ على ما لم يُسَمَّ فاعله، فهو منحوضٌ أي ذهب لحمه، وانتحِضَ مثله " (5). ولا ريب أن الذي يغيض ويُنتحِضُ يفنى ويذهب، وبهذا المعنى يصف الكميت حال الهاشميين وشيعتهم فيقول: (الطويل)

نُعَالِجُ مُرْمَقًا مِنَ الْعَيْشِ فَانِيًا لَهُ حَارِكٌ لَا يَحْمِلُ الْعِبَاءَ أَجْزَلُ (6)
 ويستخدم الغيض والمغيض مرة أخرى، لكنه هذه المرة على سبيل المجاز، حيث يصور حبه لآل البيت لا يغيض ولا يذهب ولا ينقص: (الطويل)
 فَلَا رَغْبَتِي فِيهِمْ تَغِيضٌ لِأَهْبَةِ وَلَا عُقْدَتِي فِي حُبِّهِمْ تَتَحَلَّلُ (7)

1- البيت الثالث والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 141.

2- لسان العرب، (غيض).

3- سورة هود، آية 44.

4- البيت التاسع والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 134.

5- لسان العرب، (نحض).

6- البيت التاسع، الهاشمية الرابعة، ص 149.

7- البيت الرابع والثمانون، الهاشمية الرابعة، ص 179.

ولأن الحياة ناضبة مضمحلة غائضة، كان حُبُّ الكميّة لآل النبي دائماً لا يغيض ولا ينضب، فرفض الأموال رغم أنه يعالج مُرمقاً من العيش كما يقول، وقبل الملابس التي لامست أجسام الهاشميين متبركاً بها⁽¹⁾.

(6)

وفي مجموعة من المترادفات في حقل الاضاءة والضوء والاشتعال، استغرق معظمها في مدح الهاشميين والتنديد بأعدائهم، استخدم الكميّة: ثاقب، وأنقب، وأومض، وأبرق، واقتدح، واستنقب، ومضيء، وشبّ، ولوامع، وموقد، يقول الكميّة واصفاً مجد الهاشميين:

لِلذُرَى فَالذُرَى مِنَ الحَسَبِ الثَّاقِبِ قَبِ بَيْنَ القَمَمِ القَمَمِ (2)

وفسر الشارح قائلاً: " والثاقب: المضيء... ويقال: ثَقَبَتِ النارُ تَنْقَبُ إذا أضاءت"، وجاء في لسان العرب: "وتقبت النار تنقب تُقوباً وتَقَابَةً: انقادت... والعرب تقول: أنقب نارك أي أضئها للموقد... الليث: حسَبَ ثاقب، إذا وصف بشهرته وارتفاعه"⁽³⁾.

وفي موضع آخر يستخدم الكميّة استنقب بمعنى أنقب وأضاء: (الخفيف)

أَبطَحِي بِمَكَّةَ اسْتَنْقَبَ اللهُ ضِيَاءَ العَمَى بِهِ وَالظَّلَامِ (4)

ويجاء معنى استنقب هنا واضحاً لا مجال لخلاف حوله بين المضيء والمرتفع، فهنا جاء بمعنى أضاء وأشعل، وإن كان في سياق المعنى العام للبيت قريب من قريب، فالحسب

1- ينظر: البغدادي: خزنة الأدب، مج1، ص69. والأصفهاني: الأغاني، مج16، ص347.

2- البيت الرابع عشر، الهاشمية الأولى، ص16.

3- لسان العرب، (نقب)

4- البيت الرابع والخمسون، الهاشمية الأولى، ص28.

المرتفع والمضيء واحد في دلالاته على الشهرة، والفارق بينهما هو الحقيقة والمجاز، فإذا فُسر بالارتفاع فهو على وجه الحقيقة، وإن فُسر بالإضاءة كان على سبيل المجاز.

ويمدح الهاشميين فيقول: (الطويل)

إذا اذلمست ظلماء أمرين حنيسٍ فبدر لهم فيها مضيء وكوكب (1)

ومثله، قوله يمدح الرسول: (البيسط)

الحازم الرأي والميمون طائره والمستضاء به والصادق القيل (2)

ويرادف على وجه الحقيقة بالفعل، أبرق، فيقول: (المنسرح)

أبرق للمسننين عنكم بالجود فيها النهاء والعشيب (3)

فقد أبرقت ولمعت الغدران ولكن ليس كمثل الحسب حين وصفه بالثاقب المضيء. وثمة استعمال

حقيقي لمرادف جديد، اللوامع، يقول: (المنسرح)

إذا الإكمام اكتسبت مآليها وكان زغم اللوامع الكذب (4)

فهي تلمع في السراب حقيقة لا مجازاً.

ثم يجمع الكميت بين الفعل، أنقب، ومرادف آخر: اقتدح، حين يقول: (الطويل)

ولانتقلت من خنيد في سواهم ولاقتدحت قيس بها ثم أنقبوا (5)

ويتحدد مفهوم أنقب هنا بالإشتعال والإيقاد مثل معنى اقتدح، ويفسر أبو رياش فيقول:

1- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الثانية، ص 79.

2- البيت السابع، الهاشمية السابعة، ص 201.

3- البيت الثامن والتسعون، الهاشمية الثالثة، ص 131.

4- البيت الأول بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 132.

5- البيت الحادي والخمسون، الهاشمية الثانية، ص 64.

"واقندحت بها قيس أي أوقدت بها ناراً. والإتقاب إشعال النار."

ومرادف آخر للإيقاد والإتقاب في قوله:

ومغاييرَ عندهنَّ مغاويرِ ————— رَ مَسَاعِيرَ لِيَاةِ الإِجَامِ (1)

ويفسر الشارح: "مساير للحرب: يوقدونها. الواحد مسعر ومسعار" وفي اللسان: "والساعورة: النار... والمسعر والمسعار ما سعت به... ومسعر الحرب موقدها" (2).

ومرادف للفظ مسعر ومسعار في قوله:

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب (3)

وهو مثل كما يقول الشارح، ويضرب لمن يعمل لمصلحة غيره لا لمنفعته هو.

وثمة معنى آخر مرادف لإشعال النار جاء في قوله:

مقاري للضيف تحت الظلام موارِي للَقَادِحِ المُنْقَبِ (4)

ويفسر اللسان قائلًا: "أبو الهيثم: أوريت الزناد فوراً تری ورياً ورية قال: وقد يقال وریت توری ورياً ورية، وأوريتها أنا أتقبتها" (5).

ويرادف الكميت مرة أخرى وبمرادف آخر للإشعال والإيقاد، إذ يقول ذاماً حكام

الأمويين:

همُ خوقونا بالعمى هوة الردى كما شب نار الحالفين المهول (6)

1- البيت الثلاثون، الهاشمية الأولى، ص 22.

2- لسان العرب، (سعر).

3- البيت الرابع والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 74.

4- البيت السابع عشر، الهاشمية الخامسة، ص 191.

5- لسان العرب، (وري).

6- البيت السادس والثلاثون، الهاشمية الرابعة، ص 161.

ويُفسر الشارح لكلمة شَبَّ بأوقد، وفي اللسان: " وشبَّ النارَ والحربَ أوقدَها، يشبُّها شَبًّا... وشبَّهُ النارَ اشتعالها "(1). وغنيٌّ عن القول إن الإشعال هذه المرة قد جاء على سبيل الحقيقة لا المجاز. ويأتي الكميـت بمرادف آخر للإشعال على وجه الحقيقة كذلك، فيقول:

(المنسرح)

لا بِالْجَعِّ الْيَنْ يَنْزِلَانِ وَلَا بِالشَّيْحِ يُذَكِّي سَنَاهُمَا اللَّهَبُ(2)

ويُفسر أبو ريش قائلًا: "يُذَكِّي: يشعل"، أما اللسان فيقول: "ذكتِ النارُ تَذَكُو ذُكُوءًا وَذَكَاءً، مقصوراً، واستذكت، كلّه: اشتد لهبها واشتعلت... ذكّاها: رفعها وألقى عليها ما تذكو به... وتذكية النار رفعها"(3).

لقد أشعل الهاشميون النار وأوقدوها كرمًا ومن أجل الضيف، كما كان آل البيت الضوء الذي بدد الظلمات.

(7)

ومما ينتج من الإشعال والإتقاب الضوء، وقد رادف الكميـت بين الضوء و السنا والضياء

(الخفيف)

فقال:

وَإِذَا الْحَرْبُ أَوْمَضَتْ بِسَنَا الْبَرِّ قِ وَسَارَ الْهَمَامُ نَحْوَ الْهَمَامِ(4)

1- لسان العرب، (شيب).

2- البيت الخامس والتسعون، الهاشمية، ص130.

3- لسان العرب، (نكا).

4- البيت الرابع والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 19.

وقد فسره أبو رياش قائلاً: " والسنا: ضوء البرق "، ولا أدري لماذا حدد الشارح السنا بضوء البرق وليس الضوء عامة، وجاء في اللسان: " و السنا، بالقصر: الضوء... وأسنى النار: رفع سناها "(1).

ويستخدم الكميت الضياء والضوء مرادفين للسنا، فيقول:

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا خاطباً في غير حبلِك تحطِب(2)

ويقول: (الخفيف)

أبطحي بمكة استنقَبَ اللهُ ضياء العمى به والظلام(3)

فستان بين هذا وذاك، و شتان بين ضوء وضوء، ضوء يمحي به الظلام وعماء، وضوء يشعله الضال الغوي لغيره يفيد منه، ليبقى هو تحت وطأة الظلام.

(8)

والشيء بالشيء يذكر، فإذا ما ذكر الضياء، خطر على البال الظلام، وقد احتوت الهاشميات لفظين ترادفاً بمعنى الظلام، تراوح استعمالهما بين الحقيقة والمجاز، وهما ظلام ظلماء، والهندس، يقول الكميت يصف حكام الأمويين:

رأيه فيهم كراي ذوي الثأ — في الثأجات جنح الظلام(4)

ونلاحظ أن الاستخدام هنا جاء على وجه الحقيقة، بينما جاء الاستخدام على سبيل المجاز،

1- لسان العرب، (سنا).

2- البيت السابع والثلاثون، الهاشمية الأولى، ص 24.

3- البيت الرابع والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 28.

4- البيت الرابع والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 28.

في قوله مادحاً الرسول: (الخفيف)

أَبْطَحِي بِمَكَّةَ اسْتَقْبَّ اللهُ ضِيَاءَ الْعَمَى بِهِ وَالظَّلَامَ (1)

ثم يستخدم كلمة، ظلماء، على سبيل المجاز: (الطويل)

إِذَا ادْلَمَسْتَ ظَلْمَاءَ أَمْرَيْنِ حِنْدِسٍ فَبَدْرٌ لَهُمْ فِيهَا مُضِيءٌ وَكَوْكَبٌ (2)

وفسر الشارح قائلاً: "ادلمست: اشتدت ظلمتها، والحنديس: الظلمة"، وقد تكون الحنيس هنا صفة للظلمة؛ فقد جاء في اللسان: "الحنديس: الظلمة، وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة" (3).

ومثله ومرادفه قوله في موطن آخر: (الطويل)

يُكَالِي مَنْ ظَلْمَاءَ دِيَجُورِ حِنْدِسٍ إِذَا سَارَ فِيهَا غَيْهَبٌ حَلَّ غَيْهَبٌ (4)

(9)

ولم يكن كافياً عند الشاعر أن يكون الهاشميون ضياءً يبدد ظلاماً عادياً، لقد أراد أن يكون ذلك الظلام دامساً ليعبر بذلك عن شدة هذا الضوء الذي يبده، وعبر الكمية عن اشتداد الظلمة بثلاثة مترادفات: أليل، وادلمست، واستحنكت، يقول الشاعر مادحاً الهاشميين:

(الطويل)

إِذَا ادْلَمَسْتَ ظَلْمَاءَ أَمْرَيْنِ حِنْدِسٍ فَبَدْرٌ لَهُمْ فِيهَا مُضِيءٌ وَكَوْكَبٌ (5)

وفسر الشارح فقال: "ادلمست: اشتدت ظلمتها".

1- البيت الرابع والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 28.

2- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الثانية، ص 79.

3- لسان العرب، (حنديس).

4- البيت الثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 96.

5- البيت الخامس والثمانون، الهاشمية الثانية، ص 79.

وقد رادف في المعنى مع بيت آخر فيه ذات اللفظ (ادلمست): (المتقارب)

نُجُومُ الْأُمُورِ إِذَا ادْلَمَّسَتْ بِظُلْمَاءٍ دَيَّجُورِهَا الْأَشْهَبِ (1)

فهم بدرٌ وكوكب في البيت الأول ونجوم في البيت الآخر تضيء إذا ما اشتدت الظلمة على الناس.

ويرادف في بيتين آخرين ذكراً المعنى ذاته ومستخدماً لفظين مرادفين آخرين لاشتداد

الظلمة: (الطويل)

وفيهمْ نُجُومُ النَّاسِ وَالْمُهْتَدَى بِهِمْ إِذَا اللَّيْلُ أَمْسَى وَهُوَ بِالنَّاسِ أَلْيَلُ
إِذَا اسْتَحْنَكْتَ ظُلْمَاءَ أَمْرِ نُجُومِهَا غَوَامِضُ لَا يَسْرِي بِهَا النَّاسُ أَفَلُ (2)

ويفسر الشارح: "ويقال ليل أليل وليلة ليلاء أي مظلمة شديدة الظلمة... استحنكت تراكمت ظلّمها ظلّمة فوق ظلّمة".

فهم البدر والنجوم إذا اشتدت ظلمة الليل وغابت النجوم المهتدى بها، وليس هذا فحسب، فهم علاوة على ذلك دفع في الليل الصرصر الأشهب البارد.

(10)

ومن ألفاظ الطبيعة في الهاشميات العرين والآجام، إذ رادف الكميت بينهما في بيت

يمتدح به الهاشميين بوحدة من صفات الإمام وهي الشجاعة: (الخفيف)

فَهُمُ الْأَسْدُ فِي الْوَعَى لَا اللَّوَاتِي بَيْنَ خَيْسِ الْعَرِينِ وَالْآجَامِ (3)

1- البيت السابع والعشرون، الهاشمية الخامسة، ص 193.

2- البيتان الثالث والسبعون والرابع والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص 175.

3- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 20.

ويُفسر الشارح ويقول: "والعرين: الأجمة، ولم يُسمع له بجمع"، ويشرح اللسان معنى العرين فيقول: "والعرين والعرينة مأوى الأسد الذي يألفه... قال ابن سيده: العرينة مأوى الأسد والضئع

والذئب والحية، قال الطرّماح: (الوافر)

أحَمَّ سَرَاةَ أَعْلَى اللّوْنِ مِنْهُ كَلَوْنِ سَرَاةِ ثَعْبَانِ الْعَرِينِ "

وأما الأجمة فيفسرها اللسان: "والأجمة الشجر الكثير الملتف، والجمع أجم وأجم وأجام وإجام"⁽¹⁾.

إن آل بيت النبوة أسود حرب لا أسود الأجم والعرين، فهم مثال الشجاعة والإقدام كيف لا وعميدهم كان الفرسان يحتمون به إذا حمي وظيس القتال.

(11)

ومن ألفاظ البيئة الطبيعية كذلك في الهاشميات، الأكم والتلاع، إذ استخدمهما الكميت

مترادفين حين تحدث عن الثور الوحشي قائلاً: (الطويل)

مَلِثٌ مُرَبٌّ يَحْقِشُ الْأَكْمَ وَدَقُّهُ شَأْيِبُ مِنْهَا وَادِقَاتٌ وَهَيْدَبٌ⁽²⁾

وقد فسّر الشارح الأكم أنها دون الجبال. ويستخدم جمعاً آخر للأكمة: (المنسرح)

إِذَا الْإِكَامُ اكْتَسَبَتْ مَالِيَهَا وَكَانَ زَعَمُ اللَّوَامِيعِ الْكَذِبُ⁽³⁾

1- لسان العرب، (عرن) و (أجم) وقد ورد بيت الطرّماح في ديوانه، ص 289.

2- البيت الثامن والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 95.

3- البيت الأول بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 132.

وفسر أبو رياش الإكام: بالجبال الصغار الواحدة أكمة. أما اللسان فيقول: "ويقال الأكمُ إشراف في الأرض كالروابي... الإكام: جمع أكمة وهي الرابية"⁽¹⁾.

(المنسرح)

وجاءت كلمة التلاع في قوله:

يا باكي التلعة القفار ولم تبك عليك التلاع والرخب⁽²⁾

ويفسر الشارح فيقول: "التلعة: ما ارتفع من مجاري الماء، وتلاع جمع تلعة، وهي الربوة من الأرض"، وجاء في اللسان: "التلعة: أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع منها إلى تلعة أسفل منها... والتلعة مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض... والتلعة ما انهبط من الأرض، وقيل ما ارتفع، وهو من الأضداد"⁽³⁾.

(12)

ومن الطبيعة التي كان الكميّ على علاقة معها فاستوحى منها وجعلها وسيلة للتعبير عن همومه وطموحاته وعن حبه للحق وآله وكراهية للباطل وأهله الصحراء، حيث استخدم لها أسماء عدة: سُهْب، وبيد، و سبسب، ودياميم، قال يصف الناقة:

(الخفيف)

تصل السُهْب بالسُهوب إليهم وصل خرقاء رُمّة في رِمَام⁽⁴⁾

(الطويل)

ويتكلم عن الناقة كذلك فيقول:

إذا قَطَعَتْ أَجْوَازَ بَيْدِ كَأَنَّمَا بأعلامها نوح المآلي المُسَلَّب⁽⁵⁾

1- لسان العرب، (أكم).

2- البيت التاسع عشر، الهاشمية الثالثة، ص106.

3- لسان العرب، (تلع).

4- البيت السابع و التسعون، الهاشمية الاولى، ص 39.

5- البيت العشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 91.

ويأتي جواب الشرط على قطع أجواز البيد في البيت التالي له، حيث يورد مترادفين

اثنين، فيقول: (الطويل)

تَعَرَّضُ قُفٌّ بَعْدَ قُفٍّ يَقُودُهَا إِلَى سَبَسَبٍ مِنْهَا دِيَامِيمٌ سَبَسَبٌ (1)

ويقول الشارح مفسراً: "والدياميم: الفلوات الواحدة ديمومة، والسبسب ما استوى منها".

(13)

وفي كلامه المباشر عن الهاشميين وحبهم، وعن الأمويين وكرهه لهم، استخدم الكميته

ألفاظاً مترادفات للطرق: طريق، ومشعب، وسبيل، وريع، فقال واصفاً حكام بني أمية:

(الخفيف)

وَأَشِثَّتْ بِنَا مَصَادِرُ شَتَى بَعْدَ نَهْجِ السَّبِيلِ ذِي الْأَرَامِ (2)

واستخدم شاعر آل البيت كلمة مشعب، فقال:

فَمَا لِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْعَةً وَمَا لِي إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبٌ (3)

وفسر الشارح الكلمة فقال: "ومشعب الحق: طريقه، ويقال: شَعَبَ: إذا ذهب"، و قريب من هذا

شَرَحَهَا اللِّسَانُ: "والمشعب: الطريق. ومشعب الحق: طريقه المَفْرَقُ بينه وبين الباطل" (4).

ومرادف آخر هو، ريع، ورد في قوله: (الوافر)

أَضَاعُوا أَمْرَ قَائِدِهِمْ فَضَلُّوا وَأَقْوَمِهِمْ لَدَى الْحَدَثَانِ رِيْعًا (5)

1- البيت الواحد والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 92.

2- البيت التاسع والستون، الهاشمية الأولى، ص 32.

3- البيت السادس عشر، الهاشمية الثانية، ص 50.

4- لسان العرب، (شعب).

5- البيت الثالث عشر، الهاشمية السادسة، ص 198.

حيث فسر أبو ريش الرّيع بالطريق، مستشهداً بقوله تعالى: [أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ] (1).

وجاءت المرادفة الأخيرة في هذا المعنى وهي كلمة، طريق، في قوله نادماً على عدم

خروجه مع أميره زيد -عليه السلام-: (الوافر)

حِذَارَ مَنِيَّةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا وَهَلْ دُونَ الْمَنِيَّةِ مِنْ طَرِيقٍ (2)

لقد تشعبت الطرق وتفرقت، ولا ريب أن واحداً فقط من تلك هو طريق الحق، وقد اختاره الشاعر إنه مشعب الحق وسبيل آل أحمد -عليهم السلام-، وكأنه يستوحى قوله تعالى: [وَأَنَّ هَذَا سِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ] (3).

(14)

ومن ألفاظ البيئة الطبيعية كذلك ألفاظ الغبار على اختلافها، وقد استخدم منها الكميّت: عجاج، وعجاجة، و هبوة، و نقع، وقسطل، ورهّج، جاءت كلها في وصف الاقتتال بين الحق والباطل، وإن كان ذلك أحياناً بصورة الصراع بين الثور و الكلاب، يقول الكميّت في الإمام علي -ع-:-

وَالْوَصِيُّ الْوَلِيُّ وَالْفَارِسُ الْمُغْمُ لِمِ تَحْتَ الْعَجَاجِ غَيْرُ الْكَهَامِ (4)

ثم أفرّد العجاج فقال في خيل الأمويين:

وَمَنْ عَجَبَ لَمْ أَقْضِهِ أَنْ خَيَالَهُمْ لِأَجْوَاهِهَا تَحْتَ الْعَجَاجَةِ أَرْمُلِ (5)

1 - سورة الشعراء، آية 128.

2 - البيت الثاني، الهاشمية العاشرة، ص 204.

3 - سورة الأنعام، آية 153.

4 - البيت الثاني والستون، الهاشمية الأولى، ص 30.

5 - البيت الرابع والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص 164.

وفسر الشارح فقال: "العجاجة والعجاج: الغبار"، أما اللسان فيفرق إذ يقول موضحاً: "والعجاج: الغبار وقيل هو الغبار الذي ثورته الريح واحدته عجاجة"⁽¹⁾. ثم جمع الكميت في بيت بين مترادفين بمعنى الغبار، فقال:

إذا استلبتْهُنَّ الأَمَاعِرُ هَبْوَةً وأَعَقَبَهَا بِالأَمْعَزِ السَّهْلِ قَسَطَلٌ (2)

وفسرهما الشارح بالغبار، وفي اللسان: "ابن سيده وغيره: الهبوة الغبرة، والهباء الغبار... الهبوة: الغبرة، والجمع أهباء". أما القسطل فيقول عنه اللسان: "القسطل والقسطال والقسطول والقسطلان كله: الغبار الساطع. والقسطل، بالصاد أيضاً"⁽³⁾.

وذكر الشاعر، الرَّهَج، في قوله مادحاً:

مَسَامِيحُ بِئِضْ كِرَامِ الجُدودِ مَرَاجِيحُ فِي الرَّهَجِ الأَصْنَهَبِ (4)

وفسرها أبو ريش بالغبار، وكذلك اللسان: "الرَّهَجُ وَ الرَّهَجُ: الغبار"⁽⁵⁾.

كما جمع الهبوة مع مرادف آخر، النقع، إذ تكلم عن الثور والكلاب:

فَاسْتَلْحَمْتَهُ الضَّرَاءُ فِي هَبْوَةِ النَّقْءِ قَعٍ بِجِدِّ كَأَنَّهُ اللَّعِبِ (6)

حيث فسر أبو ريش فقال: "الهبوة: الغبار الرقيق، والنقع: الغبار الكثيف"

لقد استخدم الشاعر هذه الألفاظ بالأسلوب ذاته عند الحديث عن الحق وعند الكلام عن الباطل كذلك، فهي المعركة ذاتها بما فيها من عجاج وغبار، سواء تحدث عن الحق أم عن الباطل.

1- لسان العرب، (عجاج).

2- البيت السادس والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص 165.

3- لسان العرب، (هباء)، (قسطل).

4- البيت الثانية عشر، الهاشمية الخامسة، ص 189.

5- لسان العرب، (رهج).

6- البيت الحادي عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 136.

(15)

وقريباً من الغبار العقر والتراب إذ استخدمها الكميت في حديثه عن الهاشميين و قتلهم

وعن حبه لهم، يقول في مقتل الحسين -عليه السلام-:

(الطويل)

ومنعفِرُ الخَدَيْنِ من آلِ هاشمٍ ألا حَبِذا ذاكِ الجَبِينُ المُتَرَبِّ (1)

ثم يجعل هذا، العفر، يلتصق بالأنف بدل الخدين، فيقول في حبه لـعلي -U-: (البيسط)

من كان يرغمُهُ رُغماً فَدَامَ لَهُ حتَّى يَرى أَنفَهُ بالتُّرَبِ مُنْعَفِراً (2)

ويستعمل كلمة، معفر، مرادفاً لمنعفر، فيقول:

(الطويل)

سوى عُصْبَةٍ فيهمُ حَبِيبٌ مُعْفَرٌ قضى نَحْبَهُ والكاهِلِي المَزْمَل (3)

لقد عفر أولئك آل النبي -عليهم السلام- لأنهم وقفوا في وجه الظلم والطغيان، لكن هذا

لم يمنع الشاعر من إعلان حبه للهاشميين.

(16)

ومن الطرق وغبارها، والصحارى وعجاجها نصعد إلى الكواكب والنجوم، لنجد الكميت

يرادف بينهما كما فعل القرآن الكريم إذ يقول جلّ وعلا: [إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ

انْكَدَرَتْ] (4)، كما يقول سبحانه: [إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ] (5) يقول الكميت

عن الهاشميين:

(الطويل)

إِذَا ادْلَمَسَتْ ظِلْمَاءُ أَمْرِينَ حَنِيسٍ فبَدْرٌ لَهُمْ فِيهَا مُضِيءٌ وَكَوْكَبٌ

وفيهمْ نُجُومٌ النَّاسِ وَالْمُهْتَدَى بِهِمْ إِذَا اللَّيْلُ أَمْسَى وَهُوَ بِالنَّاسِ أَلِيلٌ (6)

1- البيت الثالث بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 85.

2- البيت السابع، الهاشمية الثامنة، ص 202.

3- البيت الثامن والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص 165.

4- سورة التكوير، آية 1-2.

5- سورة الإنفطار، آية 1-2.

6- البيتان الخامس والثمانون، الهاشمية الثانية ص 79. و البيت الثالث والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص 175.

ونلاحظ أن الاستعمالين كليهما جاء على سبيل المجاز لا الحقيقة، فالهاشميون هم الكواكب والنجوم التي يهتدي بها الناس.

(17)

ومن النجوم، الشمس، إذ يرادف الكمية بين قرن الشمس، وحاجب الشمس، فقال في قصة الثور مع الكلاب وصاحبها:

(الطويل)

فبَاكَرَهُ وَالشَّمْسُ لَمْ يَبْذُقْ قَرْنُهَا بِأَخْدَانِهِ الْمُسْتَوَلِّغَاتِ الْمَكَّأَبُ (1)

ويقول لسان العرب مفسراً لقرن الشمس: "وقرن الشمس: أولها عند طلوع الشمس، وأعلىها، وقيل أول شعاعها، وقيل ناحيتها" (2)، أما أبو رياش فلم يفسره.

وفي حديثه عن الثور كذلك استخدم، حاجب الشمس، فقال:

(المنسرح)

حَتَّى بَدَا حَاجِبٌ مِّنَ الشَّمْسِ وَالـ حَاجِبٌ مِّنْهَا الشَّرْقِيُّ مُحْتَجِبٌ (3)

وفسر أبو رياش حاجب الشمس بناحية منها، وجاء في اللسان: "حاجب الشمس: ناحية منها... الأزهرى: حاجب الشمس: قرنها" (4).

لقد أفرغ الكمية مخزونه الشعري في قالب المديح، فكان بذلك أثره في إغناء هاشمياته فلم تقتصر على ألفاظ المديح المألوفة.

1- البيت الواحد والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 96.

2- لسان العرب، (قرن).

3- البيت التاسع بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 136.

4- لسان العرب، (حجب).

ويمضي شاعر آل البيت مادحا باكياً تارة، و ذاماً مندداً تارة أخرى، لكنه يستعمل هذه المرة التدييج ، وهو التعبير عن المعنى باللون ، فيستخدم اللون الأبيض والأسود بمترادفات عدة فيستخدم من أسماء اللون الأبيض: الوَضَح، وأدماً وزُهر، و بيض، و غرٌّ، وقد تراوحت هذه الألفاظ بين الحقيقة والمجاز، يقول في آل البيت -عليهم السلام-: (الخفيف)

واضحٍ أوجهٍ كريمي جُدودٍ واسِطي نِسبَةٍ لِهامٍ فَهَامٍ⁽¹⁾

ويفسر الشارح فيقول: "الواضح: البين. والوضَح: البيان". بينما يفسر الواضح بالأبيض في شرحه للبيت:

كَأَنَّ خُدُودَهُمُ الْوَاضِحَا تِ بَيْنَ الْمَجَرِّ إِلَى الْمَسْحَبِ⁽²⁾

في حين يفسر اللسان فيقول: " الوَضَحُ: الضوء والبياض. وفي الحديث: أنه كان يرفع يديه في السجود حتى يبين وضخ إبطيه، أي البياض الذي تحتهما... والوضَحُ: البياض من كل شيء"⁽³⁾.
واستخدم الكميت، الأبيض، بلفظه حين قال:

إِلَى النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بَخِبَهُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ⁽⁴⁾

وهو ذات المعنى في قوله واضحٍ أوجه، فالبياض هنا مجازي يعني الوضوح دلالة على الرفعة والشرف. لكن الكميت استخدم الأبيض استخداماً على وجه الحقيقة حين قال: (المنسرح)

فاسْتَبَدَلْتُ بِالسَّوَادِ أْبْيَضًا لَا يَكْتُمُهُ بِالْخِضَابِ مُخْتَضِبًا⁽⁵⁾

1- البيت الثالث عشر، الهاشمية الأولى، ص 15.

2- البيت الثلاثون، الهاشمية الخامسة، ص 193.

3- لسان العرب، (وضح).

4- البيت السادس، الهاشمية الثانية، ص 45.

5- البيت السابع والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص 109.

وهو الوَضَح الذي جاء في الحديث: "غَيَّرُوا الوَضَحَ أَي الشَّيْبَ، يَعْنِي اخْضَبُوهُ"⁽¹⁾.

وَأَتَى بِالْأَبْيَضِ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ كَذَلِكَ، لَكِنَّهُ جَاءَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى النِّقَاءِ مِنَ الشَّوَانِبِ

وَالأَدْرَانَ، حِينَ مَدَحَ الرَّسُولَ: (المنسرح)

قَرْنًا قَرْنًا تَنَاسَخُوكَ لَكَ الـ _____ فَضَّةٌ مِنْهَا بَيِّضَاءٌ وَالذَّهَبُ (2)

وَيَقُولُ أَبُو رِيَّاشٍ مَفْسَرًا: "بَيِّضَاءٌ خَالِصَةٌ لَمْ يُخْلَطْ بِشَيْءٍ وَلَا شَابَهُ مَا يَفْسُدُهُ".

وَفِي بَيْتٍ آخَرَ نَرَى الْكَمِيتَ يَسْتَعْمَلُ لَفْظًا جَدِيدًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْأَبْيَضِ، فَيَقُولُ وَاصِفًا

الْأَثَافِي: (المنسرح)

أَنْخَنَ أَدْمَاءَ فَصِرْنَ دُهْمًا وَمَا _____ غَيْرَهُنَّ الْهِنَاءُ وَالْجَرَبُ (3)

وَيُشْرِحُ أَبُو رِيَّاشٍ قَائِلًا: "وَالْأَدْمَاءُ: السُّودَاءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ الْإِبِلِ وَالظَّبَاءِ".

وَيَصِفُ الشَّاعِرُ الْهَاشِمِيَّ فَيَقُولُ: (المنسرح)

زُهْرٌ أَصْبَحَاءٌ لَا حَدِيثُهُمْ _____ وَاهٍ وَلَا فِي قَدِيمِهِمْ عَطَبٌ (4)

وَيَفْسِرُ الشَّارِحُ فَيَقُولُ: "زَهْرٌ: بَيِّضٌ، الْوَاحِدُ أَزْهَرُ"، وَجَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: "وَرَجُلٌ

أَزْهَرٌ: أَي أَبْيَضٌ مُشْرِقُ الْوَجْهِ، وَالْأَزْهَرُ: الْأَبْيَضُ الْمُسْتَتِيرُ"⁽⁵⁾.

وَأخِيرًا يَأْتِي شَاعِرُ بَيْتِ النَّبِوةِ بِوَصْفٍ آخَرَ مِنْ أَوْصَافِ الْهَاشِمِيِّينَ: (المتقارب)

أَكَارِمُ غُصْرٌ حَسَانُ الْوُجُوهِ _____ مَطَاعِيمٌ لِلطَّارِقِ الْأَجْتَابِ (6)

1- ينظر: لسان العرب، (وضح).

2- البيت الأربعون، الهاشمية الثالثة، ص112.

3- البيت السابع، الهاشمية الثالثة، ص 102.

4- البيت الثامن والستون، الهاشمية الثالثة، ص 121.

5- لسان العرب، (زهر).

6- البيت السادس عشر، الهاشمية الخامسة، ص190.

إن تمكن العشق لآل البيت وتجزره في قلب الشاعر ليبدو جلياً من جديد، فقد عمَد إلى هذا اللون من البديع ، وهو التدبيح ، ليؤكد أن هذا الحب راسخ في قلبه رسوخ الأصابع في راحة اليد، وإن اضطره ذلك إلى أن يُكالي في ظلماء ذلك الزمن.

(19)

كما استخدم الكميت للتعبير عن السواد والأسود مترادفات عدة: جونة، وغيهب وسواد ودهماً، فيقول مندداً:

(الطويل)

فَقُلْ لِلذِّي فِي ظِلِّ عَمِيَاءِ جَوْنَةٍ يَرى الْجَوْرَ عَدْلًا أَيْنَ لَا أَيْنَ تَذْهَبُ (1)

ويفسر أبو رياش الجونة بالسوداء المظلمة.

وساق الكميت مرادفاً للسواد هو، الغيهب، فقال عن الثور:

(الطويل)

يَكَالِي مَنْ ظَلَمَاءَ دِيْجُورِ حِنْدِسٍ إِذَا سَارَ فِيهَا غِيْهَبٌ حَلَّ غِيْهَبٌ (2)

ويفسر الشارح الغيهب بالسواد.

وبمرادف آخر يصف الأثافي حين شبهها بالإبل، فقال:

(المنسرح)

أَنْخَنَ أُنْمًا فَصِرْنَ دُهُمًا وَمَا غَيَّرَهُنَّ الْهِنَاءُ وَالْجَارِبُ (3)

ويقول الشارح مفسراً: "والأدماء السوداء من كل شيء إلا من الإبل والظباء"، ويقول اللسان:

"الدهمة: السوداء، والأدهم: الأسود يكون في الخيل والإبل وغيرها" (4).

ويذكر الكميت اللون الأسود بلفظه حين يتحدث عن لِمته:

1- البيت الثانية عشر، الهاشمية الثانية، ص 49.

2- البيت الثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 96.

3- البيت السابع، الهاشمية الثالثة، ص 102.

4- لسان العرب، (دهم).

(المنسرح)

فاستبدلت بالسواد أبيض لا يكتمه بالخضاب مختضب (1)

إن الثور ليكالي ويحتمي من الظلماء السوداء.

(20)

وكما استخدم اللون، نجد الكميت يستعمل الصوت كذلك في خدمة غرضه لنصرة الحق وأهله ومهاجمة الباطل وأصحابه، وقد رادف بين ألفاظ عدة للصوت: البغام، والإرزام، والأزمل، والضجاج، واللجب، والهمام، يقول في وصفه الناقة وصفاً توحى به الحاجة إلى

مواجهة الطغيان القوي: (الخفيف)

عنتريس شملة ذات لوث هوجل ميلع كتوم البغام (2)

ويفسر الشارح البغام بالصوت. وقد اقتضى الجور والظلم أن تكتم الناقة صوتها خوفاً وتسترأ، كما كان صاحبها خائفاً يترقب.

ويخاطب الكميت الرسول مادحاً، فيأتي بمرادفين آخرين: (المنسرح)

لج بتفضيلك اللسان وأو أكثر فيك الضجاج واللجب (3)

وفسر الشارح فقال: "الضجاج والضجيج واحد وهو الجلبة، وقوله اللجب وهو الصوت، وأظنه من المقلوب جلب ولجب، مثل جذب وجذب".

1- البيت السابع والعشرون، الهاشمية الثالثة، ص 109.

2- البيت السادس والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 39.

3- البيت السادس والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 111.

وبالمقابل يهاجم شاعر آل البيت حكام بني أمية، فيأتي بمرادفين في بيتين متتاليين

(الطويل)

فيقول:

وَمِنْ عَجَبٍ لَمْ أَقْضِهِ أَنْ خَيْلَهُمْ لَأَجْوِافِهَا تَخَتَّ الْعَجَاجَةُ أَرْمَلُ
هَمَاهِمُ بِالْمُسْتَتَلِّمِينَ عَوَابِسُ كحَدَّانِ يَوْمِ الدَّجْنِ تَعْلُو وَتَسْقُلُ (1)

يقول أبو ريش: "الأزمل: الصوت"، كما يفسر الهامم أنها جمع همهمة وهي أصوات لا تفهم. ولكن لماذا اختار شاعر الهاشميين أن تكون أصوات خيبيهم همهمة ، أترأه قد استعدى على أولئك حتى خيلهم فجعلها تردد الأصوات في صدورها ، أم أنه جعلها تخفي ما في نفوسها تجاه واقع لا حيلة لها تجاهه ، ولا قبل لها بتغييره فاكتفت بالعبوس ؟

1- البيتان الرابع والأربعون والخامس والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص164.

الفصل الرابع
التخالف و التعاكس

التخالف والتعاكس

ابتداءً لا بد من التتويه والإشارة إلى الفرق بين التخالف والتعاكس، فالتخالف ما لا يقتضي تضاداً، كأن نقول: أسود وأحمر، فهما مختلفان لكنهما ليسا متعاكسين، كمثل قولنا أسود وأبيض، كما أن التخالف قابل للتدرج مثل كبير وصغير كما يقول جونز لاينز⁽¹⁾.

أما التعاكس فهو العلاقة القائمة بين يشتري ويبيع، أو بين زوج وزوجة، " فكلما يشتري معاكسة لكلمة يبيع، وكلمة يبيع معاكسة لكلمة يشتري " كما يقول جونز لاينز.⁽²⁾ أما بالمر فيسميه بالتضاد العلائقي، إذ يمثل لذلك بأزواج من المتضادات منها ما مثل به لاينز، وهي يشتري ويبيع وزوج وزوجة⁽³⁾، بينما يسميه أحمد مختار عمر بـ (العكس) حين يعدد أنواع التضاد فيقول: " وهناك نوع اسمه العكس، وهو علاقة بين أزواج من الكلمات مثل: باع - اشترى، وزوج - زوجة "⁽⁴⁾.

وتبدو الحدود بين التخالف والتعاكس مختلطة غير واضحة؛ إذ يقول بالمر في هذا الصدد: " تُستعمل لفظة تخالف للتضاد في المعنى، فالكلمات المتضادة متخالفة " ⁽⁵⁾، ويقول كذلك: " لناخذ المتعاكسات: أولاً، من غير الصحيح أن نقول إن شيئاً ما إن لم يكن ذكراً فهو أنثى، إذ أنه قد يكون محايداً، بهذا يكون التعاكس بين ذكر وأنثى مقتصرأ على مناقشة الأحياء. وبالمثل علينا أن لا نعتبر القرد والحديدوز متخالفتين، على الرغم من حقيقة أن شيئاً ما إن كان قرداً فهو ليس حديداً (والعكس صحيح)... " ويقول أيضاً: " والمسألة المهمة الأخرى هي أنه ليس ثمة تمييز مجرد بين هذين النوعين "⁽⁶⁾. وهو ما يشبه رأي جون لاينز حين يقول: " ورغم أنه

1 - جون لاينز، علم الدلالة، ص 99 .

2 - المرجع السابق، ص 106 .

3 - ينظر: بالمر، علم الدلالة، ص 113 .

4 - عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص 103 .

5- بالمر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، ص 109 . مرجع سابق .

6 - المرجع السابق، ص 112 .

من الواجب التمييز بين التعاكس والتخالف ، فإن ثمة توازٍ بين هاتين العلاقتين " حيث يصبح للنحو ، كما يقول ، علاقة بالأمر بين الفاعل والمفعول وبين المبني للمعلوم والمبني للمجهول.(1)

ويتميز التخالف عن الترادف، إضافة إلى أنهما متعاكسان، بأنه " سمة لغوية منظمة وطبيعية جداً، ويمكن تعريفها بدقة كافية "(2)، على العكس من الترادف الذي هو مدار أخذ ورد بل حتى إنكارٍ من بعض اللغويين ، كما رأينا في الترادف.

وثمة شرط لهذا النوع من العلاقات بين الألفاظ، وهو أن تعود المفردات فيه إلى الحقل الدلالي نفسه. (3)

وقد بدا التخالف والتعاكس واضحين في الهاشميات، ولا سيما حين يتحدث الكميّ عن الإنسان، وما ذلك إلا لأن الهاشميات قد أوقفها صاحبها على مدح آل البيت من جهة، وهجاء أعدائهم من الجهة الأخرى، فهي موازنة بين متخالفين أصلاً: حق وباطل، وصالح وطالح، أهل حق وأصحاب بدع، ومن الملاحظ أن التخالف والتعاكس قد يأتيان من استخدام الأدوات من مثل: لا، ولم، وليس. وقد غطى هذا الموضوع في الهاشميات مجالات الانسان، والحيوان، والزمان، والمكان، والطبيعة.

أولاً. الإنسان:

وردت كلمتا أجنٌ وأبدي المتعاكستان في قول الكميّ: (الخفيف)

لِبْنِي هَاشِمٍ فُرُوعُ الْأَنَامِ (4)

بَلْ هَوَايَ الَّذِي أَجِنُّ وَأَبْدِي

وقريباً منهما ما جاء في قوله:

- 1 - ينظر : جون لاينز ، علم الدلالة ، ص 107 .
- 2 - بالمر ، علم الدلالة ، ص 112 .
- 3 - ينظر : بالمر، المرجع السابق، ص 112 .
- 4 - البيت الثالث، الهاشمية الأولى، ص 12 .

(الخفيف)

مُعَلَّنًا لِلْمُعَالِنِينَ مُسْرًا لِلْمُسْرِينَ غَيْرَ دَخَضِ الْمَقَامِ (1)

فكل هواء، ظاهره وباطنه، قد وقفه على آل البيت خير الأنام وعلى الدفاع عن
حقهم المضيع، حتى قُتِلَ لينضم إلى القافلة الطويلة من الشهداء.

كما نجد التخالف في قوله عن أهل البيت: (الخفيف)

والمُصِيبِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّاسُ سُوْمُرْسِي قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ (2)

فهم أهل الحق البعيدون عن الخطأ والخطل، الذين بهم أرسى الله تعالى دينه في
الأرض.

وفي البيت التالي يقول: (الخفيف)

وَالْوَلَاةُ الْكُفَاةُ لِلْأَمْرِ إِنْ طَرَّ قَ يَتَنُّ بِمُجْهَضٍ أَوْ تَمَامِ (3)

ويُفسر: " والمجهض الذي ألقته أمه قبل تمامه ". فالتمام عكس الجهيز.

فهم أهل العقل والحكمة، فإذا ما تولوا الأمور كانوا أكفاء مجيدين.

وثمة تعاكس بين العدل والجور، يقول الكميّ في بني هاشم: (الخفيف)

رَاجِحِي الْوِزْنَ كَامِلِي الْعَدْلِ فِي السَّيْرَةِ طَبِيْنٍ بِالْأُمُورِ الْجِشَامِ (4)

وبالمقابل فهم:

- 1 - البيت الرابع والثمانون، الهاشمية الأولى، ص 36 .
- 2 - البيت الخامس، الهاشمية الأولى، ص 12 .
- 3 - البيت الثامن، الهاشمية الأولى، ص 13 .
- 4 - البيت الخامس عشر، الهاشمية الأولى، ص 16 .

(الخفيف)

للقريبين من ندى والبُعِيدِ — من من الجور في عرى الأحكام (1)

إن الهاشميين أساس العدل، فلا جور ولا انحراف إلى الظلم و ظلماته، وإذا تولوا الأمور العظيمة كانوا أهلاً لها. ونلاحظ التخالف بين قريين وبعيدين في البيت الثاني من هذين البيتين.

وجمع العدل والجور في بيت معاً، فقال معبراً عن اعتداله تجاه الصحابة عامة

(الوافر)

-عليهم السلام -:

فَصَارَ بِذَلِكَ أَقْرَبَهُمْ لِعَدْلِ إِلَى جَوْرٍ وَأَحْفَظَهُمْ مُضِيْعًا (2)

ونلاحظ متعاكسين آخرين حواهما البيت: الحفظ والتضييع.

إن الكميّ يتكلم عن تضييع الحق حسب ما يعتقد، ولكنه يتكلم كلام المجادل الهادئ الذي لا يخرج إلى السب والشتم أو اللعن.

وقد استعمل الكميّ ألفاظ الضلال والغي والحق والرشد في مواطن شتى، لكنه جمع

(الطويل)

الهدى مع الضلال في بيت يتحدّث عن الأمويين:

فَمَنْ أَيْنَ أَوْ أَنَّى وَكَيْفَ ضَلَالَهُمْ هُدًى وَالهوى شتى بهم منشعب (3)

فعلى عكس آل البيت، يقف أولئك الحكام ركناً للضلال منجرين خلف أهوائهم المريضة.

وإذا كان القرآن الكريم قد جمع الرشد مع الغي في آية: [قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...] (4)

1- البيت الرابع، الهاشمية الأولى، ص 12 .

2- البيت الثاني عشر، الهاشمية السادسة، ص 197 .

3- البيت الثالث والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 74 .

4 - سورة البقرة . آية 256 .

فقد استخدمهما الشاعر متفرقين في بيتين اثنين فقال يحث الأمة على اليقظة والانتباه:

(الطويل)

وَهَلْ أُمَّةٌ مُسْتَقِظُونَ لِرُشْدِهِمْ فَيَكْشِفُ عَنْهُ النَّعْسَةَ الْمُتَمَرِّمُ (1)

إن الكمية يستهزئ الأمة لتتوب إلى رشدها وتتفرض عن نفسها غبار الغفلة.

كما قال يصف أولئك الحكام:

(الطويل)

إِذَا قِيلَ هَذَا الْحَقُّ لَا مَيْلَ دُونَهُ فَأَنْقَاضُهُمْ فِي الْغِيِّ حَسْرَى وَلُغْبُ (2)

هذا هو حال تلك الفئة، لا سهم لهم في ميدان الحق، بل كل عملهم وجهدهم في الضلال وميدانه.

وعاكس بين الكسب والاستفادة و بين الإنفاق والاتلاف:

(الخفيف)

مُسْتَفِيدِينَ مُتْلَفِينَ مَوَاهِبِ سَبَّ مَطَاعِيمَ غَيْرَ مَا أَبْرَامِ (3)

إن الهاشميين يتسفيدون المال ويجنونه، ثم ينفقونه ويعطون ويهبون، فيطعمون بعيدين في ذلك عن البرم والبخل واللؤم.

وعكس الأبرام في البيت السابق: المفضلين المساميح:

(الخفيف)

مُسْتَعْفِينَ مُفْضَلِينَ مَسَامِيحِ حَاحَ مَرَاجِيحِ فِي الْخَمِيسِ اللَّهُامِ (4)

فالهاشميون كرماء ينفقون ما استفادوا وجمعوا، ولا يعرف البخل طريقاً إليهم، وهم إلى ذلك أهل

1- البيت الثاني، الهاشمية الرابعة، ص 147 .

2- البيت السبعون، الهاشمية الثانية، ص 73 .

3- البيت السابع عشر، الهاشمية الأولى، ص 16 .

4- البيت الثامن عشر، الهاشمية الأولى، ص 17 .

أحلام إذا ما خاضوا غمار الحرب.

ونجد التعاكس بين الحلم والعقلانية وبين الجهل في بيتين متتاليين: (الخفيف)

وهم الأرافون بالناس في الرأ فة والأحلمون في الأخلام
يسطوا أيدي النوال وكفوا أيدي البغي عنهم والغرام (1)

ويفسر أبو ريش شارحاً: " والغرام: الجهل، ورجل عارم: أي جاهل ".

لكن آل البيت لا يعرفون هذه الصفة، فهم على العكس منها، أهل عقل وحكمة إضافة إلى الرافة والكرم كذلك. كما نرى التعاكس كذلك بين بسطوا وكفوا في البيت الثاني.

ويمتدح آل بيت النبوة، فيقول: (الخفيف)

ومداريك للذحول متاري ك وإن أحفظوا لغور الكلام (2)

فإذا ما كان لهم ثار كانوا قادرين على إدراكه، لكنهم لكرمهم وعقلانيتهم لا يفعلون ذلك ولو أغضبهم الكلام السيء.

ويمدحهم كذلك بالفصاحة والقدرة على التكلم، فيقول: (الخفيف)

أسد حرب غيوث جذب بهال ل مقاويل غير ما أقدام (3)

وهم متكلمون قوالون، غير أقدام أعياء عن الحجة، لكنهم بعيدون عن الهذر وليسوا مهاذير، هذارين، يلقون الكلام على عواهنه، كثيراً، يفيض بالخطأ والباطل (4)، وإذا ما احتاج الأمر إلى العمل فهم أهل الشجاعة في الحرب.

1 - البيتان الواحد والأربعون والثاني والأربعون، الهاشمية الأولى، ص 25 .

2 - البيت التاسع عشر، الهاشمية الأولى، ص 17 .

3 - البيت السابع والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 21 .

4- ينظر : لسان العرب (هذر) .

إنهم:

(الخفيف)

لا مهاذير في الندى مكاثيـ رَ ولا مُصنّتين بالإفحام (1)

فهم يتكلمون حيث يجب الكلام فلا يصمتون مَقَمين، إنهم يعرفون متى وكيف يتكلمون أو يصمتون.

وهم كذلك:

(الخفيف)

مُحلّون مُحرمون مقرؤ ن بجلُّ قرارة وحرام (2)

إنهم يحجون فيحلون وقت الإحلال ويحرمون زمن الإحرام، ويبينون الحلال والحرام حتى يعرفه الآخرون.

ويعاكس بين الموت والحياة؛ فيقول في حكام بني أمية:

(الخفيف)

من يمت لا يمت ققيداً ومن يحنـ ي فلا ذو إل ولا ذو نمام (3)

وجودهم وعدمه سواء ولا فرق بينهما، فإذا مات واحد منهم فغير مفقود ولا مأسوف عليه، وإذا ما عاش فلا يرقب إلا ولا ذمة، ولا عهد له.

وكما عاكس في الفعل، يعاكس في الاسم قائلاً في الهاشميين:

(الخفيف)

لو فدى الحي ميئاً قلت نفسيـ وبني الفدي لتلك العظام (4)

ومن لا يفدي معك تلك العظام الشريفة، ولكنه قضاء الله فكل من عليها فان.

- 1- البيت الثامن والعشرون، الهاشمية الأولى، ص 21 .
- 2- البيت الرابع والثلاثون، الهاشمية الأولى، ص 23 .
- 3- البيت التاسع والثلاثون، الهاشمية الأولى، ص 24 .
- 4- البيت الثاني والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 27 .

(الخفيف)

ورأيتُ الشَّرِيفَ في أعينِ القَوِّ م وَضِيعاً وَقَلَّ مِنْهُ احْتِشَامِي (1)

فلا مكان لأهل السوء في نفسه ولا احترام، فهم وابطون لا احتشام منهم.

(الخفيف)

ويطابق بين راضٍ وساخط فيقول:

أبداً رَغَمَ سَاخِطِينَ رَغَامَ (2) ما أبالي وَلَنْ أَبَالِي فِيهِمْ

(الطويل)

أما أولئك الحكام فيقول عنهم:

وَقَدْ دَرَسُوا الْقُرْآنَ وَافْتَلَجُوا بِهِ (3) فَكَلَّهْمُ رَاضٍ بِهِ مَتَّحِزَبُ

إن ضلالهم لم ينبع من جهل، بل من علم ومعرفة، ولكنه الضلال يزين الباطل ويغري

صاحبه به.

(الطويل)

ثم جمعهما - الرضا والسخط - فقال متمنياً:

وَيَنْفِذُ فِي رَاضٍ مَقْرَبٌ بِحُكْمِهِ (4) وَفِي سَاخِطٍ مَنَا الْكِتَابُ الْمُعْطَلُ

أمنية طالما تمنّاها، أن يرى الإسلام وعدله يحكمان فينفذ الحكم في الجميع راضين

وساخطين على حد سواء.

وعاكس مرة أخرى بين الإكراه والغضب ، وبين الطواعية والرضا حين تحدث عن حكام بني

أمية:

1- البيت الثالث والثمانون، الهاشمية الأولى، ص 35.

2- البيت السابع والثمانون، الهاشمية الأولى، ص 36.

3- البيت الثاني والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 74.

4- البيت السابع والسبعون، الهاشمية الرابعة، ص 177.

(الطويل)

إِذَا اتَّضَعْنَا كَارِهِينَ لِبَيْعَةٍ أَنَاخُوا لِأُخْرَى وَالْأَزْمَةُ تُجَدِّبُ (1)

وفسره أبو ريش فقال: " اتضعونا: ركبونا قهراً... والاتضاع أن يأخذ برأس البعير فيمد عنقه ثم يركبه على عنقه ". فهم لا يكفون عن الظلم يعطي رأيته السابق للاحق، غير آبه برأي الأمة أو مصالحتها. كما خاطب الهاشميين فقال:

بِخَاتِمِكُمْ غَصْبًا تَجُوزُ أُمُورُهُمْ فَلَمْ أَرَ غَصْبًا مِثْلَهُ يَتَغَصَّبُ (2)

وقال أبو ريش مفسراً: " بخاتم بني هاشم تجوز أمور بني أمية فلم أر مثل هذا الغصب ".

ويعبر عن واقع أولئك الحكام وحالهم ، فيقول:

(الطويل)

رَضُوا بِخِلَافِ الْمُهْتَدِينَ وَفِيهِمْ مُخْبَأَةٌ أُخْرَى تُصَانُ وَتُحْجَبُ (3)

لقد ارتضوا لأنفسهم طريق الضلال، وتكبوا الهدى وطريقه، حتى إنهم ليعتبرون أنفسهم (وخلفاءهم) أفضل من الرسول، كما يشير أبو ريش في شرحه.

وإذا كان آل البيت يُكرهون على البيعة ويُغصب حقهم في الخلافة ، فإن أولئك الحكام

يهيئون طائعين إلى الضلالات:

(الطويل)

وَإِنْ عَرَضَتْ دُونَ الضَّلَالَةِ حَوْمَةٌ أَخَاضُوا إِلَيْهَا طَائِعِينَ وَأَوْتَبُوا (4)

ككل من اتخذ الضلال منهج حياة، يسرع إلى الهاوية طائعا مختاراً.

1 - البيت الثاني والثلاثون، الهاشمية الثانية، ص 57 .

2 - البيت الثامن والعشرون ، الهاشمية الثانية ، ص 55 .

3 - البيت الخامس والستون، الهاشمية الثانية، ص 70 .

4 - البيت الواحد والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 73 .

وخالف كذلك في مصطلحات البيع والشراء:

(الخفيف)

لَمْ أَيْعَ دِينِي الْمُسَاوِمَ بِالْوَكْمِ _____ س _____ وَلَا مُغْلِيًّا فِي السَّوَامِ (1)

فدِينُهُ لَيْسَ مَادَّةً لِلْمُسَاوِمَةِ وَالْبَيْعِ، إِنَّهُ فَوْقَ الْمُسَاوِمَةِ وَجَدَالَ التَّجَارَةَ، إِنَّهُ الدِّينَ الَّذِي وَهَبَ نَفْسَهُ لَهُ.

وعاكس بين الحب و بين البغض والكرهية، فقال عن حبه لآل بيت النبي:

إِلَى النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِحَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ (2)

إن الكمية يحدد هنا مصدر طربه، فما كان طربه إلى البيض الجميلات ولا إلى شيء من ذلك القبيل، إنه فقط طرب إلى النفر الخير، إلى الهاشميين، حيث يتقرب إلى الله تعالى في حبه لهم وما ينوبه ويصيبه من عنت ومشقة في هذا السبيل.

ثم يقول مخاطباً حكام بني أمية عن علاقتهم مع أهل الصفوة من الأمة: (الطويل)

أَسْلَمْتُ مَا تَأْتِي بِهِ مِنْ عَدَاوَةٍ وَبُغْضٍ لَهُمْ لَا جَيْرَ بَلْ هُوَ أَشْجَبُ (3)

يحتاج الكمية المحجاج المجادل من يعيبه بسبب حبه للهاشميين فيتساءل ما إذا كانت سلامة أولئك في بغض الهاشميين أم في عداوتهم، ومما لا ريب فيه أن هذا الأمر مدعاة للهلاك والشجب.

وعن علاقته بآل بيت النبوة يقول: (الطويل)

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَاراً وَأَغْضَبُ (4)

1- البيت الواحد والتسعون، الهاشمية الأولى، ص 37.

2- البيت الرابع عشر، الهاشمية الثانية، ص 49.

3- البيت السابع، الهاشمية الثانية، ص 46.

4- البيت الرابع عشر، الهاشمية الثانية، ص 50.

هؤلاء هم النفر البيض الذين طرب لهم، إنهم رهط النبي وآل بيته -عليهم السلام- وهم الذين يرضى ويغضب من أجلهم، ومن أجلهم فقط.

وكما عاكس بين الحب والكرهية، فقد عاكس كذلك، بين الذم والتقريظ، فقال عن آل

البيت -عليهم السلام-: (الطويل)

وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَوْلَاكَ وَهَوْلَا مَجْنَأً عَلَى أَنِّي أذُمُّ وَأُقْصِبُ

وقال: (الطويل)

على أي جُرْمٍ أم بَأْيَةِ سِيرَةٍ أَعَنَّفُ فِي تَقْرِيطِهِمْ وَأُوْنَّبُ (1)

لقد جعل من نفسه مجناً يذب ويدفع عنهم، رغم أنه يذم على هذا الأمر ويُشتم ويُعاب، ولكنه عن ذلك في شغلٍ ولا يلقي له بالاً، بل إنه ليتساءل مستكراً رافضاً ذلك.

ويخاطب آل البيت فيعاكس بين الأبعد والأقرب قائلاً: (الطويل)

وَأُخْمِلُ أَحْقَادَ الْأَقَارِبِ فِيكُمْ وَيُنْصَبُ لِي فِي الْأَبْعَدِينَ فَأُنْصَبُ (2)

تعبيراً من تعبيرات الكمية عما يلاقي في سبيل حبه للهاشميين، فلا الأقربون ولا الأبعد يدعونه وحبه هذا، ولكنه يحتمل ذلك من الأقارب، وبالمقابل يناصب الأبعد العداوة.

ويعاكس الشاعر كذلك بين الاجتماع والفرقة فيقول مخاطباً الرسول: (الطويل)

بِكَ اجْتَمَعَتْ أَنْسَابُنَا بَعْدَ فَرْقَةٍ فَتَحَنُّ بَنُو الْإِسْلَامِ نُدْعَى وَنُنْسَبُ (3)

1 - البيت التاسع، الهاشمية الثانية، ص 47 . و البيت السابع والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 75 .

2 - البيت السابع والعشرون، الهاشمية الثانية، ص 55 .

3 - البيت الواحد والأربعون، الهاشمية الثانية، ص 60 .

لقد مزقت الثارات والمنازعات المجتمع العربي قبل الإسلام، ولكن الله تعالى منّ عليهم وعلى البشرية بهذا الدين، فاجتمعت كلمتهم بعد تلك الفرقة.

ويعاكس مرة أخرى بين التجمع والتفرق وكذلك بين الهدى والضلال، لكنه هذه المرة

يتكلم على حكام بني أمية في بيتين متتاليين: (الطويل)

وَقَدْ دَرَسُوا الْقُرْآنَ وَافْتَلَجُوا بِهِ فَكَلَّمُوا رَاضٍ بِهِ مَتَحَزَّبُ

فَمَنْ أَيْنَ أَوْ أَنَّى وَكَيْفَ ضَلَالُهُمْ هُدَىٰ وَالْهَوَىٰ شَتَّىٰ بِهِمْ مُتَشَعَّبُ (1)

كيف يدعي أولئك أن ضلالهم هو الهدى ؟

ويتابع الكميت مخاطباً الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - معاكساً بين الحياة

والموت: (الطويل)

حَيَاتُكَ كَأَنَّكَ مَجْدُنَا وَسَنَاءُنَا وَمَوْتُكَ جَذَعٌ لِلْعَرَانِينَ مُوَعَّبُ (2)

لقد كان الرسول مصدر المجد والعز الذي شرف العرب، ولما انتقل إلى الرفيق الأعلى كان ذلك مصاباً جلاً جدع الانوف فاستأصلها.

ويعاكس كذلك بين الإخفاء والإظهار، فيقول في دفن الرسول الكريم: (الطويل)

لَقَدْ غَيَّبُوا بَرًّا وَصِدْقًا وَنَائِلًا عَشِيَّةً وَارَاكَ الصَّقِيحُ الْمُنْصَبُ (3)

لقد كان مثلاً للبر والصدق والكرم والخير أجمع، فغيبت كل تلك القيم السامية يوم

ووري التراب.

1 - البيتان الثاني والسبعون والثالث والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 74 .

2 - البيت الثاني والأربعون، الهاشمية الثانية، ص 60 .

3 - البيت السابع والأربعون، الهاشمية الثانية، ص 62 .

أما عن أولئك الحكام، فقال:

(الطويل)

إِذَا شَرَعُوا يَوْمًا عَلَى الْغَيِّ فِتْنَةً طَرِيقَهُمْ فِيهَا عَنِ الْحَقِّ أَنْكَبَ (1)

إن طريقهم كلها نكباء ، تبتعد عن الحق وسبيله.

(الطويل)

كما عاكس بين الوضع وذا الهيئة، في واحدة من حكمه:

كَذَلِكَ الْمَنَائِي لَا وَضِيعًا رَأَيْتَهَا تَخَطَّى وَلَا ذَا هَيْبَةٍ تَتَهَيَّبَ (2)

حقيقة يقررها الكميت في صورة حكمة من حكمه التي احتوتها الهاشميات، فالمنايا لا

تفرق بين وضيع و شريف، فإذا ما حانت ساعة أحدهم خطفته يدها ولا تبالي بشرفه.

(المنسرح)

وعاكس بين الأعزب والمتزوج حين تحدث عن الودد:

وَلَا شَجِيحٍ أَقَامَ فِي دِمْنَةَ السَّـ مِئْزَلٍ لَا نَاكِحٍ وَلَا عَزْبُ (3)

الدمنة، إحدى المفردات التقليدية في الشعر العربي، سخرها الكميت لغرض غير غرض

أولئك الشعراء؛ لقد سخرها لغرض أسمى من كل ما عداه، إنه الحب لله ولرسوله ولآل رسوله.

(المنسرح)

وعاكس كذلك بين الظاعن والساكن في بيتين متتاليين:

أَهْلَانُ لِلدَّارِ مِنْهُمْ الْأَنْسُ الظَّا عَنِ مِنْهُمْ بَاكٍ وَمُكْتَتَبُ

وَالْوَحْشُ بَعْدَ الْأَنْسِ قَاطِنَةٌ بِكُلِّ دَارٍ مِنْ أَهْلِهَا عَقْبُ (4)

1- البيت الرابع والستون، الهاشمية الثانية، ص 70 .

2 - البيت التاسع بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 87 .

3 - البيت التاسع، الهاشمية الثالثة، ص 103 .

4 - البيتان السادس عشر والسابع عشر، الهاشمية الثالثة، ص 105 و 106 .

وقوف متفرد على الأطلال استخدمه الكميت استخداماً جديداً غير مألوف، لينفي تعلقه بها، ويثبته بالتالي لمن أحبه من دون الناس.

كما استخدم الطرب والاكتاب متعاكسين بقوله:

(المنسرح)

أنى ومن أين أبك الطرب
من حيث لا صبو ولا ريب

أهلان للدار منهم الأنس الظا
عن منهم بك ومكتب⁽¹⁾

لقد استخدم الشاعر الأطلال؛ ليرسخ المعنى الذي ذهب إليه وهو حبه لآل البيت، حباً جماً لا يشوبه ولا يخالطه غرض أو نفع، فالطرب للهاشميين فحسب وليس لشيء آخر مما طرب له الآخرون.

وقريب من الطرب والاكتاب، الجدل والحزن، فيعكس الكميت قائلاً: (الوافر)

دخيل في الفؤاد يهيج سقماً
وحزناً كان من جدل منوعاً⁽²⁾

وما ذلك الدخيل إلا الهم الذي نفى عن عيني الشاعر النوم، وبدلاً منه ملأت عينيه الدموع بسبب الحال الصعب الذي تعيشه الأمة تحت حكم بني أمية، فاستبدل بالجدل والسرور الهموم والأحزان.

وكذلك في علاقته مع آل البيت - عليهم السلام - قال الكميت معاكساً: (المنسرح)

وقيل أفرطت بل قصدت ولو
عنفتي القائلون أو تلبوا⁽³⁾

1- البيت الأول، الهاشمية الثالثة، ص 100، والبيت السادس عشر، الهاشمية الثالثة، ص 105 .

2- البيت الثاني، الهاشمية السادسة، ص 195 .

3- البيت الرابع والثلاثون، الهاشمية الثالثة، ص 111 .

إنه لم يبالغ في حبه آل البيت بل لقد قصد ولم يسرف، مع أن حبه كان عظيماً وهو إلى ذلك معلى لا يداريه ولا يخفيه، وهو مصرٌّ على ذلك الأمر ولو تعرض للتعنيف والتلب.

ومن وصف القرآن الكريم للرسول بالمبشر المنذر بقوله: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا] ⁽¹⁾، عاكس الكميّة قائلاً: (المنسرح)

مُبَشِّرًا مُنْذِرًا ضِيَاءً بِهِ أَنْكِرَ فِينَا الدُّوَارَ وَالنُّصَبَ ⁽²⁾

ومظهر آخر من مظاهر تأثر الكميّة بالقرآن العظيم، فالرسول بشير ونذير وضوء أثار ظلمات الجهل فأنكر الناس في هذا النور ما كانوا عليه من عبادة الأصنام.

وعاكس في حديثه كذلك عن آل البيت في أبيات ثلاثة متتالية: (المنسرح)

قَوْمٌ إِذَا امْتَلَوْنَحَ الرَّجَالُ عَلَى أَفْوَاهِ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُمْ عَذْبُوا

إِنْ نَزَلُوا فَالْغُيُوثُ بِأَكْرَةَ وَالْأَسْدُ أَسْدُ الْعَرِينِ إِنْ رَكِبُوا

لَا هُمْ مَفَارِيحُ عِنْدَ نُوبَتِهِمْ وَلَا مَجَازِيْعُ إِنْ هُمْ نُكِبُوا ⁽³⁾

جملة من المناقب ينسبها الشاعر لأحبته من آل البيت، فهم كالماء العذب إذا ما كان الآخرون ملحاً أجاحاً، وهم كذلك أهل الكرم والشجاعة، وإلى هذا وذاك فهم مقتصدون في تعاملهم مع ما يصيبهم من خير أو شر، فلا هم فرحون عندما تكون الدائرة لهم، ولا هم جزعون إذا دارت عليهم الدائرة.

ويتابع الكميّة عن الهاشميين - عليهم السلام - فيقول:

1- سورة الإسراء، آية : 105 .

2- البيت السابع والأربعون، الهاشمية الثالثة، ص 115 .

3- الأبيات الثاني والستون إلى الثالث والستون، الهاشمية الثالثة، ص 120 .

(المنسرح)

والسَّالِمُونَ الْمُطَهَّرُونَ مِنْ الْـ

عَيْبِ وَرَأْسِ الرَّؤُوسِ لَا الذَّنْبُ (1)

فهم بعيدون عن كل نقص مبرؤون من كل عيب، إنهم في أعلى قمة المجد وليس في الذنب من الناس.

وهم كذلك حضور غائبون، حضور عند الحلم والنهي وما يترتب على ذلك، غائبون إذا

ما ساد الخنا ومنطقه، يقول: (المنسرح)

لَا شَهْدَةَ لِلخَنَا وَمَنْطِقَهُ

وَلَا عَنِ الحَلْمِ وَالنُّهْيِ غَيْبُ (2)

فلا تجدهم إلا حيث يكون الأخيار والأطهار، في مواقف العقلانية والتحمل.

ويصف حكام بني أمية فيخالف بين السعي والوثب، إذ يقول: (المنسرح)

صَعَدَهُمْ فِي كَوُودِهِ الرَّيْبُ تَوَ

هَيْنَ قُوَى وَالسُّعَاةُ لَا الْوَثْبُ (3)

إن أولئك قد قعد بهم السعي حين اشرأبت أعناقهم تروم مجد الأماجد، فشق عليهم ذلك ولم يستطيعوا إليه سبيلاً.

وخالف الكميت في وصفه الحرب قائلاً: (المنسرح)

إِذَا بَدَتْ بَعْدَ كَاعِبِ رَوْدِ

شَمْطَاءَ مِنْهَا اللَّحَاءُ وَالصَّنَّخَبُ

مَحْلُوقَةُ الرَّأْسِ لَا تَجْرُدُ بِالـ

حُسْنِ وَلَا بِالْحَيَاءِ تَأْتِي (4)

1- البيت السابع والستون، الهاشمية الثالثة، ص 121 .

2 - البيت الخامس والسبعون، الهاشمية الثالثة، ص 123 .

3- البيت السابع والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 127 .

4- البيتان الواحد والتسعون والثاني والتسعون، الهاشمية الثالثة، ص 128 .

صورة للحرب وويلاتها كأحسن ما يكون التصوير، فهي كالمرأة المحلوقة الرأس بلا حسن ودون حياء، إنها غاية البشاعة ومنتهاها.

كما عاكس الشاعر بين الجدِّ واللعب في حديثه عن الثور والكلاب:

(المنسرح)

فاستلحمتَه الضراءُ في هَبْوَةِ النَّـ قَعَ بِجِدِّ كَأَنَّهُ اللَّعْبُ (1)

إنه الصراع بين الحق والباطل اختار له الكميته هذا الوصف من الشعر العربي: ثور وحشي تهاجمه الكلاب، وتبقى النتيجة تحددها حال الشاعر النفسية فكانت هنا انتصاراً للثور على الكلاب.

(المنسرح)

وعن القطا يقول معاكساً:

لا شاكِرَاتٍ إِذَا غَنِينِ ولا في فقْرِهِنَّ الجَفَاءُ مُرْتَابُ (2)

إذا غنيت لا يكفيها العلف القليل فهي ليست شكروة، وإذا افتقرت لا تجمع الجفاء الذي يرميه السيل لتفيد منه.

(الطويل)

كما عاكس بين الجدِّ والهزل عند الإنسان، فقال:

أرانا على حُبِّ الحياة وطولها يُجَدُّ بنا في كلِّ يَوْمٍ ونَهْزَلُ (3)

ويصف الشاعر أولئك الحكام الذين أُشربوا في قلوبهم الدنيا وحبها آخذين الأمر على

محمل الهزل وهو الفصل والجد.

1- البيت الحادي عشر بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 136 .

2- البيت الثامن والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 143 .

3- البيت الثامن، الهاشمية الرابعة، ص 148 .

وحيث يصف حكام تلك الفئة يعاكس، فيقول: (الطويل)

مُصِيبٌ عَلَى الْأَعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهَا لِمَا قَالَ فِيهَا مُخْطِئٌ حِينَ يَنْزَلُ⁽¹⁾

إذا ما اعتلى المنبر فقولاً مُجيد حتى إذا ما حان وقت العمل، كان عمله عكس ذلك.

أما حال آل البيت فإنها تتخالف وحال حكام بني أمية: (الطويل)

فَكَيْفَ وَمِنْ أَنَّى وَإِذْ نَحْنُ خَلْفَةٌ فَرِيقَانِ شَتَّى تَسْمَنُونَ وَنَهْزَلُ⁽²⁾

يتساءل الكميت عن الحق الذي أباح لأولئك أن يعيشوا عيشة الرفاه والرغد، بينما يعيش

أصحاب الحق عيشة الكفاف والشظف، فمن الذي خولهم تلك القسمة.

ويصف واحداً من حكام بني أمية، فيعاكس بين الأمر والنهي: (الطويل)

كَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ يُعْنَى بِأَمْرِهِ وَبِالنَّهْيِ فِيهِ الْكَوْدَنِيُّ الْمُرَكَّلُ⁽³⁾

إن ذلك الحاكم الظالم كالبرذون ثقلاً إذا ما نهاه القرآن العظيم عما يأتي من إجرام فلا

ينصاع للأمر ويسدر في غيه متجاهلاً أمر الله تعالى.

ثم يصف أولئك الحكام بأبرز ما ميزهم، وهو سفك دماء المسلمين، ومع ذلك يحرمون هؤلاء

المسلمين ما يستحقون: (الطويل)

تَحَلُّ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ لَدَيْهِمْ وَيَحْرُمُ طَلْعُ النَّخْلَةِ الْمُتَهَدَّلُ⁽⁴⁾

وكم دم أراقه أولئك ، لقد سفكوا حتى دماء سبط الرسول وأهله - عليهم السلام -

1- البيت الخامس عشر، الهاشمية الرابعة، ص152 .

2- البيت التاسع عشر، الهاشمية الرابعة، ص154 .

3- البيت التاسع والعشرون، الهاشمية الرابعة، ص159 .

4- البيت الأربعون، الهاشمية الرابعة، ص162 .

ويعاكس الكميت بين جيوش الأمويين، وجيش الحسين - رضي الله عنه -
فيقول:

(الطويل)

تهافت ذُوبانُ المطامعِ حَوْلَهُ فريقانِ شَتَى ذُو سِلَاحٍ وَأَعزَلُ (1)

إن الكميت ليصفهم بالذئاب تهافتوا على الحياة.

وقسم الكميت الناس في موقفهم من الحرب بين الحق الضعيف، والباطل المعربد إلى قسمين،
قائلاً:

(الطويل)

فريقان هذا راكبٌ في عداوةٍ وباكٍ على خذلاته الحقُّ مُغُولُ (2)

إنهما فريقان مسلحٌ وأعزل، فعادى المسلحُ الحقَّ وناصبه العداة، فما بقي للأعزل إلا
البكاء والعويل.

(الطويل)

ومتابعة لحديثه، يعاكس الكميت قائلاً:

فما نفعُ المُستأخِرِينَ نَكِيسُهُمْ ولا ضِرٌّ أَهْلَ السَّابِقَاتِ التَّعَجُّلُ (3)

لم يفد الذين تخلفوا عن نصرته الحق شيئاً يوم نكصوا على أعقابهم، ولم تكن هبة
السابقين إلى نصرته لتجلب الضرر لهم، بل لقد كان العكس هو الحاصل والواقع، فما جنى
الناكصون إلا الإثم، ولا طال السابقين إلا شرف السبق.

(المتقارب)

و يعاكس الكميت في حديثه عن علاقته بآل البيت:

لئن طالَ شُرْبِي لِلأَجْنَاتِ لقد طابَ عندهمُ مشْرَبِي (4)

1- البيت السادس والخمسون، الهاشمية الرابعة، ص 168 .
2- البيت الواحد والستون، الهاشمية الرابعة، ص 170 .
3- البيت الثاني والستون، الهاشمية الرابعة، ص 170 .
4- البيت السادس والعشرون، الهاشمية الخامسة، ص 193 .

وهل يكون عندهم إلا الطيب، إنهم أهل الخير بكل أشكاله، فإن أجن الماء عند غيرهم فإنه لن يكون عندهم إلا طيباً صافياً، وهم أهل الطيب والنقاء والصفاء.

ومن مديحه للهاشميين يقول معاكساً: (المتقارب)

ولا الطعنُ في أعينِ المُقبلينِ ولا في قفا المُذبرِ المُذنبِ (1)

إن الهاشميين مترفعون عن الخنا والكلمة العوراء، فلا طعن في الوجه ولا في القفا والغياب، فإن المؤمن لا يكون طعناً ولا لعناً.

وبين الأرق والهجوع يعاكس قائلاً: (الوافر)

نفي عن عينِكَ الأرقُ الهُجوعا وهمٌ يمتَري منها الدُموعا (2)

وكيف يهجع المؤرَّق المهموم وكيف ينام الخائف المترقب وسيف الظلم مشهر فوق رأسه، فالدموع هي البديل للنوم والهجوع.

وبين الحفظ والتضييع، كما بين الجور والعدل مرة أخرى: (الوافر)

فصارَ بِذاك أقرَبَهُمْ لِعَدْلِ إلى جَوْرِ وأحفظَهُمْ مُضِيعا (3)

إن الكمية معتدلة في تشييعه وليس غالباً كما يزعم البعض، فلا يسب الشيخين أبابكر

وعمر -عليهما السلام- حيث يقول في البيت السابق لهذا البيت: (الوافر)

فلم أبلغْ بِهِمْ لَعْناً ولكن أساءَ بِذاك أولَهُمْ صنيعا (4)

1- البيت الأول، الهاشمية السادسة، ص195 .

2- البيت الثاني عشر، الهاشمية السادسة، ص197 .

3- البيت الثاني عشر، الهاشمية السادسة، ص197 .

4- البيت الحادي عشر، الهاشمية السادسة، ص197 .

ثانياً. الحيوان:

وكما عاكس الكميت في مجال الإنسان، فقد عاكس كذلك في ميدان الحيوان، مسخراً هذه الساحة كذلك لمدح الهاشميين والدفاع عن حقهم، ومهاجمة أعدائهم من بني أمية، ومن ذلك قوله عن النوق:

(الخفيف)

مُنْكَرَاتِ بَأَنْفُسِ عَارِفَاتِ بَعِيونِ هَوَامِلِ التَّسْجَامِ (1)

إنه يصف النوق وهي تعرف ابنها الجهييض بعينها، ولكنها تنكره بنفسها لأنه غير كامل.

(الطويل)

وربما يجتمع في البيت الواحد زوجان من التعاكس:

وَلَا السَّائِحَاتِ الْبَارِحَاتِ عَشِيَّةً أَمْرًا سَلِيمُ الْقَرْنِ أَمْ مَرًّا أَعْضَبُ (2)

إن الكميت لا يؤمن بتلك الهرطقات فلا فرق بين سائح وبارح، ولا بين سليم القرن أم مر أعضب والأعضب، فالخير والشر كلاهما قدر من الله تعالى، فلا طير إلا طيره ولا خير إلا خيره.

(الطويل)

ويحشد ثلاثة أزواج من المتعاكسات في بيت يتكلم عن الكلاب:

مَجَازِيْعُ فِي فِقْرِ مَسَارِيْفٍ فِي غَنِيٍّ سَوَابِحُ تَطْفُو تَارَةً ثُمَّ تُرْسَبُ (3)

هذه هي الأعداء التي أحاطت بالثور تبغيه السوء، ولكنه كان أهلاً للنصر عليها وردها

دون أن تتاله بشر أو تصيبه بسوء.

وعن الناقة يعاكس بين الوقوف والبروك، فيقول:

1- البيت الأول بعد المئة، الهاشمية الأولى، ص 41 .

2- البيت الرابع، الهاشمية الثانية، ص 44 .

3- البيت الثاني والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 97 .

4- البيت الخامس عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 89 .

(الطويل)

إذا ما احزألت في المناخ تَلَفَّتْ بِمَرْعَوِيَّتِي هُوَ جَاءَ وَالْقَلْبُ أَرْعَبُ (1)

ذكاء وخفة اختارهما الكميّ ليصف ناقته بهما، ذكاء وخفة هو بأمس الحاجة لهما للتعامل مع الواقع الأليم للأمة.

(المنسرح)

ثم يقول:

وَلَمْ تَهْجِنِي الظُّوَارُ فِي الْمَنْزِلِ الْقَفْرِ بُرُوكاً وَمَا لَهَا رُكْبٌ (2)

لا، لم يهجه شيء من تلك التي هاجت غيره، هاجه شيء واحد هو حبه لآل البيت الذين نذر نفسه لهم.

(المنسرح)

ويستمر في حديثه مشبهاً الأثافي بالنوق فيقول:

جُرْدٌ جِلَادٌ مُعْطَفَاتٌ عَلَى الْـ أَوْرَقٍ لَا رِجْعَةَ وَلَا جَلْبُ (3)

إنه يشبه الأثافي بالنوق القوية التي تعطف على الرماد، ولكنه يصفها بما يشير إلى أن هذه صورة وليست على سبيل الحقيقة، فهذه النوق لا تُرْجَعُ ولا تُرْجَعُ من السوق حيث اشْتُرِيَتْ، ولا هي تُجَلَبُ إلى السوق لتَبَاعَ.

وعن الأحوال الصعبة المتأزمة التي يكون آل البيت فيها الجواب والدواء، قال الكميّ

(المنسرح)

مخالفًا:

وكان كالأروقي الأَكْسُ من الـ سَنَجْدَةِ وَالكَرْبُ بَعْدَهُ الْكَرْبُ (4)

1- البيت الرابع، الهاشمية الثالثة، ص 101

2- البيت الخامس، الهاشمية الثالثة، ص 101

3- البيتان العشرون والواحد والعشرون، الهاشمية الخامسة، ص 191 .

وجدير بالذكر أن الأرواق هو طويل الأسنان، بخلاف الأक्स وهو قصير الأسنان، كما
يفسر الشارح، ومثله فسر اللسان (1).

إحدى الصور التي عبّر بها الكميت عن حال الأمة، فالكرب عظيم والخطب محيق
بالأمة.

وقد لا يقف التماكس على المفردة فحسب، بل قد يتعداها إلى البيت كاملاً، وذلك حين
تكلم الكميت عن كرم الهاشميين قائلاً:

(المتقارب)

فما حلّلتني عصي السقاة ولا قيل يا أبعد ولا يا غرب

ولكن بجاجة الأكرمين بحظي في الأكرم الأبعد (2)

فطيب الأصل والفرع لا يمكن أن ينجب إلا النجب، كرماء يرحبون بالوافد.

وعندما مدح الهاشميين كذلك فقال:

(الخفيف)

لكثيرين طيبين من النّاس ويزرين صادقين كرام (3)

إنهم بارون بالآخرين لا يواجهونهم إلا بالبر والخير والإحسان فهم صادقون مع أصلهم
وقديمهم، كرام لا لنام.

ومقابل هؤلاء الأبرار يقف حكام تلك الفئة:

(الخفيف)

وقتل بالطّف غودر منه بين غوغاء أمّة وطغام (4)

1 - ينظر: لسان العرب، (كسس)، (روق).

2 - البيتان العشرون والواحد والعشرون، الهاشمية الخامسة، ص 191.

3 - البيت الثاني عشر، الهاشمية الأولى، ص 15.

4 - البيت الثالث والسبعون، الهاشمية الأولى، ص 33.

ويفسر أبو رياش الطغام بالسفلة من الناس، أما الغوغاء فيشرحها اللسان قائلاً: "أصل الغوغاء الجراد حين يخفُّ للطيران، ثم استعير للسفلة من الناس والمُتَسرِّعين إلى الشر" (1).

ثالثاً. الزمان:

ويخالف الشاعر في نطاق الزمان كذلك، فيقول مادحاً:

(الخفيف)

فضلوا النَّاسَ في الحديثِ حديثاً وقديماً في أولِّ القُدَامِ (2)

إنهم خير الناس قاطبة حديثاً وقديماً وبلا منازع ولا غرو ولا غرابة فهم بيت النبوة.

ويمدح كذلك آل بيت النبوة، فيقول معاكساً:

(المنسرح)

زَهْرٌ أصْحَاءٌ لا حديثُهُمْ واهٍ ولا في قديمِهِمْ عَطْبٌ (3)

وهم كذلك أماجد على طول الزمان، فلا القديم معطوبٌ هالك ولا الحديث ضعيفٌ واهن.

ويصف الكمية حاله في ظل الحكم الأموي، فيقول:

(الطويل)

ألمَ تَرَنِي في حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ أروحٌ وأغدو خائفاً أترقَّب (4)

[فأصْبَحَ في المَدِينَةِ خائِفاً يترقَّبُ] (5) هذا كان حال موسى عليه السلام مع فرعون،

وهكذا كان حال الكمية مع حكام عصره، الخوف والترقب لا شيء إلا لأنه أحب آل البيت.

ويخالف كذلك في مستوى السرعة والبطء في بيتين متتاليين، قائلاً:

1 - لسان العرب، (غوغ) .

2- البيت السادس عشر، الهاشمية الأولى، ص 16 .

3 - البيت الثامن والستون، الهاشمية الثالثة، ص 121 .

4- البيت الخامس والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 75 .

5 - سورة القصص ، آية 18

(الطويل)

فهل تُبَلِّغُنِيهِمْ عَلَى نَائِي دَارِهِمْ نَعَمْ بِيَلَاغِ اللَّهِ وَجَنَاءِ ذَعْلَبِ
مُذَكَّرَةٌ لَا يَحْمِلُ السَّوْطَ رَبُّهَا وَلَايَاً مِنَ الْإِشْفَاقِ مَا يَتَّعَصَّبُ (1)

إن الشوق للقاء الأحبة يحدو الشاعر وناقته، فهو يتساءل مشتاقاً مع أنه يعرف أنها قوية قوة الذكر وسريعة، ولكنه الشوق إلى من أحب.

ومن تأثره بالقرآن الكريم، وربطه بين الحياة الدنيا والآخرة، يقول معاكساً:

(المنسرح)

مَجْدُ حَيَاةٍ وَمَجْدُ آخِرَةٍ سِجْلَانِ لَا يَنْزَحَانِ مَا شَرِبُوا (2)

لقد حازوا المجد كله، مجد الحياة ومجد الآخرة، مجد دائم ونبع لا ينضب.

(المنسرح)

كما عاكس بين الأول والآخر قائلاً:

وَالْحَاشِرُ الْآخِرُ الْمُصَدِّقُ لِلْـ أَوَّلُ فِيمَا تَنَاسَخَ الْكُتُبِ

وَاصِلَةٌ آخِرًا بِأَوَّلِـ تَنَخَّلُوا صَفْوَهَا وَمَا خَشَبُوا (3)

إن الهاشميين قد نالوا مودة الشاعر كاملة لم يقاسمهم أحدٌ فيها، أخذوا الصفو منها فكانوا في هذا الأخذ كأبرع ما يكون فلم يخشبوها، فأحسنوا عملهم وأجادوه.

(المنسرح)

ويتابع مديحه قائلاً:

إِنْ أَصْدَرُوا الْأَمْرَ أَصْدَرُوهُ مَعَا أَوْ أوردوا أَبْلغوه مَا قَرَّبُوا (4)

1- البيتان الثاني عشر والثالث عشر بعد المنة، الهاشمية الثانية، ص 88 .

2- البيت الرابع والخمسون، الهاشمية الثالثة، ص 117 .

3- البيتان الرابع والأربعون، والواحد والستون، الهاشمية الثالثة، ص 113، وص 119 .

4- البيت الثاني والثمانون، الهاشمية الثالثة، ص 125 .

فهم يضعون الأمور في نصابها بلا تقصير أو سوء صنيع.

ومن حوارهِ مع نفسه، يقول الكميّ:

(الطويل)

وَقَلْتُ لَهَا بِيَعِي مِنَ الْعَيْشِ فَانِيَاً بِيَاقٍ أَعَزِّيهَا مِرَاراً وَأَعْدَلُ (1)

وهذه هي طبيعة الإنسان اليقظ، لا ينفك يحاور نفسه ويعدل، إنها النفس اللوامة.

رابعاً. المكان:

وفي مجال المكان، الذي استخدمه كذلك لغرضه الوحيد في الهاشميات وهو المديح لآل البيت، والدفاع عن حقهم الذي لم يجد مُذنباً عنه مدافعاً، والتنظير له والحجاج عنه. وقد عاكس الكميّ بين القريب والبعيد، في قوله:

(الخفيف)

للقريبين من نَدَى والبُعَيدِ من الجورِ في عرى الأحكام (2)

الكرم والعدل، من أبرز ما اتصف به الهاشميون، فلا ظلم ولا جور ولا ميل عن سواء السبيل ومثله قوله في موطن آخر:

(الخفيف)

منهمُ كنتُ للبعيدِ ابنَ عمِّ وأتَّهمتُ القريبَ أيَّ اتِّهام (3)

(الخفيف)

ويتابع المديح لآل البيت فيعكس قائلاً:

فَهُمُ الأقربونُ من كلِّ خيرٍ وهُمُ الأبعَدونُ من كلِّ ذام (4)

إنهم أهل الخير وأساسه، الخير كله بأشكاله كافة وهم كذلك بعيدون عن كل ما يسيء للإنسان.

1 - البيت التسعون، الهاشمية الرابعة، ص 180 .
2 - البيت الرابع، الهاشمية الأولى، ص 12 .
3 - البيت الثمانون، الهاشمية الأولى، ص 35 .
4 - البيت الأربعون، الهاشمية الأولى، ص 25 .

ويعاكس بين القرب والبعد، لكن بلفظين آخرين، فيقول عن آل البيت: (الطويل)

أولئك إن شطت بهم غربة النوى أمانى نفسي، والهوى حيث يسقبوا (1)

إنه اختصاراً لشعوره تجاه أحبته، فإذا ما طواهم المكان فابتعد عنهم كانوا هم المنى والأمل الذي يداعب شغاف قلبه، وحين يكون قريباً منهم فهم موضع هواه وعشقه.

كما يعاكس بين الاجتماع والتفرق، في حديثه عن الناقة، إذ يقول في بيتين متالين:

(الطويل)

إذا اغصوصبت في أئني فكأنما بزجرة أخرى في سواهن تضرب

تري المرو والكذآن يرفض تحتها كما ارتفض قئض الأفرخ المنقوب (2)

ولن تكون ناقة شاعر الهاشمين الذي نذر حياته لهم وللدفاع عن حقهم، لن تكون ناقته إلا على هذه الصورة من السرعة؛ لأن التواني في مواجهة الظلمة لن يزيدهم إلا سوءاً.

ومن الرفضات تكون الحجارة تحت قوائمها بين صاعد وهابط، فعبر عن ذلك قائلاً:

(الطويل)

كان حصى المعزاء بين فروجها نوى الرضخ يلقى المصعد المتصوب (3)

نتيجة بدهية أن يتطاير الحصى تحت قوائمها وهي تنهب الأرض نهياً باتجاه هدفها.

ويعاكس في المكان أيضاً، فيقول:

(الطويل)

عرضنة ليل في العرضنات جنحاً أمام رجال خلف نيك وأركب (4)

1 - البيت الحادي عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 87 .

2- البيتان السابع عشر والثامن عشر بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 90 .

3 - البيت الثامن والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 99 .

4 - البيت التاسع والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 99 .

وصف آخر يصف به الشاعر ناقته، إنها تسير بخفة واعتراض، هذه الصفة التي تشبه بها عادة الفرس، ولكن الكميت جعلها لناقته للتعبير عن سرعتها وخفتها.

وفي كلامه عن القطا عاكس قائلاً:

(المنسرح)

يُوغِلْنَ بِالْأَرْكَبِ الْعِجَالِ وَيَغْدُ (1)

ونجد الميزة ذاتها التي وصف بها الناقة، السرعة التي تَمَسُّ الحاجة إليها وهو يواجه حكام بني أمية.

ثم نجد متعاكسين اثنين في قوله:

(المنسرح)

ترفعُهُمْ تَارَةً وَتَخْفِضُهُمْ (2)

إنهم يسيرون مسرعين إلى زيارة الرسول فهم يظهرون وكأنهم يطفون ويرسبون فوق السراب.

وعن خيول حكام بني أمية، يقول:

(الطويل)

هْمَاهِمٌ بِالْمُسْتَلْتَمِينَ عَوَابِسُ (3)

إنها عوابس لما سخرها له أولئك، لا تملك من أمرها أن تقول له لا فترفضه، فلا أقل من أن تعبس وتحبس صرختها في صدورها.

وفي وصفه للحال تحت حكم الأمويين، يقول الكميت:

(الطويل)

إِذَا حِصَّ مِنْهُ جَانِبٌ رَاعَ جَانِبٌ (4)

بِفَتَقَيْنِ يَضْحَى فِيهِمَا الْمُتَظَلُّ (4)

1 - البيت الثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 143 .

2 - البيت الثاني والثلاثون بعد المئة، الهاشمية الثالثة، ص 144 .

3 - البيت الخامس والأربعون، الهاشمية الرابعة، ص 164 .

4 - البيت الثاني عشر، الهاشمية الرابعة، ص 151 .

صورة فنية تلخص اليأس الذي عاشه أصحاب الحق في مواجهة تلك الفئة.

أما عن آل البيت، فيقول معاكساً: (الطويل)

وإنهم للناس فيما ينوبهم عرى ثقة حيث استقلوا وحلّوا (1)

إنه بونٌ شاسع عظيم بين هؤلاء وأولئك، ولم لا وهؤلاء آل البيت وأولئك الطلقاء الذين ترسخ السوء في نفوسهم وتجذر.

وعن علاقته بالهاشميين وأعدائهم، يقول: (الطويل)

وإني على أني أرى في تقيّة أخالط أقواماً لقوم لمزِيل

وإن قيلَ لم أخفلَ وليس مُبالياً لمَحتمِلٍ ضبّاً أبالي وأخفلُ (2)

إن الشاعر يضطر إلى الالتجاء إلى ستار التقيّة مضمراً ما يملأ قلبه من حقد على أولئك الحكام، متظاهراً بعدم الاهتمام تجاه ما يراه ويعيشه.

خامساً: الطبيعة:

ولما كان الكميت قد استخدم كل ماحوله لمناصرة آل بيت النبوة -عليهم السلام-، فإن الطبيعة لن تكون مستثناة من هذا الجيش الذي جنّده شاعر الهاشميين، وقد عاكس الكميت حين مدح، فقال:

(الخفيف)

و الغُيوثُ الذين إن أمحلّ النأ س فمأوى حواضن الأيتام (3)

وقد شرح أبو رياش قائلاً: " يقول هم غياث الأيتام في هذا الزمان، والغيث المطر".

1 - البيت الثمانون، الهاشمية الرابعة، ص 177 .

2 - البيتان الخامس والسابع بعد المئة، الهاشمية الرابعة، ص 186 .

3- البيت السابع، الهاشمية الأولى، ص 13 .

إن الهاشميين هم الغوث والمطر، وهم الخصب إذا مادهم الناس القحط ليكونوا كمثل
الحاضن لليتيم يحدب عليه ويعتني به.

وعاكس كذلك بين الخصب والجذب، فقال: (الطويل)

خَضْمُونَ أَشْرَافٌ لِهَامِيمٍ سَادَةٌ مَطَاعِيمٌ أَيْسَارٌ إِذَا النَّاسُ أَجْدَبُوا (1)

فهم الكرام الأشراف يطعمون إذا ما عز الطعام والمطعمون.

ثم قال يصف حال أهل البيت، في ظل الظلم: (الطويل)

لَنَا وَتِلَاغُ الْأَرْضِ حُومَرِيْعَةٌ سَنَامٌ أَمَالَتُهُ الْخَطَائِطُ أَمِيلٌ (2)

هذا هو حال من قال للظلم: لا، شدة وضيق يعانون وطأته على حين ينعم الآخرون
بالرخاء والرفاه.

ومن صفاته أنه: (الخفيف)

طَيِّبُ الْأَصْلِ طَيِّبُ الْغُودِ فِي الْبَيْتِ يَةِ وَالْفَرْعِ يَثْرِبِي تِهَامِي (3)

وهل يكون إلا هكذا، هل سيكون إلا طيباً أصلاً وفرعاً، وهل سيكون إلا هكذا وهو خير
من أقلت الغبراء وأظلت السماء.

ومن الطبيعة الظلام والضياء، خالف بينهما قائلاً: (الخفيف)

رَأْيُهُ فِيهِمْ كَرَأْيِ نَوِي الثُّلُ يَةِ فِي الثَّائِجَاتِ جُنْحَ الظَّلَامِ (4)

1- البيت الثمانون، الهاشمية الثانية، ص 76 .

2- البيت العشرون، الهاشمية الرابعة، ص 154 .

3- البيت الثالث والخمسون، الهاشمية الأولى، ص 28 .

4- البيت السابع والثلاثون، الهاشمية الأولى، ص 24 .

ليته كان كذلك لكان اعتنى بهم، كما يعتنى ذو الثلة بثأجاته، إنهم فقط يحرسون على الحياة ومنتعها أما مصلحة الأمة فأخر ما يهمهم، وإلا لما نَحَوَا كتاب الله ونبذوه وراء ظهورهم.

ثم يقول معاكساً للظلام: (الطويل)

فِيَا مُوقِدًا نَارًا لِغَيْرِكَ ضَوْؤُهَا وَيَا حَاطِبًا فِي غَيْرِ حَبْلِكَ تَحْطِبُ (1)

أي شقاء أن يصل الإنسان هذا الحال، وأي ضلال أن يعمر دنيا غيره ويخرّب آخرته، يخدم الضلال لتكون عاقبة أمره خسرًا.

ويطال التعاكس الأرض وتضاريسها: (الطويل)

تَعْرِضُ قُفًّا بَعْدَ قَفٍ يَقُودُهَا سَبَسَبٌ مِنْهَا دِيَامِيمٌ سَبَسَبٌ (2)

ويفسر الشارح أبو ريش اللفظين فيقول: "القُفُّ ما غلظ من الأرض، وجمعه قِفاف، والسبب ما استوى منها... وجمعها سباسب وبسابس".

إنها ناقته التي إذا قطعت البيد والصحاري تجتاز القفاف والفلوات متجهة إلى هدفها ومزوربها.

وأخيراً وليس آخراً نجد الكميت يعاكس بين الجهات وأصحابها: (الطويل)

وَلَكِنْ مَوَارِيثُ ابْنِ أَمْنَةَ الَّذِي بِهِ دَانَ شَرْقِيٌّ لَكُمْ وَمُغْرَبٌ

وَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ عَلَيْنَا وَفِيمَا احْتَنَزَ شَرْقٌ وَمُغْرَبٌ (3)

فما جاء به الرسول هو الذي جعل الجميع من شرق ومن غرب يدينون ويخضعون وما أطاعوا إلا الحق الذي بعثه الله تعالى لينير طريق البشرية في دنياها، ونحو آخرتها.

1- البيت الرابع والسبعون، الهاشمية الثانية، ص 74 .

2- البيت الحادي والعشرون بعد المئة، الهاشمية الثانية، ص 92 .

3- البيتان التاسع والثلاثون، والثالث والأربعون، الهاشمية الثانية، ص 59-61 .

الختمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وبعد

فقد كانت أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هي الآتية :

- أولاً : جاء الترادف أطول فصول البحث ، مما يؤشر إلى سعة محفوظ الشاعر واطلاعه الأمر الذي ظهر واضحاً في استخدامه ألفاظاً موهلة في البداوة ، كأسماء الحبال والأواني .
- ثانياً : كان استخدام الشاعر للأضداد قليلاً ، فلم يستعمل منها إلا سبع كلمات ، وقد استخدم بعض المفردات التي تحمل معنيين متضادين لمعنى واحد كمثل كلمة جُون .
- ثالثاً : جاء استخدام التخالف والتعاكس في الهاشميات واضحاً ؛ ذلك لأن هذا الشعر قد قام في أساسه على المديح لآل البيت والهجاء لأعدائهم ، فكان لا بد والحالة هذه أن يظهر هذا الأسلوب بشكل بارز في الهاشميات .
- رابعاً: الكميت بن زيد متأثر إلى حد بعيد بالقرآن الكريم ، وظهر هذا واضحاً في الهاشميات .

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني. مجلد 16. تحقيق عبد الستار فراج. د ط. بيروت: دار الثقافة. 1959م.
- 3- أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية. ط 4. مكتبة الأنجلو المصرية.
- دلالة الألفاظ. مكتبة الأنجلو المصرية. ط 7. 1993م.
- 4- البغدادي، عبد القادر عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. الجزء الأول. ط1. بيروت: دار صادر .
- 5- الجاحظ، أبو عثمان: البيان و التبيين. حققه وقدم له فوزي عطوي. بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب.
- 6- الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي: أحكام القرآن. ج3. بيروت: دار الكتاب العربي. 1325 هـ.
- 7- الجنان، مأمون بن محيي الدين: الكميت بن زيد الأسدي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1994م.
- 8- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، مجلد1. حققه محمد علي النجار. ط2. بيروت: دار الهدى.
- 9- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز. تحقيق السيد الجميلي بيروت: دار ومكتبة الهلال. 1997م.

- 10- الحطيئة، ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني. بيروت. المؤسسة العربية للطباعة والنشر.
- 11- الرافعي، محمد محمود: شرح الهاشميات. ط3. مصر. مطبعة التمدن الصناعية.
- 12- السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها. مصر. مطبعة السعادة. 1325 هـ.
- 13- شاهين، توفيق محمد: المشترك اللغوي. ط1. القاهرة. مطبعة الدعوة الإسلامية. 1990م.
- 14- شرح هاشميات الكميت بن زيد بتفسير أبي رياش. تحقيق داود سلوم ونوري القيسي. ط1. بيروت. عالم الكتب. 1984م.
- 15- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: المثل والنحل. بيروت: دار المعرفة. 1983م.
- 16- الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة. ط5. بيروت: دار العلم للملايين. 1973م.
- 17- ضيف، شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي. ط6. مصر: دار المعارف.
- 18- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك. ط4. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. 1983م.
- 19- الطرماح، ديوان الطرماح. تحقيق عزة حسن. ط2. بيروت: دار الشرق العربي. 1994م.
- 20- أبو الطيب، عبد الواحد بن علي: الأضداد في كلام العرب. تحقيق عزة حسن. دمشق: 1963م.
- 21- ظاظا، حسن: كلام العرب في قضايا اللغة العربية. بيروت: دار النهضة العربية. 1976م.

- 22- العجلوني، إسماعيل بن محمد: كشف الخفاء ومزيل الإلباس. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1351 هـ.
- 23- عمر، أحمد مختار: علم الدلالة. ط5. القاهرة: عالم الكتب. 1998م.
- 24- عنتر، ديوان عنتر. دار صادر. بيروت: 1958م.
- 25- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: الصحابي في فقه اللغة. حققه وقدم له مصطفى الشويبي. بيروت: مؤسسة أ. بدران. 1963م.
- 26- القط، عبد القادر: في الشعر الإسلامي والأموي. مصر: دار المعارف.
- 27- قطب، سيد: في ظلال القرآن. ط17. بيروت: دار الشروق. 1992م.
- 28- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية. ج8. حققه مكتب تحقيق التراث بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1993م.
- 29- لاينز، جون: علم الدلالة. ترجمة مجيد الماشطة. البصرة: 1980م.
- 30- محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الحديث 1987م.
- 31- المعجم الوسيط. ط3. دون ناشر.
- 32- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ط1. بيروت: دار صادر. 1990م.
- 33- يوسف بن عبد الرحمن المالكي: الاستيعاب في أسماء الأصحاب بهامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني. ج3. بيروت: دار الفكر. 1973م.

wrong and mistake. This chapter was divided into four parts: Man, animal, war and nature.

The fourth chapter was about contradiction and diversity; it was divided into five parts: Man, animal, time, place and nature.

I have introduced this study for An-Najah National University in Nablus, for the fulfillment of the requirements of the Master of Arts Degree in Arabic Language.

**Hashemites of Al-Kumait Ben-Zaid and Their Explanation By Abu-Reyash
Al-Qaisi A Study of Purport at Correlation Links**

Prepared by

Omar Aref Al-Hasan Jaradat

Supervised by

Prof. Yahya Abd-UI-Ra'uf Jaber

Abstract

This study is based upon the linguistic purport domain, in particular the correlative relations between the Hashemite of Kumait Ben- Zaid Al-Asdi, according to Abi-Reyash Al-Qayssi elucidation. The thesis included an introduction, four chapters and an epilogue. at the first chapter, I presented the purport domains, nine in number, each including the words related purportedly and usually put under a single title. Then the containment, which is built upon a word, including all the other words.

At the second chapter I discussed the verbal participants, where the words are similar in shape, but different in meaning, then the opposites as a part of the verbal participant, where the word would have two different meanings, as in (جون) (Jon), which means both, black and white.

At the third chapter, the largest one, I discussed the alternative where the two words would be verbally different but united in the meaning, as

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies.**

**Hashemite's of Al-Kumait Ben-Zaid
and Their Explanation By Abu-Reyash Al-Qaisi
A Study of Purport at Correlation Links**

**Prepared by
Omar Aref Al-Hasan Jaradat**

**Supervised by
Prof. Yahya Abd-UI-Ra'uf Jaber**

**Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of
Master of Arts in Arabic Language, Faculty of Graduate Studies, at An-
Najah National University, Nablus, Palestine.**

2003